

إِتِّخَافُ الْإِحْبَابِ

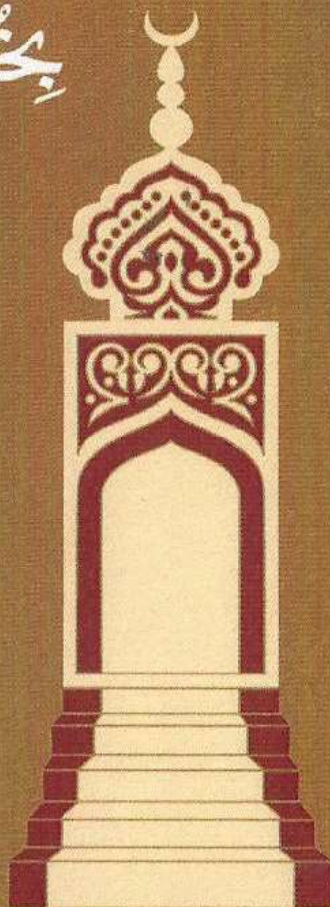
بِخُطْبِ الْجُمُعَةِ

تَأَلَّفَ

سَعْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَمْرِيُّ
إِمَامٌ وَقَطِيبٌ سَابِقٌ لِمَجَامِعِ الْمَنَدُولِ بِالطَّائِفِ

الْمَجْمُوعَةُ الْأُولَى

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ



إِتِّخَافُ الْإِحْبَابِ
بِخُطْبِ الْجُمُعَةِ



سَعْدُ
ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
الْعَمْرِيُّ الْقَائِمِيُّ

الْمَجْمُوعَةُ
الْأُولَى

ح - سعد بن عبدالله العجمة الغامدي ، ١٤٢٨ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الغامدي ، سعد بن عبدالله العجمة
إتحاف الأحبة بخطب الجمعة / سعد بن عبدالله العجمة الغامدي
ط٢ - ٢مج - الطائف ، ١٤٢٨ هـ
٣٧٥ ص ، ١٧ × ٢٤ سم
ردمك: ٠٠-٢٣٢-٥٨-٩٩٦٠-٩٧٨ (مجموعة)
٧-٢٣٣-٥٨-٩٩٦٠-٩٧٨ (ج ١)
١- خطبة الجمعة ٢- الوعظ والإرشاد أ- العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٢٨/٤٧٧٩ هـ

رقم الإيداع : ١٤٢٨/٤٧٧٩ هـ
ردمك : ٠٠-٢٣٢-٥٨-٩٩٦٠-٩٧٨ (مجموعة)
٧-٢٣٣-٥٨-٩٩٦٠-٩٧٨ (ج ١)

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

الطبعة الثانية

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

مزيّدة ومُصنّعة

بسم الله الرحمن الرحيم مقدمة الطبعة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبداً لله ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه .

أما بعد : فهذه هي المجموعتان الأولى والثانية من **إِتْحَافِ الْأَحِبَّةِ بِخُطْبِ الْجُمُعَةِ** والتي تضم ثمانين خطبة تعتبر بمثابة إسعاف لخطباء الجمعة مثلي ، وحيث قد ألقىتها من منبر الجمعة في حينها بعد أن جمعتها من كتب أهل العلم وخطبهم في القديم والحديث مدعماً بالدليل من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، لذلك رأيتُ نشرها لتكونَ ذخراً لي في الآخرة إن شاء الله ، وللإفادة منها لمن يريد ذلك ، علماً بأن بعض العبارات في بعض الخطب لا تناسب كل المجتمعات في كل حيٍّ ومدينةٍ وهجرةٍ سواء كان في بلاد الحرمين أو في أي بلد آخر ، ولكن على الخطيب قبل إلقاء الخطبة أن يختار الزمن المناسب لموضوع الخطبة سواء هذه التي بين يديه أو غيرها ، ثم يقوم بالحذف والزيادة واستبعاد ما لا يناسب مجتمعه الذي يُلقى فيه الخطبة من حيث طولها وقصرها وبعض العبارات ومفهومها وعدم توافقها مع ذلك المجتمع أو تكرارها حيث كان ذلك لازماً في مقدمة بعض الخطب الموجودة الآن وتتم إعادتها في الخطبة الثانية نظراً لعدم الحضور المبكر لكثير من المصلين الذين يَعْنِيهِمُ الخُطَابُ والنصيحةُ والموعظةُ، فهذا الغرض كانت الإعادة والتكرارُ لوصول المطلوبِ للشريحة المقصودة المتأخرة غير تلك التي في الصفوف الأولى ، لذلك لزم تنبيه الإخوة على هذا الهدف والغاية ، ولضيق الوقت لم أستطع استبعادها وإعادة النظر في بعضها ، وعسى أن يأتي اليوم الذي تتم فيه المراجعة والتنقيح إلى ما هو أفضل مع إكمال المجموعات الأخرى بعد مراجعتها إن كان في الحياة بقيَّةً واستطاعةً إن شاء الله تعالى. وكثير من هذه الخطب مترابطة الموضوعات في الخطبتين والثلاث والأربع والخمس ، وبعضها عبارة عن سلسلة متلازمة ومتصلة حلقاً لإكمال الفائدة وتعميمها وإشباع الموضوع

وإعطائه حقه لإقناع السامع وإبلاغه الحجة ، ولعدة اعتبارات أخرى قد يستنتجها القارئ الكريم ، ومن أهمها : عدم كتمان العلم والخروج من الإثم والخوف من العقاب الوارد في الكتاب والسنة ، ومنها : قول الله عز وجل : ((إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿٧٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٧٧﴾)) [البقرة: ٧٦-٧٧] . وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((مَنْ كَتَمَ عِلْمًا أَجْمَعَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلْجَامٍ مِنْ نَارٍ)) رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم ، ورواه ابن ماجه بزيادةٍ وتعريفٍٍ للعلم المقصودٍ وحصره في أمر الدين: ((من كتم علماً مما ينفع الله به الناس في أمر الدين أجّمه الله يوم القيامة بِلْجَامٍ مِنْ نَارٍ)) .

وأطلب من كل أخ مسلم ناصح اطلع على هذه الخطب ووقف على خطأ أيّا كان أن يُصَحِّحَهُ إن كان متأكداً من صحة ذلك وأن يتصل بي بالمراسلة أو المهاتفة على العنوان المدون أدناه ، شاكراً له حسن صنيعه ، وجزى الله خيراً كلّ من محض النصّح وأبداه لي بكل صدق وإخلاص ، وأسأل الله تعالى أن ينفعني بها وينفع إخواني المسلمين والمسلمات إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه .

سعد بن عبد الله العجمة الغامدي

الطائف

إمام وخطيب جامع الشيخ سعيد الجندول بالطائف

جوال : 0505706571

هاتف وفاكس : 0127440954

بسم الله الرحمن الرحيم مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، وكما يحب ربنا ويرضى ، له الحمد في الآخرة والأولى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً ، ورضي الله عن خلفائه الأربعة وعن صحابته الأطهار وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فقد تركت مقدمة الطبعة الأولى للمجموعتين السابقتين من إتخاف الأحبة بخطب الجمعة كما هي لأهمية ما ورد فيها ، وأريد من القارئ الكريم قراءتها لمعرفة ما قصدت من وراء جملها وعبارةها ، والآن أقدم لإخواني ثلاث مجموعات تضم مائة وخمسة عشر خطبة ، ثمانون منها من السابق ، تمت الزيادة في خمس عشرة خطبة حيث ألفتها مرة أخرى كما هو موضح من تاريخ الإعادة ، والتاريخ أيضاً هو من الزيادات في بداية كل خطبة وفي الفهرس العام ، والخاص بكل مجموعة ، وقمت بالتصحيح لكثير من الأخطاء في الطبعة الأولى والتي حصلت ممن تولى طباعتها ، ولم أستطع تداركها حيث كانت الطباعة في مصر ، ولم أعلم عنها إلا بعد وصولها إلى المستودعات في الطائف ، فقامت بتصحيح المهتم في بعض الأخطاء وطبعها في مطبعة في السعودية ووضعها في نهاية كل مجلد ، ومع هذا لم تُؤدَّ العَرْض المطلوب ، وقد أَلَمني كثيراً تصرف الطابع وهو المُتَوَلَّى أيضاً للطباعة هناك وأزعجني ما قام به ، خاصة وجود بعض الأخطاء الإملائية أو اللغوية ، ومنها : عند كتابته على الغلاف اسم مكتبتهم وَضَع ضَمَّةً على الرَّاء في الكلمة الثانية مع أنها بالكسرة ، وهي كما يلي : مكتبة دار . . فيتبادر إلى ذهن القارئ بأن هذا مني ، مع أنني لم أعرف شيئاً عن ذلك إلا بعد أن وَصَلت بَيْنَ يَدَيَّ ، وهكذا كانت الأخطاء في كلمة واحدة متكررة

في آيتين، مع أنها منقولةٌ من برنامجٍ للقرآن الكريم ولكنه قد ورد الخطأ ، وكذلك في ألفاظٍ بعض الأحاديث وكثيرٍ من الكلمات الواردة في الخطب ، لذلك قمت بالتصحيح في هذه الطبعة والزيادة المناسبة وتعديل بعض العبارات ، وبالرغم من أن ثلاثة آلاف نسخة من مجلدين في الطبعة الأولى قد وُزِعَتْ خلال أشهر فلم أتمكن من إعادة الطباعة لظروفي المالية ، وقد حاولت الآن جاهداً طباعتها لتوزيعها في السعودية وفي عدة دول أخرى بعد إضافة المجموعة الثالثة من المهم في الخطب التي قمت بإلقائها كما هو مُوضَّحٌ في تاريخٍ كُلٍّ منها ، وقد اخْتَرْتُها لتخرج مع ما قبلها في ثلاث مجموعات ، وهي منسوخة أيضاً على قُرْصٍ [**سي دي**] ليستفيد منها من أراد طباعةً أيّ حُطْبَةٍ منها للخطابة أو البحوث وخلاف ذلك حيث اتصل بي من استفاد من أسلوبها بعد حذف بعض الكلمات والجمل في البحوث الجامعية لتربط موضوعاتها ، فالموضوع الواحد المتعدد الخطب عبارة عن بحث متكامل ، ولكي تكون الفائدة أكثر أعدتُ الترتيبَ لِضَمِّ الخطب الجديدة إلى موضوعها حتى تصبح سِلْسِلَةً مترابطةً ، مثال: صفة الصلاة، والخشوع فيها، وصلاة الجماعة ، وتسوية الصفوف، وغيرها من خطب العبادة، تم ترتيبها ووضعها مع سابقتها في المجموعة الثانية، وأيضاً: قتل النفس التي حرم الله بغير حق، والقصاص، والتدمير والتفجير، والمنكرات وتغييرها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هي وغيرها تَمَّ وَضْعُهَا مع وجوب طاعة ولاة الأمر في غير معصية الله ، ووجوب تحكيم الكتاب والسنة، رُتِبَتِ الأخيرةُ وهي في المجموعة الثانية من الطبعة الأولى مع الثالثة من الطبعة الثانية حتى أصبحت أكثر من عشرين خطبة تعالج موضوعاتٍ مهمةً في الحاضر والمستقبل في العالم أجمع وليس في بلد مُعَيَّنٍ دون غيره ، وَلَوْ سُمِحَ لي بطباعة خمس خطب أخرى لكان وَقَعُهَا أَعْظَمَ، وفائدتها أَشْمَلُ ، لأنني تَطَرَّقْتُ للموضوع من جميع جوانبه ، ثم وَضَعْتُ الحُلُولَ التي تغيّب أو يتمُّ تجاهلُها لدى كثير من الناس ، مع أن الأسباب والدوافع إلى الوقوع فيها هي السبب الرئيسي وراء كل الشرور والمعاناة التي يعيشها هذا الجيل في أرجاء المعمورة ،

وإذا استمرت الأوضاع على ما هي عليه فسوف تزداد المظالم ويتزعزع أمنُ العالم لا محالة ولا مناصَ عن السُّنَنِ الكُؤُنِيَّةِ . والذي أرجوه من إخواني هو ما ذكرته في المقدمة الأولى وهو تصحيح الأخطاء إن وُجِدَتْ وإشعاري بذلك كما هو مُوضَّح في العنوان ، وإن فهِمَ أَحَدٌ عبارةً غيرَ ما أردتُ منها أو وَجَدَ أَيَّ ملاحظةٍ فإن من حَقِّي عليه أن يُوضِّح لي ذلك حتى أتدركه إن كان ما قاله صحيحاً ، وأتمنى أن يأتي الوقت الذي أستطيع فيه إكمال المجموعات المتبقية والتصحيح فيها وفيما سبقها ، وأسأل الله أن ينفعني بها ووالديَّ وذريتي ، وَخَاصَّةً من سَاعَدَنِي وَصَبَرَ عَلَيَّ في إخراجها وطباعتها، كما أسأله عز وجل أن يتقبل مني هذا العمل وجميع أعمالِي الصالحة ومن جميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات وأن يغفر لنا ما قَدَّمْنَا وما أَخَّرْنَا وما سَرَّرْنَا وما أَعْلَنَّا وما هو أعلم به منا ، لا إله إلا هو سبحانه إنا كنا من الظالمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه .

سعد بن عبدالله العجمة الغامدي

إمام وخطيب سابق لجامع الجندول بالطائف

الطائف: ص ٥٦٩ ، الرمز / ٢١٩٤٤

محمول / ٥٥٥٧٠٦٥٧١ ، هاتف و فاكس / ٠١٢٧٤٤٠٩٥٤ ،

البريد الإلكتروني: ghamdi91@hotmail.com

فهرس المجموعة الأولى من إتحاف الأحبة بخطب الجمعة للشيخ / سعد العجمة الغامدي

الرقم	عنوان الخطبة	رقم الصفحة	تاريخ الإلقاء
1	نوح عليه الصلاة والسلام	1	1408/3/8هـ
2	دعوة أبينا إبراهيم/1	7	1414/5/14هـ
3	دعوة أبينا إبراهيم/2	16	1414/5/21هـ
4	دعوة أبينا إبراهيم/3	23	1414/5/28هـ
5	دعوة أبينا إبراهيم/4	32	1414/6/6هـ
6	دعوة أبينا إبراهيم/5	41	1414/6/13هـ
7	قوم لوط /1	49	1415/7/7هـ
8	قوم لوط /2	55	1415/7/21هـ
9	اللسواط	63	1415/6/29هـ ، 1424/10/11هـ
10	ظهور الفتن	74	1411/3/23هـ
11	علامات الساعة /1	82	1410/5/3هـ
12	علامات الساعة /2	91	1410/5/10هـ
13	علامات الساعة /3	101	1410/5/17هـ
14	علامات الساعة /4	107	1410/5/24هـ
15	علامات الساعة /5	115	1410/7/21هـ
16	علامات الساعة /6	123	1410/7/28هـ
17	علامات الساعة /7	130	1410/8/12هـ
18	علامات الساعة/8 المهدي	137	1411/4/8هـ ، 1424/1/25هـ
19	علامات الساعة/9 الدجال	149	1411/8/8هـ
20	خطبة عن علامات الساعة	157	1405/3/1هـ

الموت	21	167	1405/8/13 هـ
بعض أحكام الجنائز	22	176	1412/10/2 هـ، 1421/10/17 هـ
القبر عذابه ونعيمه /1	23	185	1420/5/9 هـ
الحشر والقيامة /2	24	194	1420/5/16 هـ
الشفاعة والحشر /3	25	203	1420/5/23 هـ
الجزاء والحساب /4	26	211	1420/5/30 هـ
الجزاء والحساب /5	27	221	1420/6/7 هـ
بقية عن الحساب /6	28	231	1420/6/14 هـ
الجنة ونعيمها /1	29	240	1407/6/15 هـ
تكملة عن الجنة /2	30	250	1407/6/29 هـ
النار /1	31	260	1406/7/25 هـ
تكملة عن النار /2	32	269	1406/8/9 هـ
التخويف من النار	33	278	1405/2/16 هـ
نعيم الجنة وعذاب النار	34	284	1420/7/20 هـ
التفكر في الإنسان وخلقته /1	35	295	1417/6/27 هـ، 1423/5/30 هـ
التفكر في الإنسان وخلقته /2	36	305	1417/7/4 هـ
التفكر في الإنسان وخلقته /3	37	313	1417/7/11 هـ، 1423/6/14 هـ
الإنسان والمرض /4	38	324	1417/7/18 هـ
المريض	39	338	1405/11/2 هـ
التدخين وأضراره	40	344	1406/5/28 هـ

نوح عليه الصلاة والسلام

1408/3/8هـ

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد: فإن على الداعية المسلم أن يقرأ دعوة الرسل لأقوامهم، وما لاقاه كل رسول من جراء هذه الدعوة ليقف على الشيء الكثير من أخلاق البشر في بداوتهم وتحضرهم وطباعهم وعاداتهم ، لكي يسير في إصلاحه على هدى ، لأن نفوس المفسدين في كل زمان متقاربة، ووسائلهم في محاربة الحق متشابهة ، ومن أجل أن يجد المصلح ما يشدّ عزمه ويُنير قلبه ، ويعلم أنّ الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على اتفاقهم في الأصول يُعنون عناية خاصة بالأمراض التي تحيق بأقوامهم .

ونحن اليوم مع أول رسول من رسل الله مع نوح عليه الصلاة والسلام، فحياته حياة شاقة مريرة ، ومحتته مع قومه محنة شديدة أليمة ، فقد أقام بينهم قروناً طويلة فلم يَرِ إلا آذاناً صمّاً ، وقلوباً غلفاً ، وعقولاً متحجرة، لقد كانت نفوسهم أئبس من الصخر وأفتدتهم أقسى من الحديد، لم ينفعهم نصح أو تذكير، ولم يزرهم وعيد أو تحذير ، كلما ازداد لهم نصحاً ازدادوا له عناداً ، وكلما ذكّروهم بالله زادوا ضلالاً وفساداً، وظلّوا في طريق الضلال سائرين ، لا يلتفتون إلى دعوة نوح ولا يبالون بتحذيره وإنذاره ، وقد مكث تسعمائة وخمسين عاماً داعياً مذكراً ناصحاً مع أن عمره أطول من ذلك ، أما تلك المدة فهي مدة دعوته ، وسلك جميع الطرق الحكيمة معهم

لإنقاذهم من الضلال وإبعادهم عن عبادة الأصنام والأوثان ، وكانت دعوته لهم ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً، ومع ذلك لم تَلِنْ قلوبهم ، فلما يئس نوح عليه السلام من إيمان قومه بعد هذه الفترة الطويلة من الزمان أوحى الله سبحانه تعالى إلى نوح بأنه لن يؤمن من قومه أحد بعد القليل من المؤمنين الذين آمنوا به كما قال تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [هود: ١٠٦] عند ذلك التجأ نوح عليه السلام إلى الله بالدعاء على قومه بالهلاك والدمار فاستجاب الله دعاءه وأعلمه بأنه سيهلكهم بالطوفان فلا يبقى منهم أحد ، وأوحى إليه بأن يصنع السفينة ليركب فيها هو وجماعته المؤمنون، ولم يكن لنوح عليه السلام ولا لغيره معرفة بصنع الفلك ، ولذلك أوحى الله إليه صنعها وعلمه كيف ينبغي أن تكون عليه السفينة كما قال تعالى: ﴿ وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ [هود: ١٠٧]، وإنما أمره تعالى بعدم مراجعته في شأنهم لأن عذابه عز وجل إذا جاء لا يُردّ عن القوم المجرمين ، ولعله قد تدركه رقة عند معاينة العذاب النازل بهم. وأخذ نوح عليه الصلاة والسلام يصنع السفينة بأمر الله ووحيه ، وجعل قومه يَمْرُونَ عليه فيهزأون ويسخرون ويقولون له : صِرْتَ نَجَاراً يا نوح بعد أن كنت نبياً ، ويقولون: ماذا تقصد يا نوح بهذه السفينة؟ وأين الماء الذي سيحملها وهي في البر بعيدة عن البحر؟ وجابههم عليه السلام بكلمة قوية كشفت عما ينتظرهم من ذلة وهوان بما كسبت أيديهم في الدنيا، وما ينتظرون في الآخرة من عذاب مقيم كما ورد في القرآن الكريم ﴿ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ [هود: ١٠٨] فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿ [هود: ١٠٩، ١١٠] . والمعنى إنا

وائقون من مصيركم المحزن ونهايتكم الأليمة، ولسوف ترون بأعينكم وتلمسون بأيديكم من منا الذي سيلحقه الخزي والعار والعذاب والدمار في الدنيا، ثم يحلّ عليه بعد ذلك عذاب الآخرة وهو العذاب الدائم الأليم، ثم جاء أمر الله بإحقاق الحق وإبطال الباطل ، ففار التنور ، ولعل كلمة التنور وإطلاقها على الأرض من باب التشبيه لها بالفرن على أساس ما يوجد في باطنها من الكتل النارية الملتهبة ، والتي نشاهدها عند تصاعد النيران من البراكين ، والله أعلم، وكان للناس عجباً أن يتفجر ماء الطوفان من موقد النيران ، ولكن كانت هي العلامة التي أوحى الله بها إلى نوح ليعلم أن ساعة القصاص قد حانت ، وأن أمر الله قد نفذ في أعداء دينه ، فلما ظهرت العلامة ركبوا في السفينة وأرسل الله من السماء مطراً لم تعهده الأرض قبله ولا بعده كأنه أفواه القرب، وأمر الأرض فنبعت من جميع فجاجها وسائر أرجائها كما قال تعالى: ﴿فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ﴾ ١٠١ ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ ١٠٢ ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ ١٠٣ ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَلْوَحِ وَدُسِّرَ﴾ ١٠٤ ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ ١٠٥ ﴿[القمر: ١٠١-١٠٥] . وركب نوح في السفينة ومن آمن معه وكانوا عدداً قليلاً في حدود الأربعين كما ورد في بعض الروايات ، وأمره الله بأن يحمل معه في السفينة من كل حيوان وطير ووحش وغيره زوجين اثنين كما قال تعالى: ﴿قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ١٠٦ ﴿[هود: ١٠٦] ، وفي هذا الجوّ الرهيب والوقت العصيب يتطلع نوح إلى ابنه كنعان الذي لم يركب مع إخوته الثلاثة سام وحام ويافث فيراه قد فرّ إلى جهة لم يكن قد وصلها الماء فيناديه بعاطفة الأبوة وقلبه الرحيم: ﴿يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ ١٠٧ ﴿[هود: ١٠٧]

[، ولكن الابن الجاحد المعاند لا يلبي دعوة الرحمة والحنان ولا يجيب داعي الإيمان بل يركب رأسه ويمضي في ركاب الشيطان قائلاً: ﴿سَاءَ وَتَىٰ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾. [هود: ٤٦] ناسياً أن هذا ليس سيلاً عادياً تصدّه التلال وتعصم منه الجبال والمرتفعات، إنما هو أمر الله وقدره النافذ الذي لا عاصم منه إلا رحمته لمن يشاء من عباده: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِن أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٧]، وهكذا يمضي الولد العاق سادراً في غيّه وضلاله مع الكفار الجاحدين حيث حلت عليهم النقمة و أدركهم الموت: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٨] وكان نوح عليه السلام مطمئناً إلى وعد الله له بالنجاة له ولأهله وللمؤمنين معه ، ووثاقاً أيضاً بمصير الظالمين ونهايتهم الأليمة ، وأيقن حق اليقين أن الله قد استجاب دعاءه: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٦٨﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يُضِلُّوْا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوْا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٦٩﴾﴾ [نوح: ٦٨، ٦٩]، وحينئذ تذكر نوح ابنه وتذكر قول الله له ﴿إِنَّا مُنَجِّوْكَ وَأَهْلَكَ﴾ [العنكبوت: ٦٦]، فظن أن ابنه ممن كتبت لهم النجاة لأنه من أهله ونسي الشرط الأساسي للنجاة وهو الإيمان بالله، فلجأ إلى الله قائلاً: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِن أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ﴾ [هود: ٦٦]، فعاتبه الله عز وجل حيث قال سبحانه: ﴿قَالَ يَبْنُوْهُ إِنَّهُ لَيْسَ مِن أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُوْنَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٦٦]، وعند ذلك تذكر وأتاب وطلب من الله المغفرة والرحمة. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوْذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُوْنَ مِنَ الْخٰسِرِينَ﴾ [هود: ٦٧].

نوح عليه الصلاة والسلام

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، أحمده سبحانه وأشكره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد: فلقد انتهى الطوفان بعد أن غرق أهل الأرض في زمن نوح عليه السلام ولم يبقَ إلا من آمن وركب السفينة ، وكان انتهاء الطوفان بعد أن أمر الله السماء أن تكف المطر ، والأرض أن تبتلع الماء الذي غمرها ، وأن تعود الحياة كما كانت على ظهر الأرض وحيث كانت قد وصلت إلى جبل يسمى الجودي ، والله أعلم أنه إلى جانب دجلة عند الموصل في العراق، قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤]، وحين استقرت السفينة على الجودي وغاض الماء أمر الله نوحاً ومن معه أن ينزلوا منها بسلام وأمان وبركات من العزيز الرحيم بعد أن مكثوا وبقوا فيها على الماء تطوف بهم مائة وخمسين يوماً كما ورد في بعض الروايات. وهكذا كانت حياة نوح عليه السلام مع قومه بعد أن مكث وعاش زمناً وقروناً طويلة وهو يدعوهم إلى الله وهي أطول حياة عاشها إنسان ، والله أعلم، ويُروى عنه أنه سُئل حين حضرته الوفاة: كيف رأيت الدنيا؟ قال: رأيتها كبيتٍ له بابان ، دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر. وهكذا ينبغي

أن تكون نظرة المؤمنين المخلصين إلى الدنيا الفانية ومتاعها الزائل: ((وَإِنَّ
الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَو كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ [العنكبوت: ١٦]، وما أجمله
وأروعه من تعقيب إلهي في نهاية قصة نوح عليه السلام مع قومه لتذكير
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه إلى يوم الدين بحقائق ثابتة وسنن لا
تتغير ولا تتبدل وما عليهم إلا أن يصبروا على ما يلاقونه من إعراض وعناد
وكفر يتكرر في كل زمان ومكان، وعليهم أن يحتسبوا الأجر ويطلبوه من الله
لأن العاقبة للمتقين ، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعُيُوبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ
تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٦﴾ [هود: ١٦]
[. تلك حقيقة حتمية وسنة ثابتة لمن تذرَّع وتحمَّل بالصبر وكان من عباد الله
المتقين فإن العاقبة والنتائج الطيبة في الدنيا والآخرة هي للمتقين ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ
الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٦﴾ [هود: ١٦].

دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام /1

14/ 5/ 1414هـ

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً.

أما بعد: فلقد اقتضت حكمة الله وإرادته ومشيئته أن يبعث في الناس رسلاً منهم مبشرين ومنذرين ، ومن بين أولئك الرسل رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً ، والدعوة إلى الإصلاح عموماً محفوفة بالمخاطر، ومحاطة بالأشواك والأقذاء، ومن شأن هذه المخاطر أن تكون وسيلة لتثبيط همة الداعي، وتسرب اليأس إلى نفسه فكان من الخير أن يُجال بين اليأس وبين قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويبقى للداعي إلى الله أن يسلك هذا المسلك ، وتلك العقبات التي تعترض الداعي والشدائد التي يراها المصلح لا غنى له عنها لأنها سنة فيمن سبق من الرسل كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُم نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّل لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأنعام: ١٥].

إن المصلحين في أي زمان أو مكان لا ينجون من تلك الشدائد والمحن والأشواك والأقذاء التي تعترضهم في دعوتهم لأنهم يحملون إلى الناس ميراث النبوة ويبلغون ما أمروا بتبليغه وآمنوا به وجاهدوا من أجله ، فالرسل وأتباعهم ومن سار على نهجهم لن ينجوا من ذلك لأن مهمتهم أن يحولوا بين النفوس وشهواتها والقلوب وأهوائها ويرسموا لها طريقاً غير الطريق التي

اعتادته وألفته من الشهوات ، وكثيراً ما تستحكم الشهوات والأهواء ويتمكن الفساد من الأمة إلى حدٍ كبيرٍ يحتاج معها المصلح إلى شيءٍ كثيرٍ من السلوى ونماذجٍ متعددةٍ من سيرة المرسلين والمصلحين ، فينبغي أن تكون سيرة الرسل الماضين ودعوتهم لأقوامهم مثلاً صالحةً للدعاة إلى الله وتكون أنباؤهم وأخبارهم تثبتاً لقلوب المصلحين وتطميناً لنفوسهم ، وخاصة سيرة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك الرسل والأنبياء قبله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . إن المصلح إذا قرأ واطلع على دعوة الرسل إلى أقوامهم واستنبط منها واستخرج الدروس والعبر والعظات من خلال آيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب التفسير والتاريخ الموثوقة إذا فعل ذلك مما لاقاه كل رسول من جراء دعوته يقف على الشيء الكثير من أخلاق البشر في بداوتهم وتحضرهم وعاداتهم وطباعهم ومواقفهم الغريبة من دعاة الإصلاح والعقبات والعراقيل التي تقف في طريق المصلحين من مختلف الطبقات والدوافع التي تحملهم على وضع تلك العقبات في طريق المصلحين ، عند ذلك يستطيع المصلح أن يسير في إصلاحه على هدى ، ويعدّ له من العدة والحجج والبراهين ما ينبغي إعداده كالذي أعده من سبقه ، لأن نفوس المكابرين المعاندين المفسدين في كل زمان متقاربة ، ووسائلهم في محاربة الحق متشابهة .

ونحن اليوم مع أحد أولي العزم من الرسل مع أبي الأنبياء إبراهيم عليه وعلى نبينا وعلى جميع الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه إلى يوم الدين .

فإبراهيم عليه الصلاة والسلام هو أبو الأنبياء وهو الجد الأكبر لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من ولد إسماعيل ، وإسماعيل هو ابن إبراهيم ، فيكون إبراهيم الجد الأعلى لرسول الله

صلى الله عليه وسلم ، ولقد خصّ الله تبارك وتعالى إبراهيم عليه السلام بخصائص ومزايا فريدة ، فجعله أباً للأنبياء ، وإماماً للمتقين ، وقدوة للمرسلين ، فهو خليل الرحمن بنصّ القرآن الكريم ، ومنه تناسل الأنبياء وتتبعوا عقب الأجيال من ابنه إسماعيل وإسحاق عليهم السلام جميعاً.

قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَعَاتَيْنَاهُ أُجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥]. وقال عز وجل: ﴿ وَأذْكَرَ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٤٦]. وقد ابتلي إبراهيم الخليل عليه السلام بأنواع من الابتلاء ، وامتنحن بضروب من الامتحان فصبر، وكان في إيمانه مثل الجبال الرواسخ لم يتزعزع ولم يضطرب ، ولم يدخل إليه وهن أو ضعف ، وأشد هذه المحن عليه حين أمر بذبح ولده إسماعيل ، ولكنه كان مثلاً للعبودية والطاعة والإذعان لأوامر الله عز وجل ، فكان قدوة للأنبياء من بعده ولأتباعهم بل جعله الله أمة بمفرده في إيمانه وصبره وتحمله وطاعته لله رب العالمين كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سأكرًا لِأَنَّهُمِ اجْتَبَنَهُ وَهَدَنَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١١١﴾ وَعَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١٣﴾] [النحل: ١١٢-١١٣] وقال تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلَ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦]. وقال عز وجل: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ [المتحة: ١٢]. وإبراهيم عليه السلام ينتهي نسبه إلى سام بن نوح ، وبينه وبين نوح عليهما السلام مدة تزيد عن ألف عام ، وأبوه هو آزر

وهو مشرك بالله عز وجل. و يستعظم هذا الأمر كثير من الناس في كل زمان ومكان ، أي كيف يكون الأب مشركاً وكافراً والابن مسلماً ، أو العكس ، أو الزوج وزوجته على طرفي نقيض ويعتبرون أن ذلك مُخِلُّ بمقام الرسل أو الدعاة إلى الله عز وجل وينقص من قدرهم، وهذا من جهلهم ، وإلا لو علموا الحكمة لزال عنهم العجب والاستغراب ، والطريف في الأمر أن هذا الجهل ليس بين عامة الناس فقط ولكنه سرى بين بعض طلبة العلم حتى أظهروا الشماتة عندما كان من أولادهم أو عوائلهم من هو على خلاف ما كانوا عليه ، فعليهم أن يتقوا الله عز وجل ويحمدوه ويشكروه على نعمه التي لا تُعدُّ ولا تُحصى ومنها استقامة من لهم بهم قرابة وصلة ، وقد يكون منهم أناس يظهرون الاستقامة أمام أهليهم وهم على النقيض من ذلك في تعاملهم وفي خلواتهم، فلا بد من الحيطة والحذر والدعاء للمسلمين بالهداية والصلاح والتوفيق. والحكمة من ذلك التي تدلهم على وحدانية الله عز وجل وتبعد عنهم شبح الشرك والتعلق بالمخلوقين أياً كانوا ومهما كانت منزلتهم من الصالحين أو الأنبياء والرسل فهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً ، وما على أولئك البشر إلا أن يسلكوا طريق الهداية التي يستطيعونها ويقدرون عليها وهي في حدود إمكاناتهم واستطاعتهم ألا وهي هداية الدلالة والإرشاد ، أما هداية القلوب المسماة بهداية التوفيق فهي بيد الله وحده جل جلاله فهو يضل من يشاء ويهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ، على الرسل وأتباعهم أن يسلكوا ما أمرهم الله به من إبلاغ الرسالة إلى الناس ، والله سبحانه هو الذي يتولى هدايتهم بعدله وحكمته ، فله الحكمة البالغة عندما يكون الرسول وولده أو أبوه أو زوجه أو عمه على طرفي نقيض ليبين للناس جميعاً أن البشر ليست بأيديهم هداية القلوب وإنما هي بيد الله وحده ،

وعليهم هم أن يدعوا الله عز وجل ليثبت قلوبهم على الدين الحق كما كان يدعو بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول: ((يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)) وكما قال صلى الله عليه وسلم: ((إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء)) . وكما قال عز وجل: ﴿ يَتَّبِعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. فالرسل وأتباعهم عليهم هداية الدلالة والإرشاد إلى الصراط المستقيم يدعون الناس إلى الله عز وجل ولا يملّون ولا يفترون ولا يتوانون ، وعلى الأتباع أن يسلكوا هذا المسلك الذي سلكه الرسل ومنهم رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي ظل يدعو عمه إلى آخر لحظة من حياته لعل الله يهديه ، ولكن الله عز وجل سبق في علمه أنه لن يهتدي وأراد عز وجل ذلك ليعلم الناس جميعاً أن محمداً صلى الله عليه وسلم مهما بلغ من المنزلة والدعوة إلى الله فلن يستطيع أن يحول قلب إنسان لم يرد الله له الهداية مهما كانت منزلته لأنه بشر لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله ، فلقد حاول صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب شتى المحاولات ليسلم ويقول: ((لا إله إلا الله)) ولكنه لم يفعل ولم يتلفظ بها لحكمة ظاهرة للناس جميعاً يجب أن يأخذ المسلمون منها العظة والعبرة والدروس المتعددة المستفادة في الدعوة إلى الله عز وجل ، قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٢٧]. فهذه هداية القلوب التي لا يملكها البشر ، أما هداية الدلالة والإرشاد إلى الطريق والدعوة إلى الله فقد قام بها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وهي واضحة جلية في سبب نزول هذه الآية السابقة وكان يمارسها فعلاً مع عمه ودلت الآية على الهدايتين أي تلك التي

لا يملكها إلا الله عز وجل وهي هداية القلوب وتلك التي باستطاعة البشر القيام بها وهي هداية الدلالة والإرشاد كما قال الله جل جلاله : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣] وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُدَىٰهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٨] . وقال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥] . فالفرق بين الهدايتين واضح ، والحكمة أيضاً واضحة جليلة للناس أجمعين ليتجهوا لله رب العالمين ويعبدوه وحده سبحانه ويفردوه بالعبادة لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . وليس هناك ما يخل أو ينقص من قدر الرسل وأتباعهم عندما يكون أقرب قريب إليهم على خلاف ما هم عليه، فتلك حكمة الله عز وجل ، فلله الحكمة البالغة والمشيتة والإرادة المطلقة، فلقد كان أبو إبراهيم عليه السلام مشركاً وإبراهيم حنيفاً مسلماً، وكانت زوجة فرعون مؤمنة وفرعون كافراً ، وكان نوح رسول الله موحداً وولده وزوجته كافرَيْن ، ولوط رسول الله موحداً وزوجته كافرة. وتلك هي سنة الله عز وجل وحكمته سبحانه وتعالى ليعرفوا قدرته عز وجل وحكمته سبحانه وتعالى ويقفوا عند حدودهم البشرية. إذاً لا عجب ولا استغراب عندما يكون الأب صالحاً والابن فاسداً أو العكس ، أو الرجل فاسداً والمرأة صالحة أو العكس ، أو الأسرة بكاملها على غير صلاح وأحد الأبناء أو البنات على هدى من الله ونور أو العكس ، فتلك حكمة الله وحجته يقيهما على خلقه لينتبهوا ويفيقوا ويرجعوا إلى ربه عز وجل. قال تعالى : ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا إِبرَاهِيمَ رُؤْيَاهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤] .

ومما ينبغي الإشارة إليه لمن كان تعليمه قليلاً هو خلط بعضهم بين الفاعل والمفعول وعن فهمهم للمعنى في بعض آيات القرآن الكريم خاصة عندما يتقدم المفعول على الفاعل ويلتبس عليهم المعنى في هذه الآية وغيرها ، حيث يظنون ويفهمون ويقرأون كذلك (إبراهيم) بالرفع و(ربه) بالنصب، وهذا غلط واضح يقرب المعنى ، فالله عز وجل هو الذي ابتلى إبراهيم عليه السلام ، وكذلك الحال من حيث القراءة وقلب المعنى في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨]. أي أن العلماء هم الذين يخشون الله سبحانه وتعالى حق خشيته، فعندما يقرأ من لا يفهم قواعد الإعراب يرفع لفظ الجلالة وينصب كلمة العلماء. وهذا من أشنع الأخطاء وأوضحها غلطاً وخلطاً ممن لا يفهم اللغة العربية وقواعدها، وفيه خطورة على عقيدة المسلم لو اعتقد ذلك، وليس هذا الفهم قاصراً على فئة معينة من الناس بل إنه منتشر بين حملة الشهادات العليا كما يقولون ، والآيات التي يُساء فهمها عند من لا يعرف معناها أو يجهل إعرابها كثيرة ومتعددة.

دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام / 1

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي للجلال وجهه وعظيم سلطانه أحمده عز وجل وأشكره وأومن به وأتوكل عليه وأثني عليه الخير كله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً.

أما بعد: فلقد ورد في القرآن قصة دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر الذي هو مشرك بالله ويعبد الأصنام ، وأحق الناس بإخلاص النصيحة له إنما هو أبوه ، لهذا لم يألُ جهداً ولم يدخر وسعاً في تذكير أبيه ونصحه وتحذيره من عذاب الله ، وقد كان إبراهيم عليه السلام في دعوته لأبيه مثلاً للولد البارّ الرحيم الذي لا يريد إلا الخير لأقرب الناس إليه ، فلم يَفْسُ عليه في الكلام ، ولم يعنّفه أو يزعجه ، بل خاطبه بكل أدب واحترام ووقار ، وجادله ودعاه بألفاظ عبارة وأحسن إشارة ، وبين له في محاورته ومجادلته بطلان ما هو عليه من عبادة أوثان وأصنام لا تضر ولا تنفع ، ولا تبصر ولا تسمع ، ولا تغني عن صاحبها شيئاً، وذكره بأن هذه الأصنام إذا لم تستطع أن تدفع الضّر عن نفسها ولا أن تجلب النفع والخير إليها فكيف تستطيع أن تدفعه عن غيرها أو تحقق لعبادها ما يرجوه منها مع أنها تفقد القدرة والقوة على عمل أي شيء من الأشياء .

وهكذا مضى إبراهيم عليه الصلاة والسلام في دعوته لأبيه بالحكمة والموعظة الحسنة في أدب ووقار ولكن أباه لم يستجب لهذا النصح ولم يعتبر بمنطق الحجة والبرهان بل أصرّ على الضلال والعناد وهدد ابنه إبراهيم بالضرب فيما إذا عاد إلى ذكر آلهته المزعومة بالسوء أو الشر ، قال تعالى ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿١١٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿١١٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿١١٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿١١٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَتِكَ وَأَهْجَرَنِي مَلِيًّا ﴿١١٦﴾ قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿١١٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ

بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَرَزْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ [مريم: ٤٨-٤٩]، وقد استغفر إبراهيم عليه السلام لأبيه كما وعده في الآية السابقة عندما دعاه إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه ، وعندما كان يطمع في إسلامه وتوحيده لله قبل أن يعرف منه الإصرار على الشرك فقال كما في الآية السابقة: ﴿ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٥١﴾ [مريم: ٥١]، وكما كان من ضمن دعائه في آيات أخرى: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٥٢﴾ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٥٤﴾ وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٥٦﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٥٧﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٥٨﴾ [الشعراء: ٥١-٥٨] . وكما قال تعالى عنه: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٥٩﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ [المتحنة: ٥٩، ٦٠] .

وعندما ظهر لإبراهيم عليه الصلاة والسلام إصرار أبيه على الشرك والوثنية وعداوته المتأصلة لدين الله عندها تبرأ إبراهيم عليه السلام من أبيه، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿٦١﴾ [التوبة: ٦١] .

وفي هذا درس بليغ لأهل العقيدة والإيمان ليقتدوا بالرسل الكرام ويسيروا على نهجهم وسيرتهم العطرة ، فإبراهيم يتبرأ من أبيه ، ونوح يتبرأ من ابنه، وهذا هو كمال الإيمان ، ولكن هذه البراءة وقطع الصلة في الإسلام ليست

على إطلاقها خاصة من الولد لوالديه ، البراءة تكون من ناحية عدم طاعتها في الشرك بالله وارتكاب ما حرم الله ، ولكن ذلك لا يمنع المسلم من الإحسان والبر بوالديه وإن كانا مشركين كما ورد بذلك أمر الله عز وجل في القرآن الكريم. قال تعالى : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان:٣١] ، والإطلاق هنا في التعامل الدنيوي والإحسان والعدل والقسط والرحمة والشفقة بالوالدين والتعامل الحسن معهما مع البراءة من شركهما وكفرهما، ويجب علينا أن نفهم الإسلام على حقيقته ونعمل به جملة واحدة . وسوف نواصل دعوة إبراهيم عليه السلام في الخطب القادمة إن شاء الله تعالى .

دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام / 2

1414/5/ 21هـ

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً .

أما بعد: فلا زال الحديث موصولاً بسابقه عن أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة و السلام وعن دعوته لقومه وعن أنواع المحن والابتلاءات التي اعترضته في سبيل الدعوة إلى الله والتي كان معها صابراً محتسباً لم يضطرب في إيمانه ودعوته ولم يتزعزع بل كان مثل الجبال الرواسخ الشوامخ ، ولقد مرّ بنا

كيفية دعوته لأبيه آزر وكيف كان مثلاً للابن البار بأبيه الذي لا يريد له إلا كل خير ، وكيف كان أسلوبه في التخاطب مع أبيه وطريقة دعوته ومناصحته إياه ، وطريقته في محاولة إقناعه لأبيه بأبسط وأيسر السبل التي تصل إلى قلبه بالحكمة والموعظة الحسنة ، والآن نحن مع موقفه عليه الصلاة والسلام مع الملك الطاغية فقد نشأ إبراهيم عليه الصلاة والسلام وسط بيئة فاسدة يحكمها ملك طاغية مستبدُّ برأيه ، قيل عن اسمه النمرود، قبض على زمام الملك في بابل في أرض العراق ، وكان أهلها ينعمون برغد العيش وظلال الأمن غير أنهم كانوا يتخبطون في ظلام دامس من الشرك والوثنية ينحتون الأصنام بأيديهم ثم يجعلونها أرباباً من دون الله ، ولما رأى النمرود نفسه حاكماً مطلقاً بين البشر تحيط به قوة الملك والسلطان ، والقوم حوله يتخبطون في الجهالات أقام نفسه إلهاً ودعا الناس إلى عبادته ، لأن عبادتهم للأصنام وجهلهم بصفات الإله سوَّغت له هذه الدعوة الباطلة ، فالأصنام لا تسمع ولا تبصر ولا تملك لهم نفعاً ولا ضرراً ، فهو في نظره ونظرهم القاصر وأذهانهم المتبلدة أحسن وأفضل من تلك الأصنام لأنه ينطق ويفكر ويدرك ويحسّ ويشعر ويعطيهم الأموال فقالوا لم لا يكون إلهاً؟! إذاً هو أولى بالعبادة من تلك الأحجار التي عبدوها واتخذوها آلهة ، ونشأ الجميع وشبُّوا وشابوا على تلك الضلالات وعاشوا حياتهم المتبلدة التي أثرت في أفكارهم وعقولهم ورسخت وسكنت سويداء قلوبهم ولم يرضوا عنها بديلاً مهما كان الإيضاح والبيان والحجة والبرهان .

نشأ إبراهيم عليه السلام في هذا المحيط الكافر وقد أعطاه الله الرشد والصواب وأعطاه من الحججة والبرهان ما يُسكت ويُحرس به أفواه الكفرة والمعاندين ، فهو يجب مقابلة الحججة بالحجة واليقين ، والشبهة بالدليل

والبرهان فابتدأ بذلك في نفسه ومع أبيه ومع الجبار المعاند النمرود ومع قومه أجمعين لتقوم الحجة وتتضح مثل الشمس في رابعة النهار ، لقد بدا إبراهيم عليه السلام مفعم القلب بالإيمان بربه ، ممتلئاً بالثقة واليقين بوعد الله بالنصر له موقناً بما أوحى الله تعالى إليه من أمر الغيب وأمر الإيمان ويعلم أن الله تعالى هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، ولكنه أراد الإطلاع على آيات الله البينات الواضحات على الإحياء والإماتة والبعث والنشور ليحاج قومه المعاندين المكابرين الكافرين بشيء رآه ببصره وأدركه بثاقب بصيرته واطمأن له قلبه ، رأى ذلك عياناً أمام ناظريه فازداد إيماناً واطمئناناً وقوة في الحجة والبرهان والبيان أمام أولئك القوم العتاة الجبابرة والكفرة. ولم يكن ذلك من قبيل الشك منه في وحدانية الله عز وجل أو في قدرته على الإحياء والإماتة كما يفهمه من قلّ علمه عندما يفهم الآيات على ظاهرها مع أنه ثبت في الحديث الصحيح عن رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم البيان الشافي لهذا المفهوم الخاطئ حيث هضم من حق نفسه عليه الصلاة والسلام تواضعاً منه وإيضاحاً للحق في جهة أينا إبراهيم عليه السلام لينتفي عنه الشك الوارد في مفهوم الآية القرآنية ، وفيه أيضاً الإعلام بأن المسألة من إبراهيم عليه السلام لم تكن من جهة الشك في قدرة الله تعالى ، ولكن من قبيل العلم بالعيان ، لأن المعاينة تفيد من المعرفة والطمأنينة مالا يكون في الاستدلال بغير الشيء الواضح للعيان .

روى البخاري رحمه الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِم تُوْمِن ۗ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۗ ﴾ [البقرة: ٢٦٠] . ولقد أجاب الله عز وجل طلب وسؤال إبراهيم عليه الصلاة والسلام ،

فأدرك عليه السلام عجائب قدرة الله عز وجل وأبعد دقائق خلقه وتصويره ، واطمأن قلبه وسكن فؤاده وازداد يقينه وإيمانه وخشيته وتقواه وخوفه من الله ذي العزة والجبروت مالك الملك العزيز الحكيم ، الفعال لما يريد ، فأخذ أربعة من الطير كما أمره ربه تبارك وتعالى وضمّها إليه ليتعرف أجزاءها ويتأمل خلقها ، ثم ذبحها وجعلها أجزاءً وفرقها أشلاء ، وجعل على كل جبل منها جزءاً مختلطاً بغيره من الأجزاء الأخرى من الطيور الأربعة ، وبعد ذلك دعاهن إليه كما أمره الله جل جلاله وتعالى سلطانه فأنته سعيّاً بإذن الله ، وصار كل جزء ينضمّ إلى مثله ومكانه ، وعادت الأشلاء المنتثرة كل في مكانه ، وسرعان ما سرت فيها الحياة ودبت وجاءت إليه مسرعة بقدرة الله عز شأنه وتعالى سلطانه، وإبراهيم عليه السلام يرى آيات الله في الخلق والإبداع ، فهو سبحانه إذا أراد أمراً فإنما يقول له ((كن فيكون)) قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِكَ ثُمُورٌ ۗ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۗ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة: ١٠١].

لقد كانت المناظرة بين إبراهيم عليه السلام وبين النمرود مناظرةً مُفجّمةً للنمرود ومن سار على دربه ، مقنعةً لمن يريد طريق الإيمان ، مسكتةً لأهل الكفر والطغيان . لقد سأل النمرود إبراهيم عليه السلام وقال له من ربك؟ قال: ((ربي الذي يحيي ويميت)) أي أن الإحياء والإماتة مظهر من مظاهر قدرة الله تعالى لا يقدر عليها إلا هو سبحانه وتعالى ، لكن الحماقاة وبلادة الفكر جعلت الطاغية يدعي الإحياء والإماتة أنها بيده كما ورد ذلك في الآية الكريمة عن قوله: ((أنا أحيي وأميت)) ودعا حاجبه وقال له: اذهب

فأتني برجلين من السجن قد استوجبا القتل ، أي حكم عليهما بالإعدام والموت ، فعندما أتى بهما الحاجب أمر الجلاد أن يضرب عنق أحدهما ويقتله بالسيف فقتله فمات ، وقال النمرود هذا أمته ، وأمر بإطلاق سراح الثاني فأطلق ، وقال : هذا أحييته . وهكذا بمنتهى البلادة والغباء والسخافة والحماسة أراد أن يظهر مدّعياً قدرته على الإحياء والإماتة ، ولكن إبراهيم عليه السلام قصم ظهر المكابر المعاند وأجمه لجاماً لم يستطع بعده كلاماً إلا الدهشة والذهول فقال عليه السلام إن ربي الذي يحيي ويميت يأتي بالشمس كل يوم من المشرق فأت بها أنت من المغرب إن كنت تستطيع التغيير في نظام هذا الكون العجيب فعندها انقطع جدل المجادل العنيد وبُهِت ودُهِل وبقيت قصته عبرة وعظة للمتعظين ، وهكذا يخفت صوت الباطل ويضمحل ويبقى صوت الحق مدوّياً شامخاً في الوقت نفسه على مر العصور والأزمان ، روي عن زيد ابن أسلم قوله : أرسل الله إلى ذلك الملك الجبار بعوضة سلطها عليه فدخلت في منخره ورأسه وكان يُضرب رأسه بالمرازب والأحذية ليهدأ من شدة الألم وبقي على تلك الحال حتى هلك ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨]

دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام / 2

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله .

أما بعد: فلم أرغب الانتقال عن هذه الآية دون التعرّيج عليها وإعطائها جزءاً يسيراً من الحديث حول معناها وما ورد فيها ولا يُعتبر ذلك خروجاً عن موضوع إبراهيم عليه السلام وما يتعلق به بل هذه الآية واقعة بين تلك الآيتين مقرّرة ومرسخة عقيدة التوحيد في قلوب أهل الإيمان الذين أشار الله إليهم في الآية التي سبقت تلك الآيات وورد فيها أكمل البيان وذلك بالربط بين آي القرآن ، ومن يتأمل ذلك ويتدبره إلا من أعطاهم الله صفاء الفكر والأذهان وذاقوا حلاوة الإيمان ، نسأل الله تعالى من واسع فضله ورحمته أجزل العطاء ، وفي الخطبة القادمة إن شاء الله يكون الكلام حول دعوته لقومه وزواجه وعمارة البيت العتيق وعن ابنه الذبيح إسماعيل عليهما السلام. جاء قبل هذه الأمثلة الثلاثة عن ولاية الله تعالى لعباده المؤمنين وإخراجهم من الظلمات إلى النور وعن الكافرين وأن الطاغوت هو وليهم ، قوله عز وجل: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٧]. وسبق هذه الآية آية الكرسي أعظم آية في القرآن وبعدها الآية الدالة على عدم الإكراه في الدين بعد أن تبين الرشد من الغي والكفر بالطاغوت والاستمساك بالعروة

الوثقى كلمة التوحيد والإخلاص لكي يتحقق الإيمان ، وأعود لذكر شيء موجز عن الآية التي أعقبت تأييد الله وولايته لإبراهيم بالحجة القاطعة حيث نصره على النمرود ، فهذه الآية عطف على الآية التي قبلها ، وفيها من المشابهة مثل قول الطاغية ولكن هذا الرجل كان غير الطاغية الذي ادعى الألوهية والربوبية والإحياء والإماتة والرزق وغيرها مما دار في ذهن وتفكير ذلك الذي مرّ على القرية الخاوية ، فهذا مُستبعدٌ مُستنكِرٌ كيفية إحيائها بعد موت أهلها وتهدّم مبانيها غير مُدّعٍ لنفسه أي شيء فعندما مرّ على قرية ساقطة سقوفها وجدرانها على عرصاتها وقف متفكراً فيما آل أمرها إليه بعد العمارة العظيمة وقال: ﴿أَنْتَى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] فاعترف بوجود ووحدانية الله ولم يدّع ذلك لنفسه ولكنه استبعد واستنكر واستغرب الكيفية لإحيائها مرة ثانية ولأهلها لما رأى من اندثارها وشدة خرابها وبُعدها عن العُودِ على ما كانت عليه ، فأماته الله عز وجل مائة سنة ثم بعثه بعدما أحيا تلك القرية وأحيا ساكنيها وأراه الآية الكونية الدالة على قدرته عز وجل في حمارة وفي نفسه وفي طعامه وشرابه وجعله آية للناس وعبرة ، وقيل بأن الله عز وجل لما بعثه بعد موته كان أول شيء أحياه فيه عينيه لينظر بهما إلى قدرة الله تبارك وتعالى فيه كيف يحيي بدنه فلما استقل سوياً على قدميه قال الله له بواسطة الملك: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩] ، قال ذلك لأنه مات أول النهار ثم بعثه الله آخره فلما رأى الشمس باقية ظن أنها شمس ذلك اليوم فقال: ((أو بعض يوم)) قال الله عز وجل: ﴿قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةً عَامٍ فَأَنْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩] ، وهذه آية ثانية في الطعام والشراب حيث كان معه العنب والتين وشراب العصير ولم يتغير من ذلك شيء أو يستحيل طوال تلك السنين

العديدة فلم يُنْتِنَ أو يَتَعَفَّنَ أو يخرب أو يستحيل أو يتغير أو ينقص منه شيء كما هي العادة ، والآية الثالثة حمارة الذي أحياه الله عز وجل وهو ينظر إليه حيث جمع الله عظامه المتناثرة وركبها وأعادها كما كانت حيث كساها اللحم والعصب والعروق والجلد وبعث فيها الروح ، والرجل ينظر قدرة الله عز وجل على الإحياء بعد الإماتة مشاهدة أمام عينيه وقلبه وفكره الذي عرف بها الحياة والموت له ولحمارة وعدم تغير طعامه وشرابه، قال تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿البقرة: ٢٥٩﴾ .

دعوة أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام/ 3

1414/5/28 هـ

الخطبة الأولى

الحمد لله ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلُوقِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [غافر: ٢٢] . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها النجاة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وأشهد أن محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب رسول الله وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة. لقد سبق الكلام في الخطبتين السابقتين عن دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه وللطاغية في زمانه النمرود، واليوم نحن في دعوته لقومه أجمعين، وإن كانت دعوته تلك خاصة فهذه عامة للقوم جميعهم ومنهم أبوه وغيره وقد جادلهم عليه السلام، والجدال مشروع لإقامة الحجة على المشركين والمبطلين والمعاندين لعلمهم يهتدون ولبیان ضلال عقولهم وما هم فيه وإظهار الحق على الباطل .

لقد كان إبراهيم عليه السلام دائباً في الدعوة إلى الله لا يفتأ يذكر قومه وعشيرته بعبادة الله وترك عبادة الأصنام. دعا أباه للإيمان فأبى وامتنع ، ثم دعا قومه وتنگروا لدعوته وسخروا من رسالته ، ولكنه كان رحيماً رقيقاً وبراً تقياً فلم تعطه نفسه أن يتركهم في ضلالهم يعمهون دون دعوة وإرشاد ونصح وتوجيه إلى ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة ، فعزم عليه السلام أن يحو ويزيل عنهم تلك العقائد الباطلة ، ويردهم إلى رشدهم وصوابهم ولو ناله ولحقه منهم من الأذى الشيء الكثير أو تعرضت حياته للخطر الجسيم. ولقد كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام ذكياً صائب الرأي، وقد علم أن الحجة والبرهان اللفظيين وإن وضحا وضوح الشمس لا ينبتان نباتاً حسناً في تلك الأرض الجرز في العقول والقلوب المقفلة ما لم تقترن الحجة والبرهان بالحس والبصر فلن تؤتي أكلها، لذلك عزم على أن يشرك أبصار القوم مع بصائرهم ويقرن حواسهم مع أفئدتهم لعلمهم يرجعون عن غيهم لعلمهم يدركون بأنفسهم تفاهة ما هم عليه من عبادة حجارة لا تنفع ولا تضر ولا تشفع ولا تسمع ، ولا تغني عن عابديها شيئاً. كان لقوم إبراهيم عليه السلام يوم عيد

كبير يخرجون فيه خارج المدينة ، ولما اقترب وقت ذلك العيد قال له أبوه يا بني لو خرجت معنا إلى عيدنا لأعجبك ديننا ، ولكنه تظاهر بالسقم والمرض ولم يصحبهم ، وقد عزم من قبل وأسمع بعض القوم عزمه على تحطيم أهلتهم وتكسيرها ، وتظاهره بالسقم والمرض لم يكن للمرض الجسدي المتعارف عليه وإنما لتعبه النفسي والقلبي من عبادتهم من تلك الأصنام ، وفعل ذلك وقاله لِيَخْلُوَ له الجُوُّ لِيَنْقُذَ ما أراد للأصنام ، وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري رحمه الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : ((لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات . اثنتين منهن في ذات الله عز وجل : قوله ((إني سقيم)) وقوله : ((بل فعله كبيرهم هذا)) وقال بينما هو وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة ، فقيل إن ها هنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس ، فأرسل إليه فسأله عنها فقال : من هذه ؟ قال : أختي . فأتى سارة . قال : يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك ، وإن هذا سألني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني فأرسل إليها ، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذه ، فقال : ادعي الله لي ولا أضرك ، فدعت الله فأطلق ، ثم تناولها الثانية ، فأخذه مثلها أو أشد ، فقال : ادعي الله لي فلا أضرك ، فدعت وأطلق فدعا بعض حجبته فقال : إنكم لم تأتوني بإنسان إنما أتيتموني بشيطان ، فأخدمها هاجر ، فأتت إلى إبراهيم وهو قائم يصلي ، فأوماً بيده : مَهَيْم ؟ قالت ردّ الله كيد الكافر . أو الفاجر . في نحره وأخدم هاجر)) قال أبو هريرة : تلك أمكم يا بني ماء السماء . يعني العرب الذين ولدوا من نسلها ونسل إسماعيل عليه السلام ، وماء السماء أي ماء زمزم ، والله أعلم .

وعندما ذهب القوم إلى عيدهم وخلا الجو لإبراهيم عليه السلام حطمها وكسرها بفأسه حتى جعلها جُذاداً ، أي قطعاً صغيرة محطمة متناثرة هنا

وهناك ، وترك صنماً لم يكسره ليقيم الحجة به عليهم وعلّق في عنقه الفأس الذي كان قد حطم به تلك الأصنام ، ورجع القوم من عيدهم وأسرعوا نحو المعبد كعادتهم ليركعوا ويسجدوا ويقدموا فروض الولاء والطاعة والطقوس الجاهلية المعتادة لأصنامهم ، ولكنهم ذهلوا وبُهِتوا من هول ما رأوا ، لقد رأوا أهتهم ركاماً وهشيماً متناثراً في أطراف المعبد ، يعلوها الذلُّ والصغار والهوان ، وصاحوا بصوت واحد: ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٢] ، وسكت الجميع وقتاً يسيراً وهم في غمرة الدهول والخشوع والتساؤلات التي تدور في أفئدتهم وعقولهم بشأن هذه الآلهة المحطمة ، ومن حطمها وتجراً على ذلك ؟ وهل ذلك أمر معقول أن الآلهة لم تستطع عمل شيء حتى الدفاع عن أنفسها ؟ ثم انطلق صوت بعضهم عندما تذكروا توعد إبراهيم عليه السلام لأصنامهم بقوله: ﴿وَتَأْتِيهِمْ بَغْضًا أَكْثَرُ مِنْهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٦] ، واستقر في نفوسهم بأن إبراهيم هو المحطم إذاً للأصنام وعزموا على أن يوقعوا عليه وبه أشد العذاب ويجعلوه عبرة لمن يعتبر جزاء ما صنعت يدها، وقالوا لا بد أن يؤتى به على أعين الناس ليشهدوا مقالته واعترافه ، فإن كان هو الذي فعل فسوف يلقي أشد العذاب ، قال الله تعالى عما ورد على ألسنتهم: ﴿قَالُوا فَاتُّوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٦] ، ويجدر بنا أن نتدبر من خلال الآيات عظمة الإعجاز في القرآن الكريم وأسلوب الاختصار وعموم الألفاظ وشمولية الاستدلال واحتواء المعاني الكثيرة في أوجز الكلمات والعبارات والألفاظ، ولنتدبر الانتقال من موقف إلى موقف ومن قصة إلى أخرى وحادثة إلى غيرها وإن كان بينهما زمن طويل ولكنها تأتي الآيات القرآنية بها كأنها متعاقبة ومتتالية في الحال، وهذا سر عظيم يدل على تحدي الله عز وجل

للجن والإنس جميعاً من أولهم إلى آخرهم حتى لو اجتمعوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بعشر سور أو سورة واحدة من مثله فلن يستطيعوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً . قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ [الإسراء: ٨٨] . ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيراً ﴾ [النساء: ٨٢] لذلك نجد الانتقال الذي مثل هذه الحالات في كثير من آيات القرآن الكريم مثل مجيئهم لإبراهيم عليه السلام بعد أن رأوا مشهد آهتهم المحطمة ومجادلته لهم ثم بعد تقريرهم جميعاً وإجماعهم على إلقاءه في النار وحرقه مع أنهم مكثوا مدة طويلة لجمع الحطب وبناء البنيان المرتفع القريب من الحطب وإشعال النار ومن ثم إلقاءه في النار وجاء أمر الله عز وجل بأن تكون النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام، ولنتدبر هذا من خلال الآيتين الكريمتين المتتاليتين: ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ [٣٨] قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٣٩﴾ [الأنبياء: ٦٨، ٦٩]، ونعود إلى إرادة القوم بالإتيان بإبراهيم عليه السلام أمام الناس المجتمعين والذين يعيشون في ذلك البلد، ومما لا شك فيه أن اجتماعهم ذلك وبتلك الصفة في صعيد واحد أمنية كبيرة وعظيمة يتمناها إبراهيم عليه السلام ليبلغ دين الله عز وجل ويقوم الحجّة على بطلان ما يعتقدوه القوم على مرأى ومسمع من الجميع ، ولكي يريهم البرهان على فساد ما هم عليه عاكفون ، وابتدأت المحاكمة على رؤوس الأشهاد وشخصت الأبصار وتفتحت الأذان واشترأت الأعناق وتناولت ووعت القلوب والأفئدة تلك المحاكمة وتمّ عرضُ الأسئلة وكان أول سؤال قولهم: ﴿ وَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ [الأنبياء: ٦٧]، ولقد كان إبراهيم عليه

الصلاة والسلام داهية حكيماً آتاه الله الحجة والرشد والبرهان فسار بهم في الجدل إلى ناحية أخرى ليبلغ مقصده وهدفه ويبلغ رسالة ربه للناس مهما كانت النتائج ، وجرّهم بطريقة الحكمة إلى جواب لم يقصدوه وليقعوا فيما يتصلون عنه ويتعدون عن الاعتراف به ليلزمهم الحجة لعلهم يرجعون إلى صوابهم فقال: ﴿ بَلْ فَعَلَهُم كَيْرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٦] وشفعهم بهذه الحجة الدامغة التي نَبَّهتْهم من غفلتهم وأيقظتهم من رقدتهم وأوقعتهم في الاعتراف بالحق وبطلان ما هم عليه، وأقبل بعضهم على بعض كل يلوم صاحبه كما قال الله عنهم: ﴿ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٦] . وأصبحوا في حيرة من أمرهم وعقدت ألسنتهم وتنكست رؤوسهم وقالوا له: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَمَا هَتُؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٦] ، أي أن تلك الأصنام لا ترد على سؤال ولا تسمع كلاماً فكيف تأمرنا بسؤالها فهي حجارة صماء جامدة عاجزة قاصرة عن معرفة ما يجري حولها مجردة من القدرة على دفع العدوان عليها ، حينئذٍ ظهرت حجة إبراهيم عليه السلام واضحة جلية ، وأُتِيحَتْ له الفرصة لإلزامهم المنطق السوي السليم ، ووجههم على تمسكهم بباطلهم بعد أن اتضح الحق وسطع كالشمس في رابعة النهار، قال تعالى فيما ورد على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ [١١] أَوْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [١٧] قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ [١٨] قُلْنَا يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ [١٩] وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾ [٢٠] [الأنبياء: ١١-٢٠]

دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام/ 3

الخطبة الثانية

الحمد لله الحليم الملك البر الرءوف الرحيم القائل للشيء ((كن فيكون)).
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً
عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.
أما بعد: فلما غلب القوم على أمرهم وخافوا من افتضاح حالهم وعجزهم
عن مقابلة الحق واندحارهم أمام الحجّة والبرهان ، ولم تبق لهم حجة أو شبهة
يكابرون ويعاندون بها عندما أصابهم العجز عمدوا إلى القوة يستترون بها
هزيمتهم ويخفون معها باطلهم، وهذه سنة فيمن تكون حاله كحالهم مع
الرسول والأنبياء والدعاة والمصلحين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها،
ولكن الله لهم بالمرصاد في العاجل والآجل في الدنيا والآخرة ﴿إِنَّ رَبَّكَ
لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٠٠﴾﴾ [الفجر:١٠٠]، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشدُّ وَأَبْقَى ﴿١٠١﴾﴾ [طه:١٠١]، فعزموا
على حرق إبراهيم عليه السلام في نار تتلظى مقابل الحقد والغل الذي
يتأجج في صدورهم من جراء تحطيمه لأهنتهم ، فشرعوا يجمعون الحطب من
هنا وهناك وجعلوا ذلك التجميع قرباناً لأهنتهم براً بها وتقرباً إليها كما
يزعمون حتى إن المرأة المريضة تنذر إن عوفيت لتحملن وتجمعن حطباً لحريق
إبراهيم، ومكثوا مدة يجمعون الحطب وأشعلوا النار واضطرت وعلا لهيبها
وسطع ضوءها ورموه في النار بواسطة المنجنيق أو البنيان المرتفع الذي بنوه
قريباً منها كما ورد في آية أخرى من آيات القرآن الكريم ﴿قَالُوا أَبْنُوا لَهُمْ
بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصفات:١٠٢]، والآية وإن كانت نصاً صريحاً
في إثبات البنيان إلا أن التفصيل لم يرد في السنة المطهرة ، وسواء كان ذلك
البنيان للحطب لتجتمع قوة النار ولهيبها وجحيمها ولتمكث زمناً طويلاً
للتأكد من حرق إبراهيم حتى إن الطير التي تمر في الهواء لتحترق من شدة

حرارتها، أو كان ذلك البنيان المرتفع لإلقاء إبراهيم في النار فالمهم أنه أُلقي في تلك النار سواء بواسطة المنجنيق أو البنيان، ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: بَنَوْا حَائِطًا مِنْ حِجَارَةٍ طَوَّلَهُ فِي السَّمَاءِ ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا وَمَلَأُوهُ نَارًا وَطَرَحُوهُ فِيهَا. لكن الله عز وجل اللطيف الخبير القائل للشيء كن فيكون جعلها برداً وسلاماً على إبراهيم وأبطل مفعولها من حيث الحرارة والتحريق ، وَرَدَّ كَيْدَ الْكَافِرِينَ فِي نُحُورِهِمْ وَجَعَلَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَوْ أَنَّ الْقَوْمَ يَعْقِلُونَ وَيَعْتَبِرُونَ وَيَتَعَذَّبُونَ وَلَكِنْ أُنِيَ لَهُمْ ذَلِكَ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَلَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ تَوْمَرُ الْقَيْمَةَ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿ العنكبوت: ٢٥، ٢٦ ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ قُلْنَا يَنْفَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿ الأنبياء: ٦٨، ٦٩ ﴾ .

روى البخاري رحمه الله من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار قال : (حسي الله ونعم الوكيل). وقال رضي الله عنهما: (لو لا أن الله عز وجل قال وسلاماً لآذى إبراهيم بردها). قال بعض العلماء: جعل الله فيها برداً يرفع حرها ، وحرراً يرفع بردها فصارت سلاماً عليه ، قال أبو العالية: ولو لم يقل برداً وسلاماً لكان بردها أشد عليه من حرها، ولو لم يقل: ((على إبراهيم)) لكان بردها باقياً على الأبد، وورد أن مولاة الفاكه بن المغيرة المخزومي قالت: دخلتُ على عائشة رضي الله عنها فرأيت في بيتها رمحاً، فقلت: يا أم المؤمنين ما تصنعين بهذا الرمح ؟ قالت نقتل به هذه الأوزاغ ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن

إبراهيم حين ألقى في النار لم يكن في الأرض دابة إلا تطفئ النار غير الوزغ فإنه كان ينفخ على إبراهيم ، فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله)). ويستفاد من هذا الحديث على أن النبيان لم يكن من جميع الجهات وأنه بُني لإقحام إبراهيم في النار، والله أعلم ، ومن شدة توكل إبراهيم عليه السلام على الله رب العالمين ومن قوة إيمانه وتوحيده لله أنه في تلك الحالة الحرجة واللحظات والثواني القليلة عن إلقاءه في النار يعرض عليه جبريل عليه السلام مساعدته كما ورد في الحديث يقول له جبريل: هل لك إلي حاجة ؟ ويقول إبراهيم عليه السلام: أمّا إليك فلا، وأما إلى ربي فبلى ، أي نعم لي حاجة في كل لحظة ومع كل نفس من أنفاسي ، إنه الإيمان الراسخ الذي لا يتزعزع كالجبال الصم الشوامخ . ولنستمع إلى هذه الآيات في سورة الأنبياء ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥٠﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ أَلَّتْىَ أَنْتُمْ لَهَا عَكْفُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عِبْدِينَ ﴿٥٢﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٣﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٤﴾ قَالَ بَلْ رُبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٥﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٦﴾ فَجَعَلَهُمْ جُدُذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٥٩﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦٠﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦١﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٢﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ

وَأَنْصُرُوا ءَاهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَعَلِينَ ﴿٣٨﴾ قُلْنَا يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ
إِبْرَاهِيمَ ﴿٣٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٤٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى
الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٤١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً
وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٤٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ
الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عِبِيدِينَ ﴿٤٣﴾ ﴿ الأنبياء: ٤٣-٤٠ ﴾

دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام / 4

1414/6/6هـ

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد: فإن مواصلة الحديث مع أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام متعة وفائدة عظيمة لاستخراج الدروس والعظات والعبر سواء ذكرت صريحة أو استنبطها كل شخص بنفسه ، فهي واضحة جلية لكل من كان فضلاً عن ذوي الفراسة من أهل الصدق والإيمان . لقد ذكر الله عز وجل نجاة إبراهيم عليه الصلاة والسلام من مكر الماكرين الكفرة المعاندين من قومه ومما خططوا له وصنعوا من المكر والكيد العظيم ، لقد هاجر عليه الصلاة والسلام بعد ذلك ومعه زوجته سارة ووالده ومعه أيضاً ابن عمه لوط عليه الصلاة والسلام ، هاجروا من بابل إلى بلاد المقدس الأرض المباركة التي ذكر

الله عنها ذلك في القرآن الكريم ومكثوا مدة بأرض فلسطين، وعندما عمها القحط والجذب رحل إبراهيم عليه السلام ومعه زوجته سارة إلى أرض مصر وذلك بعد وفاة والده ، وكانت سارة ذات جمال باهر كما ورد ذلك في الحديث الذي رواه الإمام مسلم رحمه الله ، وكان جمالها هو السبب في محاولة اعتداء الطاغية الجبار عليها وكان هو السبب أيضاً بأن وهبها وأخدمها هاجر لتخدمها حيث قال بأن هذه لا تصلح أن تخدم نفسها بعد أن عصمها الله منه ، وجاء في صحيح مسلم في حديث الإسراء الطويل من رواية ثابت بن أنس في ذكر يوسف بأنه أُعطي شَطْرَ الحُسْنِ ، وزاد أبو يعلي من هذا الوجه : أُعطي يوسف وأُمَّه شَطْرَ الحسْنِ . يعني سارة . وكما في الحديث الصحيح الذي أثبت ذلك في موقفها معه من حيث جمالها فوشى وسعى بخبرها أحد بطانة السوء عند الملك الجبار في زمانه، وقد كان ذلك الطاغية لا يسمع برجل عنده امرأة جميلة إلا أخذها منه اغتصاباً ، وهكذا يفعل الطغاة في كل زمان ، ويسعى أذنانهم من بطانة السوء يتملقون ويتزلفون بأعراض الناس إلى أهل الكفر والطغيان والفسق والانحلال ليصلوا هم إلى ما يريدون من أولئك الطغاة وفي كثير من الأحيان يعتدون هم على أعراض أولئك الطغاة وكما تدين ثُدان ، ومن أسوأ المصائب التي تنزل بالرجال الغيورين على اختلاف مللهم ونحلهم وبالمؤمنين خاصة هو انتهاك أعراض نسائهم سواء كن زوجات أو بنات أو أمهات أو أخوات أو غير ذلك ، وبهذه الطريقة البشعة المنتنة العفنة التي سوف يجد الظلمة أليم عقابها في الدنيا والآخرة نجدهم يستخدمونها سلاحاً فتاكاً لضرب المسلمين في أعزّ شيء عليهم بعد إسلامهم ، في أعراضهم وشرف نسائهم، وما يسمع عنه العالم اليوم من اغتصاب للنساء المسلمات على مرأى ومسمع من أقاربهن

ويقع ذلك على سمع الناس أجمعين وقد يكون على مرأى إنما هو صورة طبق الأصل لما يمارسه الظلمة والطغاة ضد المسلمين في كل زمان ، وهذا ما تتناوله وسائل الإعلام بين حين وآخر وذلك شيء يندى له الجبين ، عشرات الآلاف من النساء المسلمات في هذه الأعوام القليلة القريبة اغتصبن واعتُدي على أعراضهن بكل وحشية وحيوانية متناهية، وآخر خبر ذُكر في إحدى الصحف المحلية قبل يوم واحد فقط هو ما وقع لنساء عدة في الصومال ومنهن امرأة اغتصبت وانتهك عرضها أمام أولادها الخمسة، وفي البوسنة انتهك عرض عروسة أمام زوجها العريس واقتُلعت عيناه بعد ذلك لكيلا يرى الدنيا وما يدور فيها بعينيه ، لقد ماتت عواطف المسلمين وتبلدت أحاسيسهم وكأنَّ شيئاً لا يعينهم من بعيد أو قريب، لقد وصل وضع المسلمين في حال لا يُحمدون عليها في هذا الشأن وغيره بين الأمم، وإلا فأين الاهتمام بأمور المسلمين؟ أين الغيرة على أعراض المسلمات في كل مكان؟ أين نخوة المعتصم عندما سيّر جيشاً لنصرة ونجدة امرأة قالت وامعتصماه ، ما بالناس لو أن يهودية أو نصرانية أو أي امرأة أخرى من ملل الكفر اغتصبت وانتهك عرضها فماذا يكون موقف دول الكفر والطغيان ومنظمات حقوق الإنسان؟ إنه غشاء السيل والوهن الذي هو حب الدنيا وكراهية الموت الذي أخبر عنه رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم في قلوب المسلمين والواقع في هذه الأيام في آخر الزمان ، فيألى الله المشتكى ولا حول ولا قوة إلا بالله وإنا لله وإنا إليه راجعون وهو حسبنا ونعم الوكيل.

بتلك الأساليب الوحشية البشعة من قديم الزمان تُستخدم أعراض نساء المسلمين ليصل الأعداء إلى ما يريدون ولكن الله لهم بالمرصاد . لقد صان الله سارة من اعتداء الجبار الطاغية إكراماً لها وللخليل إبراهيم عليه السلام

ولتكون آية للناس هي وهاجر أم إسماعيل، لقد شلَّ الله يد الطاغية وأيسها حتى لا يستطيع حراكها واعترف بقدره الله عز وجل وطلب منها أن تدعو الله له ليطلق يده مرتين أو ثلاثاً ، وبذلك ثبت الخبر عن سيد البشر في الحديث الصحيح الذي رواه الإمامان الجليلان والذي سبق ذكره في الخطبة السابقة ولا بأس بإعادته حيث قال رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم عن إبراهيم عليه السلام: ((بينا هو وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة وقيل له : إن هاهنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنه فقال من هذه ؟ فقال: أختي . فأتى سارة . قال : يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك ، وإن هذا سألني عنك فأخبرته أنك أختي ، فلا تكذبنني، فأرسل إليها، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذه ، فقال ادعي الله لي ولا أضرك ، فدعت الله فأطلق ، ثم تناولها ثانية ، فأخذ مثلها أو أشد ، فقال: ادعي الله لي فلا أضرك ، فدعت فأطلق ، فدعا بعض حجبه فقال إنكم لم تأتوني بإنسان إنما أتيتم لي بشيطان ، فأخدمها هاجر فأتته وهو قائم يصلي . أي إبراهيم . فأوماً بيده : مهيم . أي ما الخبر . قالت : رد الله كيد الكافر- أو الفاجر . في نحره ، وأخدمها هاجر)) . قال أبو هريرة رضي الله عنه تلك أمكم يا بني ماء السماء . يعني العرب الذين ولدوا من نسلها ونسل إسماعيل ، وماء السماء أي ماء زمزم والله أعلم . وعاد إبراهيم عليه السلام من أرض مصر إلى أرض فلسطين ومعه زوجته سارة وأمتها هاجر التي أخدمها إياها الطاغية ، وكانت سارة عقيماً لا تلد ، وكان يحزنها أن ترى زوجها وحيداً ليس له ولد ، فقد أصبحت هي على حال لا يرجى أن تأتي بعده بمولود لأنها قد تجاوزت سن السبعين وبلغت من الكبر عتياً ، ولم تعلم بأن الله سوف يجعلها آية لحملها على الكبر بعد ذلك بسنين أخرى بإسحاق عليه السلام ، فما كان منها

إلا أن أشارت على إبراهيم بأن يدخل بأمته هاجر بعد أن وهبتها له لعل الله يرزقه منها غلاماً زكياً تشرق به حياته ويكون عوناً لأبيه على تحمّل مشاقّ الحياة فاستجاب إبراهيم عليه السلام لرأيها وتزوج هاجر وأنجبت له غلاماً زكياً ((هو إسماعيل)) عليه السلام الذي كان من نسله خاتم النبيين وسيد المرسلين رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وشاركت سارة زوجها وضرتها في الفرح والسرور بإسماعيل ولكن الغيرة الموجودة في النساء لم تلبث أن دبّت إلى قلبها وتسلّلت إلى فؤادها وعصفت بها أعاصير كثيرة من الحزن والألم ، وحُرِمَت الهدوء والهجوع ، وأصبحت لا تطيق النظر إلى الغلام ولا تحتمل رؤية هاجر ، وهذا شأن معظم النساء مع جاراتهن اللاتي يشاركنهن الحياة مع الأزواج ، ولا غرابة في ذلك الطبع وتلك السجية فهي فطرة موجودة فيهن من قديم الزمان ومروراً بأزواج الرسول صلى الله عليه وسلم وانتهاءً بنساء زماننا ومن بعدنا إلى أن تقوم الساعة. ولكن الغريب هو مكر النساء اللاتي تغلبن بها وفيها على الشيطان، والشيطان كيده ضعيف ، أما النساء فكيدهن ومكرهن عظيم وذلك بنص القرآن الكريم قال تعالى عن كيد الشيطان ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ۝٧٦ ﴾ [النساء: ٧٦] . أما عن النساء فذكر الله عز وجل عنهن في قوله عز شأنه: ﴿ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ أَنْ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۝٧٨ ﴾ [يوسف: ٧٨] . ولنا مع هذا الموضوع إن شاء الله وقفة عند الحديث عن الزوجات . أعود للقول بأن سارة لم تعد تحتمل رؤية هاجر وابنها الرضيع إسماعيل ولم تجد دواء لقلبها إلا أن تطلب من أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام أن يقصّيها ويبيدها هي وابنها عن دارها ويبيدهما عن عينيها ، فاستجاب إبراهيم لطلبها لحكمة يريدّها الله ويعلمها، فأخذها إبراهيم عليه السلام وسار بهما يقطع الصحاري والقفار والمفازات الطويلة

من أرض فلسطين إلى جبال مكة الجرداء في حينها ذلك البلد الذي لم يكن به ساكن ولا أنيس من البشر ، فتركهما قرب زمزم ومعهما جرّابٌ فيه تمرٌ وسقّاءٌ فيه ماءٌ، ولحقته أم إسماعيل وهي تقول يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت الله أمرك بهذا؟ قال نعم: قالت إذاً لا يضيعنا ، ثم رجعت. إنه الإيمان والعقيدة الراسخة والثقة والتوكل على الله رب العالمين، الإيمان الذي يصنع الأعاجيب ويأتي بالغرائب التي لا تكاد تُصدق ، فكيف تطمئن نفس إبراهيم عليه السلام إلى أن يترك ابنه الرضيع مع أمه في مكان موحش قفر ليس به ساكن ولا أنيس ، وكيف رضيت هاجر أن تبقى وحيدة فريدة في بقعة جرداء ليس فيها طعام ولا ماء ولا مسكن ولا أيُّ بشرٍ يمشون على وجه الأرض بجوارها ، وكيف تصبر على التعرض للجوع القتال والعطش المميت والذئاب الموحشة الضارية خاصة عندما يسدل الليل أستاره من الظلام الدامس؟ إنه الإيمان الذي غمر قلبيهما أي إبراهيم وهاجر وأضفى عليهما الأنس والراحة والثقة بوعد الله عز وجل حتى ضحياً براحتهما وبحظوظ نفسيهما في سبيل تنفيذ أمر الله تبارك وتعالى ، ولما ابتعد إبراهيم عليه السلام عن زوجته وابنه التفت إلى جهة البيت ووقف يدعو بهذه الدعوات: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ١٧] .

دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام / 4

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وآله .

أما بعد: فروى البخاري رحمه الله من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال: ((يرحم الله أم إسماعيل لولا أنها عجلت لكان زمزم عيناً معيناً)) . وروى البخاري أيضاً عن سعيد بن جبّير رحمه الله: قال ابن عباس رضي الله عنهما: (أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم وبانها إسماعيل وهي ترضعه . حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس ماءً فوضعها هنالك ، ووضع عندهما جراباً فيه تمرٌ وسقاءٌ فيه ماء ، فقئى إبراهيم منطلقاً ، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء ، فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت ءالله أمرك بهذا ؟ قال: نعم ، قالت: إذاً لا يضيعنا ، ثم رجعت ، فانطلق إبراهيم حتى كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ [إبراهيم: ١٢٧] ، وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى . أو قال يتلَبَّط . فانطلقت كراهية

أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً ، فلم ترَ أحداً ، فهبطت من الصفا ، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً فلم ترَ أحداً ففعلت ذلك سبع مرات . وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((فذلك سَعِي الناس بينهما)). فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت صَهٍ . تريد نفسها . ثم تسمعت أيضاً فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث ، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه . أو قال بجناحه . حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء بسقائها وهو يفور بعد ما تغرف . قال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم . أو قال لو لم تغرف من الماء . لكانت زمزم عيناً معيناً)) ، قال فشربت وأرضعت ولدها ، وقال لها الملك لا تخافوا الضيعة ، فإن هاهنا بيتاً لله بينه هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله ، وأشار إلى أكمة أي مرتفع من الأرض كالرابية ، تأتيه السيول وتأخذ عن يمينه وشماله ، فكانت كذلك . أي هاجر . حتى مرت بهم رفقة من جرهم . أو أهل بيت من جرهم . مقبلين من طريق كداء ، ونزلوا في أسفل مكة فرأوا طائراً عائفاً ، فقالوا إن هذا الطائر ليدور على ماء ، عهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء ، فأرسلوا جرياً أو جريين فإذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبروا بالماء ، فأقبلوا . قال وأم إسماعيل عند الماء . فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ فقالت: نعم ، ولكن لا حقّ لكم في الماء ، قالوا: نعم . قال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((فألقى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس)) فنزلوا ، وأرسلوا

إلى أهلهم فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم ، وشبَّ الغلام وتعلم العربية منهم ، وأنفسهم وأعجبهم حين شب ، فلما أدرك زَوْجُوه امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته ، فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج بيتغي لنا، ثم سألتها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت نحن بشرٌّ ، نحن في ضيق وشدة. فشكت إليه. قال فإذا جاء زوجك فأقرئي عليه السلام وقولي له يغيّر عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل كأنه أنس شيئاً فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم ، جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته ، فسألني كيف عيشنا؟ فأخبرته أنا في جهْد وشدة. قال فهل أوصاك بشيء؟ قالت نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول غيّر عتبة بابك ، قال ذلك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك ، إلحقي بأهلك ، فطلقها، وتزوج منهم أخرى. فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ، ثم أتاهم بعد فلم يجده ، ودخل على امرأته فسألها عنه فقالت خرج بيتغي لنا. قال كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة، وأثنت على الله ، فقال ما طعامكم؟ قالت: اللحم. قال: فما شرابكم؟ قالت الماء ، قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء. قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((فلم يكن يومئذ حَبًّا ، ولو كان لهم دعا لهم فيه)) قال: ((فهما لا يخلوا عليهما أحد بغير مكة إلا ولم يوافقاه)). أي أن الإنسان في غير مكة إذا لم يأكل سوى اللحم والماء فإنه يشتكي الألم في بطنه كما في حديث أبي جهل ، قال فإذا جاء زوجك فأقرئي عليه السلام، ومُريه يثبّت عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل قال هل أتاكم من أحد؟ قالت نعم ، أتانا شيخ حسن الهيئة . وأثنت عليه . فسألني عنك فأخبرته ، فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير. قال: فأوصاك بشيء؟ قالت نعم ، هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن

تثبتت عتبة بابك ، قال ذلك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك ، ثم لبث عنهم ما شاء الله ، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبني نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم ، فلما رآه قام إليه ، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ، ثم قال إن الله أمرني بأمر ، قال فاصنع ما أمرك ربك . قال وتعينني ؟ قال وأعينك . قال فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتاً . وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها . قال فعند ذلك رفعا القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني ، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة . قال فجعلا بينان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧] . ولا يزال هذا الحجر معلماً بارزاً وآية واضحة دالة على موضع قدمي إبراهيم عليه السلام ، وقد أمرنا ربنا تبارك وتعالى بأن نصلي خلف ذلك المقام إذا أمكن من غير مزاحمة اتباعاً لسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعد الطواف فقال عز وجل : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة: ١٢٥] .

دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام/5

1414/6/13 هـ

الخطبة الأولى

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً .

أما بعد: فلقد عقد البخاري رحمه الله باباً حول هذه الآية: ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٤] . وأورد أدلة وأحاديث عدة متعلقة بإسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام ،

والجمهور على أنه هو المقصود في الآية الكريمة السابقة الذكر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً)). ففي هذه العبارة من الحديث فوائد عدة منها: أن قريشاً من ذرية إسماعيل ، وإثبات الرمي لإسماعيل عليه السلام ، وهذا يثبت قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام عندما أتى مرتين وكذلك الثالثة فكان إسماعيل في الصيد في المرتين وفي الثالثة يبزي نبلاً له تحت دوحة قرب زمزم .

وكما سبق القول فإن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ابتلي بأنواع الابتلاء والامتحان وصبر صبراً عظيماً وخرج من كل امتحان راسخ الإيمان ثابتاً ثبات الجبال الرواسي لم يتزعزع ولم يضطرب، وإن كان قد ابتلي في نفسه وزوجته عندما حاول الطاغية الاعتداء عليها واغتصابها، وقام عليه الصلاة والسلام يصلي ويدعو الله تعالى وجاءته وهو قائم يصلي بعد أن نجاهها الله عز وجل ، ومحتته في نفسه عندما أوقدوا له النار العظيمة وألقوه فيها، وهذه وغيرها لا شك أنها من المحن الأليمة ، ولكن الابتلاء والامتحان الذي كان أشد مما سبق حين أمر بذبح ابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام، ولكنه مع هذا كان مثالاً للعبودية والطاعة والإذعان لأوامر الله دون تردد، لذلك كان قدوة للأنبياء والرسل، بل كان أمة بمفرده ، ولا عجب فيمن اتخذ الله خليلاً وأثنى عليه سبحانه وتعالى في عدة آيات من القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]. وقال عز شأنه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]، وقد أثنى الله عليه وعلى ملته وعقيدته الحققة في آيات عدة من القرآن الكريم ، قال تعالى لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ليقول لقومه وللناس جميعاً: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا

كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١١﴾ [الأنعام: ١١١]. وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ [البقرة: ١٢٢] ، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ [النحل: ١٢٣]، وقال جل جلاله: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٤﴾ [البقرة: ١٢٤] وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٥﴾ [آل عمران: ١٢٥].

وكما سبق الكلام بأن إبراهيم عليه السلام لم يُرزق بابنه إسماعيل إلا بعد أن كبر في السن وذلك من هاجر، ثم رزقه الله من سارة أيضاً على الكبر إسحاق عليهم الصلاة والسلام جميعاً. وليتصور كلُّ منا لو لم يرزق من الأولاد بنين أو بنات إلا بواحد على الكبر وفي آخر حياته وامتنحن وابتلي في ذلك المولود بشيء يسير ماذا تكون حال الواحد منا المبتلى؟ فما بالنا لو كان الابتلاء والامتحان أعظم؟ إنه لا يعرف نعمة هبة الأولاد للإنسان إلا من حُرّمها، مع أنهم فتنة لا شك في ذلك، ومنهم العدو أيضاً، ولكن الحرمان طوال الحياة من فتنتهم تجعل الإنسان يعيش حياة غير مستقرة إلا ما شاء الله، قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٣٥]. وقال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوَ الْكُفْرُ وَأَوْلَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٦٦﴾ [الأنفال: ١٦٦] وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغَفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ إِنَّمَا آمَوَ الْكُفْرُ وَأَوْلَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٦٨﴾ [التغابن: ١٦٨]، لقد رأى إبراهيم عليه السلام في منامه رؤيا — ورؤيا الأنبياء حق كما جاء بذلك

الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر الله عز وجل في القرآن الكريم قصة تلك الرؤيا وتنفيذها وما قبلها وما بعدها في آيات مختصرة تهمز النفس البشرية وتوقظ الحس الغافل وتنبه الإحساس المرهف عند ذوي اليقظة والإدراك ، رأى إبراهيم عليه السلام أن الله تعالى أمره بذبح ابنه البكر (إسماعيل) عليه السلام الذي كان قد رزقه على كبر وشيخوخة ، فلما بلغ مبلغ الرجال وجاءت فائدته في السعي والخدمة على والديه إذا بالوحي الإلهي يأتيه في المنام بذبح إسماعيل فهل تردّد أو تلكأ إبراهيم عليه السلام ؟ وقال تلك رؤيا ، أو حاول أن يتأول تلك الرؤيا أو ينتظر ؟ أو يتنصل ؟ لم يحصل شيء من ذلك في نفس أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام ولا في تصرفاته ، إنما كان موقفه الإذعان والتسليم لله رب العالمين والتنفيذ لما أمر به وإن كان في المنام ، ولكنه أراد عليه الصلاة والسلام أن يختبر ابنه ليرى استجابته وطاعته لله عز وجل فقال له: ﴿يَبْنِيْ اِنِّيْ اُرِي فِي الْمَنَامِ اَنِّيْ اَذْبَحُكَ فَاَنْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [الصافات: ١٧]، عرض عليه ذلك الأمر ليكون أطيب لقلبه ، وأهون وقعا على نفسه فيما لو أخذه بالقوة والشدة دون رغبة وانقياد واستسلام لقضاء الله وقدره ، ولكنه الذرية والنبات الحسن ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٦٣]، بادر الغلام الحلیم مسرعاً واستجاب استجابة أثلج بها صدر والده وأرضى بها ربه واستسلم لقضاء الله وقدره وأنقذه الله جزاء استجابته واستسلامه وفداه بذبح عظيم ونجاه الله من ذلك الكرب العظيم الذي وقع على نفسه ونفس والده. وكان رده على أبيه حين أخبره عن الرؤيا: ﴿قَالَ يَا بَنِيَّ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيْ اِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِيْنَ﴾ [الصافات: ١٧]، برّ عظيم ، وتوفيق من الله كبير ، وإيمان يزعرع الجبال . من الوالد وولده . تظهر فيه العبودية لله رب العالمين ، العبودية الحقّة في

أكمل صورها من الأب وابنه ، الأب يُؤمر في المنام فيسارع إلى تنفيذ أمر الله ، والابن يُستشار فيلبي طلب والده طائعاً مستسلماً لحكم الله وكأنَّ الأمر جرعة ماء لا غير. أراد الولد أن يخفف عن أبيه لوعة وشدة وقع الأمر وحنان الأبوة، فأرشده إلى أقرب السبل وأيسر الطرق ليصل إلى قصده ، فقال: يا أبت اجعل لي وثاقاً، وأحكِم رباطي لكيلا أضطرب ، وألقني على وجهي وبطني وخذ شفرتك وأسرع إمرازها على حلقي ليكون أهون علي ، فإن الموت شديد، ووقعه أليم.

ونقذ إبراهيم وصية ابنه وفلذة كبده ووحيدة في لحظته ، ولما كبته على وجهه وأمر السكين على رقبته ليدبجه من قفاه لم تقطع السكين شيئاً بل انقلبت في يده وكأنها قطعة من خشب، وجاء نداء رب العالمين بفداء إسماعيل بالذبح العظيم من الجنة، وانقلب الحزن إلى سرور أبديّ ونجاة من العذاب الأليم وفوز بجنات النعيم ورضوان من الله أكبر، ذلك الفوز العظيم. قال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصفات: ١٧] قال: خرج عليه كبش من الجنة قد رعى قبل ذلك أربعين خريفاً، فأرسل . أي أطلق . إبراهيم عليه الصلاة والسلام ابنه ، واتبع الكبش بعد أن ذهب به جبريل إلى جمرة العقبة وعرض له الشيطان فأخرجه إلى الجمرة الأولى ، فرماه بسبع حصيات ، ثم أفلته عندها، فجاء إلى الجمرة الوسطى فأخرجه عندها، فرماه بسبع حصيات، ثم أفلته، وأدركه عند الجمرة الكبرى ، فرماه بسبع حصيات ، فأخرجه عندها ثم أخذه فأتى به المنحر من منى فذبحه ، فوالذي نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الإسلام وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة حتى وحش ، يعني يبس.

إن رمي الجمرات والنحر أيام التشريق سنة أبينا إبراهيم عليه السلام وهي من ملته الحنيفية التي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم باتباعه فيها، وأمرنا

كذلك بها في إسلامنا. قال تعالى مخبراً عن إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَّهْدِينِ ﴿١١﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبُنْيَىٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَتَأَبَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٥﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنِ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٦﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلْتَأُ الْمُؤْمِنُ ﴿١٨﴾ وَقَدَيْنَاهُ بِدَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٩﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٢٠﴾ سَلَّمَ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ ﴿٢١﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿٢٥﴾ [الصفات: ١١-٢٥] ﴿

دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام/ 5

الخطبة الثانية

الحمد لله الملك البر الرؤوف الرحيم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله .

أما بعد: فإن عداوة اليهود والنصارى متأصلة في نفوسهم ومستديمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولن يرضوا عن المسلمين إلا بإخراجهم عن ملة الإسلام واتباع ملة اليهود والنصارى وذلك حسداً من عند أنفسهم كما أثبت ذلك رب العزة والجلال في آيات عدة من القرآن الكريم وثبت أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأحاديث التي نطق بها عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقال عز وجل: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ

مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴿البقرة: ١٧٦﴾، وحول الذبيح هل هو إسماعيل أو إسحاق يدعي اليهود أنه إسحاق مع علمهم بالحقيقة بأن إسحاق والد يعقوب الذي هو إسرائيل ينتسب اليهود إليه، وبالمناسبة فالتسمية الصحيحة لبني إسرائيل كما ذكر في القرآن الكريم وفي سنة الرسول صلى الله عليه وسلم هي اليهود أو بنو إسرائيل وليس كما نسمع مما درج على الألسنة عندما يذكرون الصهاينة اليهود في فلسطين يقولون عنهم إسرائيل ، فإسرائيل هو يعقوب عليه السلام، وأيضاً التسمية الصحيحة للنصارى أتباع عيسى عليه السلام النصارى ، وليس كما يسميهم الناس بالمسيحيين ، بل هم النصارى ، تلك هي التسمية الحقيقية لليهود والنصارى ، كما هو الحال في المسلمين لا أحد يقول محمديون ، فالنسبة والتسمية هنا للدين لا للأشخاص . أعود للقول بأن اليهود كما حرفوا التوراة يريدون تحريف القرآن الكريم مع وضوحه التام وحفظ الله عز وجل له من أي تحريف ، فهم قوم جُتت وافتراء لا يقرون بأن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء ، وإن كان الذبيح أي واحد من الاثنين سواء إسماعيل أو إسحاق فكلاهما كان طيباً طاهراً مطيعاً لله عز وجل ، وإسحاق عليه السلام لم يولد لسارة إلا بعد ثلاث عشرة سنة تقريباً من ولادة إسماعيل ، ثم إن إسماعيل هو الذي كان بمكة وإسحاق في فلسطين، والحادثة كانت في مكة المكرمة ، ثم إن الله سبحانه وتعالى ذكر البشارة بهذا الغلام ولما بلغ معه السعي رأى في المنام أنه يذبحه وذكر قصته حتى النهاية فبعدها بشره الله عز وجل بنص القرآن الكريم الذي لا شك فيه بإسحاق وذكر إسماعيل ضمناً وذرية الاثنين أيضاً وهذا دليل واضح لاغموض فيه ، قال تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣١﴾ وَبَرَكَاتًا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِمَّن ذُرِّيَّتُهُمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [الصفوات: ١٣١، ١٣٢] والضمير هنا عائذ

على إسماعيل في قوله تعالى: ((وباركنا عليه)). ويعود أيضاً على إسماعيل وإسحاق في قوله عز وجل: ((ومن ذريتهما)). ولأن هذه الآية جاءت خاتمة للآيات التي تتحدث عن إسماعيل الذبيح ، ومن أحسن ما استدل به على أنه إسماعيل وليس إسحاق قول الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَآءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] فكيف تقع البشارة بإسحاق وأنه سيولد له يعقوب ثم يؤمر بذبح إسحاق قبل أن يولد له ، فهذا لا يكون لأنه يناقض البشارة المتقدمة في الآية، روى ابن إسحاق عن بريدة ابن سفيان الأسلمي عن محمد بن كعب القرظي: أنه حدثهم أنه أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهودياً فأسلم وحسن إسلامه ، وكان يرى أنه من علمائهم وسأله عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن ذلك ، قال محمد بن كعب: وأنا عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر: أيّ ابني إبراهيم أمرَ بذبحه ؟ فقال: إسماعيل والله يا أمير المؤمنين ، إن يهود لتعلم بذلك ، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكن أباكم الذي كان من أمر الله فيه ، والفضل الذي ذكر الله تعالى منه بصبره ولما أمر به ، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق لأن إسحاق أبوهم ، وكما هو معلوم أن الموافقة حصلت بمكة فمعلوم أيضاً لدى المسلمين بأن إسماعيل عليه السلام هو الذي ساعد أباه إبراهيم عليه السلام في بناء الكعبة المشرفة وذلك بنص القرآن الكريم وصحيح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ورد بأن إسماعيل كان يناول أباه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام الحجارة وجعلا يدوران حول البيت ويقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧] ونص الآية الكريمة قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧] والآية التي قبل هذه بآية: ﴿وَعَهْدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ

وَأَلْعَلِّفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٧٤﴾ [البقرة:٧٤]. والملائكة لما بشرت سارة بإسحاق وهي عجوز إنما كان ذلك عندما مروا وذهبوا إلى لوط وأهلكوا قومه ، وكان ذلك بعد زمن من ولادة إسماعيل من هاجر ، والأدلة كثيرة متعددة وأوردت بعضها باختصار للعلم الذي يجب إظهاره وعدم كتمانها ، ومن ابتغى المزيد فعليه بالرجوع إلى أمهات الكتب بعد فهم كتاب الله عز وجل وما ورد فيه وفي صحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قوم لوط عليه الصلاة والسلام / 1

1415/7/7هـ

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً.

أما بعد: فلا يزال الحديث موصولاً بسابقه عن اللوطية والشذوذ الجنسي وأصحابه وعن جاهلية أولئك القوم الذين لم يسبقهم أحد إلى ارتكاب تلك الفاحشة المستقدرة، وعن جاهلية هذا العصر ووحشيته ودعاة الضلالة من دول الكفر والإلحاد الذين ينادون بجرية ممارسة تلك القذارات ويعقدون لها المؤتمرات ،ويوقِّعون على الوثائق والمعاهدات،محارِبين بذلك رب الأرضين والسماوات، معلنين ومجاهرين ومعاندين ومبتعدين عن ملة الإسلام والأصل الصحيح للديانات. وليس ذلك الفعل والإقرار والإصرار بغريب على إخوان القردة والخنازير وعلى المنحطين السافلين من ملل الكفر والإلحاد ولكن الغريب في الأمر ممن يدَّعي انتساباً للإسلام ويسير في ركب أولئك القوم

معرضاً وضارباً بآيات القرآن وأحاديث سيد الأنام عرض الحائط ، إنه لأمر محزن ومؤسف أن يمشي المسلمون وينقادوا بكل سهولة ويَجْرُوا خلف كل ناعق ، وتصل بهم الاستهانة بدينهم إلى حد يرثى له من السذاجة وسوء التفكير والبعد عن حقيقة الإسلام ونصاعته ونضارته ، ولكنها الذنوب والمعاصي التي غطت على القلوب وأعمت البصائر حتى أصبحت قلوباً غلفاً علاها الران وكساها الذل والهوان. قال تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤] وقال عز وجل: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ١٧]. وقد أخبر رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم عن انتشار الجهل في الوقت الذي تنتشر فيه الكتابة المعبر عنها بـفُشُو القلم وبِقَبْضِ العلم بموت العلماء، والمقصود بذلك العلم الشرعي وانتشار الجهل به بين أهله ، أما علوم الدنيا فقد أثبتها الله ورسوله في عدد من الآيات والأحاديث وأنها سوف تنتشر وتُكتشف على أيدي أولئك الكفرة لتستبين سبيل المجرمين وليعلموا حقيقة هذا الدين الإسلامي العظيم ويتبينوا صدق الرسالة المحمدية وأن هذا القرآن العظيم من لدن أحكم الحاكمين سبحانه وبحمده كما قال عز وجل: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٢]. وأما عن الجهل وقلة العلم وانتشار الكتابة فقد وردت أحاديث متعددة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منها: قوله صلى الله عليه وسلم: ((من أشرط الساعة أن يُرْفَعَ العلم وَيُثْبِتَ الجهل)). رواه البخاري ومسلم. وقال صلى الله عليه وسلم: ((إن بين يدي الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل ويرفع العلم)). وفي الأحاديث الأخرى الصحيحة الإسناد وردت أحاديث متضمنة: ((إن بين يدي الساعة ظهور القلم)) وفي رواية ((

ويظهر العلم)). ويتبين الجمع بين هذه الأحاديث بأشياء لا داعي للاستطراد فيها ولكن ظهور وسائل العلم والتعلم والكتب وآلات الاتصال الحديثة للطباعة والتصوير والترجمة وشبكة المعلومات الشبكة العنكبوتية المسماة بالإنترنت المنتشرة في جميع أقطار الأرض والتي سهلت انتشار العلم وسرعة الاتصال وتوفير الجهد والوقت والمال واكتساب المعلومات بأيسر السبل وأقصر الطرق، وكل يوم يُطْلَعُهُمُ اللهُ عز وجل على جديد من العلوم وشتى أنواع المعرفة ويكون ذلك على أيدي الكفار كما أخبر بذلك عز وجل، وما هذا العلم إلا قطرة من بحر عظيم، وبحسب الناس أنهم وصلوا إلى شيء، وما علم المساكين قدر أنفسهم وجهلهم بحقيقة أنفسهم مهما بلغوا من العلم، وكما هو القول سابقاً ولاحقاً ليس الاستغراب على إقدام الكفار على ذلك ومثله ولكن الأمر المستغرب من المنتسبين للإسلام الذين يسمعون ويتلون كتاب ربهم ويقرأون أحاديث رسولهم محمد صلى الله عليه وسلم أو كأنهم يقرأون ولا يفقهون شيئاً، أما قرأوا قول الله عز وجل: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]. وقوله عز وجل: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨١] وقوله سبحانه: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٥] وقوله عز وجل بعد ذكر الفلك المشحون وخلقها للبشر: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس: ٣٥]. وقوله عز وجل: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ [البقرة: ١٨٦] وفي أنفسكم أفلا تبصرون [الذاريات: ٢١، ٢٢]. فبعد هذا وذاك ألا يعرف الإنسان قدر نفسه؟ وألا يقف وقفة تأمل وتدبر؟ وألا يرى بعين بصيرته مع عين البصر؟ ألا يحاسب نفسه؟ ألا يشعر بصغر حجمه وقلة علمه وحقارته أمام عظمة الله؟ ألا يمشي في هذه الحياة وفق منهج الله لتستقيم له أمور دينه ودينه؟

ألا يشعر بالذلة والمسكنة ويعترف بتعليم الله له حيث خلقه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا علماً مهما كان حقيراً، إنما علّمه الذي يعلم السرّ في السماوات والأرض لا إله إلا هو العزيز الحكيم .

وهذا التقديم وإن طال رأيت ألا بُدّ من التعرّيج عليه باعتباره مدخلاً لما سيأتي ووضلاً لما سبق وإيضاحاً لما قد يخفى وإن لم يتم إشباع الموضوع وإعطاؤه حقه من البيان والتوضيح خاصة عندما هالني ما قرأته وسمعتة من جرأة الخائن العام لجميع الأمم الذي جمع في انتمائه ووفائه بين ملتي اليهود والنصارى ويقود الناس إلى الهاوية بحكم مركزه عندما وقف مفتتحاً ومنادياً بالوقوف ضد زحف ذلك المرض ، مرض نقص المناعة ، المسمى بالإيدز، مع أنه قبل ذلك بشهرين ناقض نفسه لدعوته تلك حيث قاد الأمم بكل سخافة ووقاحة وقام منادياً بنشر وإباحة أسبابه والتوقيع على ذلك - أي بإباحة الزنا وانتشار الفاحشة واللواط الذي يُدعى بالشذوذ الجنسي وحضور هذا النوع من البشر إلى ذلك المؤتمر لينادوا على حد زعمهم بالسماح لهم علناً بممارسة الزواج من الجنس الثالث. فأمام هذه المتناقضات التي نسمع عنها ونرى ونقرأ كان لزاماً على كل مسلم أن يكون على بينة من أمره في كل صغيرة وكبيرة يحكيها أعداء دين الإسلام، وعليه ألا يأخذ كل أمره بتلك البساطة والسهولة بل يقف وقفة تأمل وتدبر وتعقل ورفض لكل ما يخالف تعاليم الإسلام دون أدنى تردد أو هوادة أو تراخ أو رضئاً بالدينية في الدين ، وخاصة في هذا الزمن الذي كثر الدسّ فيه للإسلام وأهله بشتى الطرق المخادعة التي توقع الكثيرين في حباثلها وشباكها وتخضع قليلي الفقه في دينهم لينساقوا وينجرفوا إلى الهاوية التي يريدونها منهم أعداء الإسلام والمسلمين المتربصون والمستغلون للفرص، وذلك ديدنهم وهو شأنهم حتى

يرث الله الأرض ومن عليها وخاصة اليهود والنصارى الذين أكد الله عداوتهم لنا وعدم رضاهم عما نحن فيه من تمسك بالإسلام إلا أن نخلع ربة الإسلام ونسير في ركبهم عياداً بالله من ذلك ، كما قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]. وكيف لا نتخذهم أعداء وقد حذرنا الله منهم ونهانا عن اتخاذهم أولياء وإلا كنا مثلهم ومنهم، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]. ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المتحنة: ٣١]. ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ آلِهِ وَأَوْلِيَٰهُمُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنكَرُوا بَرًّا فَكَيْفَ﴾ [النساء: ٦١].

قوم لوط عليه الصلاة والسلام /1

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه أحمده سبحانه وأشكره وأثني عليه الخير كله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله.

أما بعد: فمع عرض يسير للوط عليه الصلاة والسلام وقومه المرتكبين للفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين، وإكمال بقية ما حصل لهم يكون في خطبة قادمة بإذن الله عز وجل. أما لوط عليه الصلاة والسلام فهو أحد رسل الله وهو ابن أخي إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيث إبراهيم هو عمّه ، وقد آمن لوط بعمّه إبراهيم واهتدى بهديه وهاجر معه من العراق وتبعه في أسفاره كما قال تعالى: ﴿فَقَامَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي

إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٦١﴾ [العنكبوت: ١٦١]. أي أن لوطاً صدق وآمن برسالة إبراهيم عليهما الصلاة والسلام. وأرسل الله عز وجل لوطاً إلى أهل سدوم بالأردن ، وليس له في قومه الذين أرسل إليهم أيّ نسب لأنه ليس من القبيلة ، بخلاف بعض الرسل مثل صالح وهود وشعيب عليهم وعلى جميع الأنبياء والرسل الصلاة والسلام ، ولعل التعبير بقوله تعالى: ((ولوطاً إذ قال لقومه)) يدل على ذلك حيث لم يذكر فيه أنه أرسل منهم بخلاف ذكر بعض الرسل كقوله تعالى: ((وإلى عاد أخاهم هوداً)) وقوله تعالى: ((ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً)) . أما عند ذكر لوط عليه السلام فقال تعالى :

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ١٦١]. وقال عز وجل : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ [النمل: ١٦١] ، وفي مجموع الآيات التي وردت في سور متعددة من القرآن الكريم يرينا الله عز وجل أن القوم كانوا في فساد عقول ونفوس لم يبلغه أحد ممن سبقهم، ولم يعقلوا ضرر تلك الفاحشة في الجناية على النفس والفضيلة والصحة والآداب العامة ، بل بلغوا من الانحطاط الخلقي وفساد العقول إلى أسفل الدركات التي لم تبلغها الحيوانات التي لم يشاهد الإنسان على مرّ العصور بأن حيواناً ذكراً ما أتى حيواناً آخر ذكراً كان أو أنثى لقضاء الشهوة في غير محله. فبلغ الإسراف والجهل والعدوان من القوم مبلغاً لم يتجاوزه أحد قبلهم من البشر ولم تُقدم عليه جميع الحيوانات و الدواب، وسلك ذلك الشذوذ الجنسيّ أقواماً في هذا الزمان حتى ظهروا علينا بمرض العصر كما يسمى وانتشر بين الناس ، ومن لطف الله عز وجل أن العدوى بمرض الإيدز نقص المناعة المكتسبة لا تكون عن طريق الرذاذ والهواء والمصافحة والأكل والشرب بخلاف بعض الأمراض المعدية

سواء الجنسية أو غيرها. بل عن طريق نقل الدم الملوث بذلك المرض نقلاً أو بواسطة الأمواس أو الأدوات الأخرى الملوثة به ، ومنها الإبر بأنواعها المختلفة ، ومع هذا وذاك فيلى هذه اللحظة يُعتبر أخطر مرض ، حيث لم يجدوا له علاجاً شافياً حتى الآن، وهذا عقاب من الله عز وجل وذكرى وموعظة لكي يتعد الناس عن الغي والضلال ويجتنبوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ويظهروا أنفسهم من هذا الرجس والإثم والداء العضال لئلا يقعوا هم أو نسلهم أو من يتصلون به جنسياً في ضرره المدمر والقاتل مهما طالت الأيام والليالي سواء نقلوه أو نُقل إليهم بطريق مشروع أو بارتكاب محرم، ولنتدبر هذه الآيات التالية، أما تفسيرها والوقوف مع ما ورد فيها وفي غيرها فسوف يكون في خطبة قادمة بإذن الله تعالى. قال الله جل جلاله :

﴿ وَلَوْ طَأَّ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٤١﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴿١٤٢﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿١٤٣﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤١-١٤٥]

لوط عليه الصلاة والسلام وقومه / 2

1415/7/21 هـ

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

أما بعد: فلا يزال الحديث موصولاً بسابقه عن أحد الرسل الكرام لوط عليه الصلاة والسلام الذي جاء ذكره مع قومه في عدد من سور القرآن الكريم ، وسبق القول بأنه ابن أخي إبراهيم عليه السلام ، أي أن إبراهيم عمّه ، عليهما الصلاة والسلام، وقد آمن بعمّه إبراهيم واهتدى بهديه وهاجر معه من العراق وتبعه في أسفاره ، ثم أرسل الله لوطاً إلى أهل سدوم في الأردن الذين كانوا من أفجر الناس وأكفرهم ، وأخبثهم طوية وسريرة ، وأقبحهم فعلاً وسيرة ، يقطعون السبيل أي الطريق ويأتون في ناديهم المنكر علانية، ولا يتناهون عن منكر فعلوه ، وارتكبوا جريمة من أقبح الجرائم وأشنعها على الإطلاق ، ولم يسبقهم إلى فعلها أحد من العالمين ، ألا وهي إتيان الذكور من دون النساء، حتى صاروا لا يستقبحون قبيحاً ، ولا يستترون من منكر ، فغدت قلوبهم قاسية ، وأخلاقهم فاسدة، وجاهروا باللواط من غير خجل ولا حياء ، فبعث الله إليهم لوطاً عليه السلام ، فدعاهم إلى الله ، وذكّرهم ونصحهم ، ونهاهم وخوّفهم بأس الله تعالى ونقمته ، فلم يأبهوا ولم يرتدعوا عن غيرهم وإسرافهم وتعديهم ومجاوزتهم الحلال إلى الحرام قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأعراف: ٦٨، ٦٩]، وفي سورة العنكبوت: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٦٨﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴿٦٩﴾﴾ الآية [٦٨، ٦٩]. وفي سورة النمل: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٦٨﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [النمل: ٦٨، ٦٩]، وفي

سورة الشعراء: ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رِبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴿١٦٦﴾ .

فلما ألح عليهم وكرّر النهي والتخويف والوعيد بالعذاب الأليم من الله عز وجل إن هم استمروا على ذلك عندها هدّوه بالطرد والإبعاد وإخراجه من بين أظهرهم هو ومن آمن معه إذا لم ينته عن نصحهم وإرشادهم ، لأنهم حسب سخافة عقولهم يدعو إلى شيء مخالف لهم حيث يدعوهم إلى الطهارة والتطهر. وذكر الله قولهم في مواضع من كتابه الكريم ﴿ قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَه يَلُوطٌ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ [الشعراء: ١٦٧] ، ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَل لُوطٍ مِّن قَرَيْبِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿١٦٨﴾ [النمل: ١٦٨] . وفي سورة الأعراف: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرَيْبِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿١٦٩﴾ [الأعراف: ١٦٩] .

إن هذا منتهى السّفه والحماسة وقلة العقل والبصيرة والتفكير في عواقب الأمور ، فأصبح القوم يعتبرون اجتناب الرذائل والبعد عن القبائح والفواحش جريمة ، وعلى من يتطهر من ذلك ويتعد عنها وعن ارتكاب الجرائم عموماً عليه أن يُبْعَد ويُخْرَج من الديار ويصبح هو منفياً مطروداً مجرمّاً ينبغي تهجيّه وإخراجه من الأوطان ، فعندما وقعوا وانغمسوا في الفواحش والمحرمات ، وارتكبوا أقبحها وأشنعها تبلّدت أحاسيسهم وانعكست مفاهيمهم حتى غدا الباطل حقاً والحق باطلاً ، والطهارة والعفة في نظرهم جريمة، أما الوقوع في القاذورات والمحرمات فهو أمر محمود ومقبول لا غبار عليه في نظرهم، وهذا منطلق الطغيان والطاغوت في كل وقت مع أي موقف صدق يبرز فيه الإخلاص والأمانة والدعوة الصادقة بالنفي والتغريب والتضييق بشتى أنواع المضايقات والإهانات. وما كان من لوط عليه السلام مع إصرار أولئك

القوم الخبثاء الأشرار إلا أن توعدهم بعذاب الله ، ودعا الله أن ينصره على أولئك القوم المفسدين، ولكنهم استبعدوا نزول العذاب عليهم في الدنيا ، وقالوا بكل وقاحة واستهتار واستخفاف ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين كما ورد في ذلك في ردهم عليه كما قال الله عنهم في سورة العنكبوت: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١٧، ١٨].

وعندما لم ينتزه القوم عن تلك الفاحشة القبيحة مع وجود نسائهم لديهم وانحرفهم عن الحلال إلى الحرام ، ولم يحصنوا أنفسهم بهن ولم يُحصِنوهنَّ أيضاً فقد انتشر السِّحَاقُ بينهن واستغنين هن أيضاً عن الرجال كما ورد في بعض الآثار، وأصبح القوم رجالاً ونساءً ممسوخين ، حيث استقبحوا الحسن واستحسنوا القبيح، وهبطوا إلى أسفل الدركات بما أقدموا عليه من انحطاطٍ خلقيٍّ مُزْرِئٍ لا تصل إليه البهائم والحيوانات .

لذلك أرسل الله إليهم ملائكة ليقبلوا عالي تلك القرى سافلها نصره لنبيه لوط عليه السلام وعقاباً لأولئك القوم المجرمين المفسدين الذين لم ينفع معهم النصح والوعظ والتذكير والتوجيه والإرشاد، وقيل بأن عدد القرى خمس قرى ، وعدددهم يزيد عن أربعمئة ألف ، ولا يهمننا معرفة العدد الحقيقي للقرى والأفراد ما لم يثبت ذلك بدليل صحيح ، وإن كان قد ورد العدد عند أهل التفسير بشكل غير قطعي ، وقد ورد إفراد القرية في عدة مواضع من القرآن الكريم ، ولا تعارض ذلك بين الجمع والإفراد كما هو في الآيات الأخرى ، ومنها قوله تعالى : ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧]. وقوله عز وجل: ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا

أَهْلٍ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٠٠﴾ [العنكبوت: ١٠٠]. ﴿أَخْرِجُوهُمْ
مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ [الأعراف: ٤٢].

وقد مرّ الملائكة في طريقهم على إبراهيم عليه الصلاة والسلام وبشّروه بسلام
حليم ، وأخبروه بأنهم ذاهبون للانتقام من قوم لوط الذين كانوا يعملون
الخبائث ، فتخوف إبراهيم عليه الصلاة والسلام على ابن أخيه لوط عليه
الصلاة والسلام إذا قُلبت بهم الأرض أن يكون من ضمن المهالكين ، فأخذ
يجادلهم ويناقشهم ويخبرهم بأن فيهم لوطاً ، ولكنهم أقنعوه بأن الله سَيُنَجِّيهِ
وأهله ومن معه من المؤمنين إلا امرأته قدّر الله أن تكون من الغابرين لخيانتها
لزوجها لوط عليه السلام حيث لم تكن معه على الإيمان بالله ، وتلك هي
خيانتها في الدين ، وليس في عرضها كما يظنه بعض الناس من وقوعها في
الفاحشة ، وهذا خطأ كبير في تأوّل بعض ألفاظ القرآن وتفسيرها حيث
يفسرون ويفهمون الظاهر لهم من بعض الألفاظ ، وكانت زوجة نوح كافرة
أيضاً وقد ضرب الله المثل بهما في خيانتها لهما في الدين حيث لم تتبعاهما
فيه ، وليس المراد أنهما كانتا على فاحشة ، لأن تلوث العرض يؤدي سمعة
الأنبياء الأطهار ، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما بغت امرأة نبي
قطّ ، وهذا هو مذهب الأئمة من السلف ، وإن كانت قد وردت آثار بأنها
تخبر قومها إذا جاء ضيوف لديه بإيقادها النار وارتفاع الدخان أو تدعوهم
علانية فقد تكون تلك هي خيانتها والله أعلم ، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتِ نُوْحٍ وَأَمْرَاتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِن عِبَادِنَا
صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ
الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠٠﴾ [التحريم: ١٠٠] وينطبق الفهم الخاطيء أيضاً على عدد من آيات
القرآن الكريم وألفاظه المفردة ، ومنها في هذا الموضع عندما قال لوط عليه

السلام لقومه عندما أرادوا الاعتداء على ضيوفه بفعل الفاحشة ولم يكن يعلم هو حتى تلك اللحظة أنهم ملائكة لأنهم أتوا في صورة شباب مُرَدِّ حِسَان قال للقوم: هؤلاء بناتي هُنَّ أطهر لكم ، أي تزوجوا من نساء القرية وأتوا نساءكم بالحلال وتركوا الحرام فإن ذلك أكرم وأفضل وأشرف وأطهر مما تريدونه ، ولم يكن قصده أن يستبدلوا فاحشة اللواط بفاحشة الزنا ولم يخص بناته هو، بل أرشدهم إلى نسائهم وهو بمنزلة الأب لهم جميعاً، كما قال ذلك بعض السلف ومنهم مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير والسَّدي ومحمد بن إسحاق والريبع ابن انس وغيرهم رحمهم الله واستدلوا بما ورد في بعض القراءات في القرآن الكريم: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦٠]. فبهذا يزول الإشكال ، حتى ولو عرض عليهم بناته زواجاً شرعياً لما غطى عدد الرجال علماً بأن لهم زوجات ونساء أخريات. لأن بناته ثنتان فقط كما ورد في بعض الآثار .

قوم لوط عليه الصلاة والسلام /2

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، أحمده سبحانه وأشكره وأؤمن به وأتوكل عليه وأثني عليه الخير كله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد: فعندما حلّ بلوط عليه السلام يوم عصيب وكرب شديد من هذا الموقف مع أولئك القوم الخبثاء وعرض عليهم النساء حلالاً وجادلهم وحاول فيهم بشتى المحاولات قال لهم كما ورد في القرآن الكريم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ (٧٨) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقِّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوَى إِلَيَّ رُكْنٍ سَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ [هود: ٧٨-٨٠]. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((رحمة الله على لوط لقد كان يأوي إلى ركن شديد. يعني الله عز وجل. فما بعث الله بعده من نبي إلا في ثروة من قومه)). وهذا دليل على ما تقدمت الإشارة إليه من أنه لم يكن منهم بل أرسل إليهم وهم غير عشيرته وقومه ، وكان هذا هو قصده بالركن الشديد أي القوم والعشيرة المدافعين عنه في مثل هذه الحالة.

فبينما هو في هذا الموقف العصيب أخبرته الملائكة بأنهم رسل من الله وعليه ألا يخاف ولن يصلوا إليه بسوء ولا إليهم أيضاً، وإنما عليه أن يسري بأهله في الليل ولا يلتفتوا خلفهم وأخبروه بأن امرأته سوف يصيبها ما يصيب القوم، ولهم موعد محدد هم مأمورون بتنفيذ العذاب والعقاب فيه لأولئك القوم الأشرار ألا وهو الصبح ، وطمس الله أعين القوم وخرج لوط مع أهله بعد أن اطمأن على ضيوفه وعرفهم وعلم مهمتهم ، وفي الوقت المحدد الذي أمر الله به قلب عالي تلك القرى سافلها وأرسل عليهم صيحة من السماء وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود. قال مجاهد أخذ جبريل قوم لوط من سرحهم ودورهم وحملهم بمواشيهم وأمتعتهم ورفعهم حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم، ثم كفأها، وكان حملهم على خوافي جناحه الأيمن ، قال: ولما قلبها كان أول ما سقط منها شرفاتها، وتبعتهم الحجارة القوية الشديدة

المنضودة المسومة المعلمة حتى أهلكتهم ، وما هذا العذاب والنقمة من الظالمين ببعيد ممن يفعل فعلتهم ويرتكب المنكرات ويقارف الآثام والمعاصي وبيارز بها رب الأرضين والسموات.

وقيل بأن البحر الميت الآن هو مكان قرى قوم لوط الذي هو أخفض مكان في الأرض وأدناه عن سطح البحر بنحو أربعمئة متر تقريباً، واكتشفت آثار حول تلك البحيرة وعلى حوافها تدل على تلك القرى ، قال ابن كثير رحمه الله: وجعل الله مكان تلك البلاد بحرة منتنة لا ينتفع بمائها ولا بما حولها من الأراضي المتاخمة لضفافها لرداءتها ودناءتها فصارت عبرة ومثلة وعظة وآية على قدرة الله تعالى وعظمته وعزته في انتقامه ممن خالف أمره وكذب رسله واتبع هواه وعصى مولاه كما قال تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ

الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٢٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٧﴾ ﴿الذاريات: ٢٥-٢٧﴾ ولنستمع ونصغ إلى هذه الآيات الكريمة، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ

الْبَشَرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنتِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَتَّبِعُ إِبْرَاهِيمُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَفِي سَكَنٍ عَدَاةٍ غَيْرِ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ

عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَفْقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ

﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِبْ أَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا تَكُ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٤٧﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٤٨﴾ [هود: ٤٧-٤٨].

اللوواط

الخطبة الأولى 1415/6/29هـ، 1424/10/11هـ

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد : فمثل الزنا بل أشد منه اللواط الذي عذب الله عليه أمة بأسرها واستأصلهم به حيث قال لهم نبيهم لوط عليه الصلاة والسلام كما جاء في القرآن الكريم: ((وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٨﴾ أَيْنُكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ طَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٦٩﴾)). [العنكبوت 28، 29]. وقال أيضاً كما جاء في القرآن على لسانه: ((أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾)). [الشعراء 165، 166]. وقال تعالى: ((فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٤٧﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ ﴿٤٨﴾ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٤٩﴾)). [هود: 82، 83]. أي وما هي من الظالمين

في أي أمة إذا فعلوا فعلهم أن يحل بهم ما حل بأولئك من العذاب وفي أي زمان إلى أن تقوم الساعة.

ملعون من عمِلَ عمل قوم لوط وركب المرد والغلمان وسبب الفساد ودعا إليه وأنفق ماله فيه، تلك الفاحشة الكبرى والجريمة النكراء التي هي مفسدة للدين والدنيا وهدم للأخلاق، ومحق للرجولة، وفساد للمجتمع، وقتل للمعنويات، وذهاب للخير والبركات، وجلب للشرور والمصائب، إنها معول هدم وخراب ودمار وسبب للذل والخزي والعار، والعقول والفطر السليمة تنكر اللواط وترفضه، والشرائع السماوية تزجر عنه وتمقتة، ذلك لأنه ضرر عظيم وظلم فاحش، فهو ظلم للفاعل بما جرّ إلى نفسه من الخزي والعار، وقادها إلى ما فيه الموت والدمار، وهو ظلم للمفعول به حيث هتك نفسه وأهانها ورضي لها بالسفول والانحطاط، ومحق رجولتها فكان بين الرجال بمنزلة النساء لا تزول ظلمة الذل من وجهه حتى يموت، وهو ظلم للمجتمع كله بما يفضي إليه من حلول المصائب والنكبات، ومتى فشت الفاحشة في مجتمع من المجتمعات ولم يعاقبهم الله بدمار الديار فإنه سيحل بهم ما هو أعظم من ذلك، سيحل بهم انتكاس القلوب وانطماس البصائر، وانقلاب العقول، حتى يسكتوا على الباطل ويزين لهم سوء عملهم فيروه حسناً، وكذلك تفشو فيهم الأمراض التي لم تكن في أسلافهم. ولما كانت جريمة فاحشة اللواط من أعظم الجرائم كانت عقوبتها في الشرع من أعظم العقوبات، فعقوبتها القتل والإعدام. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به)). واتفق جمهور

الصحابة أو كلهم على العمل بمقتضى هذا الحديث. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: لم يختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله سواء كان فاعلاً أو مفعولاً به، ولكن اختلفوا كيف يُقتل، فقال بعضهم يُرمى بالحجارة، وقال آخرون بل يُلقى من أعلى مكان في البلد حتى يموت، وقال بعضهم يُحرق بالنار. فالفاعل والمفعول به إذا كانا راضيين كلاهما فعقوبتهما الإعدام بكل حال، سواء كانا محصنين أم غير مُحَصَّنِينَ لعظم جريمتها وضرر بقائهما في المجتمع، لأن بقاءهما قتلٌ مَعْنَوِيٌّ لِمَجْتَمَعِهَا وإعدام للخلق والفضيلة، ولا شك أن إعدامهما خير من إعدام الخلق والفضيلة.

وأى معصية يعافها الذوق وتنفر منها الطباع السليمة مثل اللوطية التي لا تفعلها الحمير، ولا ترضى بها الكلاب ولا الخنازير، فكيف يرضى بها بشر سويٌّ منحه الله عقلاً يفكر به، فداء اللوطية داء عضال، والمصاب بها عضو مسموم في جسم الأمة يجب قطعه قبل أن يسري منه الداء إلى غيره، وهي نتيجة الترف والتمادي في الشهوات، قال الحسن بن ذكوان رحمه الله: لا تجالسوا أولاد الأغنياء فإن لهم صوراً كصور العذارى فهم أشد فتنة من النساء. وقال بعض التابعين: ما أنا بأخوف على الشباب الناسك مع سَبْعِ ضارٍ من الغلام الأُمرد يُقعد إليه.

فيجب على الشباب من الأبناء الابتعاد عن جلساء السوء وعدم الاختلاط أو الخلوة بهم أو بغيرهم مهما كانوا خاصة في سن المراهقة لئلا يحدث ما لا يرضاه أي غيور ويقع ما يبقى على مرّ الأيام عاراً في وجه صاحبه، وعليهم

أن يحدروا كل الحذر من الاقتراب ممن لهم سوابق خزي وعار سواء كانوا في سنهم أو أكبر منهم لئلا يلطّخوا سمعتهم ويجرّوا إليهم الشُّبّهة، كما أن على الآباء مسؤولية عظيمة في حماية أبنائهم وتربيتهم وإبعادهم عن جلساء السوء، وعدم تمكين الابن الواحد من الذهاب بمفرده مع مجموعة أو الاختلاط بهم ممن يتوقع منهم الشر والفساد وخاصة تلك المجموعات في السيارات والذهاب بعيداً عن الأنظار وفي الخلوات في عقر الدور أو قريباً من المتنزهات، وعلى الأب ألاّ يأمن على أبنائه بتلك السهولة ليذهبوا مع الشباب ويختلطوا بهم كما قلنا في سنّ المراهقة، لأن الشهوة العارمة لدى الشباب تدفعهم إلى ارتكاب المحرمات دون التفكير في العواقب والسيئات، كما أن على كل فرد في المجتمع أن يكون حارساً أميناً لا يسكت على منكر يراه أو يتركه يأخذ مساره وهو يعلم عن وقوعه بل يحول بين أولئك ووقوع الجرائم بأي وسيلة يراها مناسبة وخاصة إخبار ولي أمر ذلك الابن سواء كان الولي أباً أو أخاً أو عمّاً لأنهم لا يعلمون عن تلك الممارسات ، وحتى تبرأ ذمة ذلك الشخص الذي رأى المنكر قياماً بواجب النصيحة وتغيير المنكر ، وعلى كل مسؤول له علاقة وظيفية ومسؤولية في مثل هذه الأمور بدءاً بوسائل الإعلام والمدارس والمربين والموجهين والأئمة والخطباء وطلبة العلم والعلماء والأطباء ورجال الأمن المباشرين والمحافظين على الأمن في أرض الواقع والميدان ومروراً بالجهات القضائية والتوجيهية وانتهاء بالجهات التنفيذية على الجميع أن يقوموا بمسئولية الأمانة التي حملوها ويتقوا الله تعالى في الأمة وتجنّبها المزالق المتعددة ومنها هذه الفاحشة وغيرها. قال

تعالى: ((وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)) [الأنفال 25]. إن النفوس السليمة السوية تستفحش وتستفبح عادة الأراذل تلك حيث يأتون الذكران في أدبارهم أو النساء في محل النَّجْوِ والغائط ، تلك الفاحشة التي يتصبَّب المؤمن عرقاً حين ذِكْرِهَا ويندى لها جبينه عندما يريد الكلام عنها ولكنه لا مناص عن التحذير منها وبيان ما يمكن عنها لتتنزه وترتفع عنها أجيالنا خاصة في هذا العصر الذي فشت وانتشرت فيه الأمراض التي لم تكن في أسلافنا الذين مضوا كما أخبر بذلك رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم عندما تنتشر الفاحشة فسوف تظهر تلك الأمراض، وهاهي قد ظهرت كما ورد الخبر عن سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم، تلك الفاحشة التي لا يصدقها عاقل سوي، كما قال الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي رحمه الله: لم أكن لأصدق بأن ذَكَرًا يَعْلُو ذَكَرًا لولا ما جاء في كتاب الله عن قوم لوط، ولا غرابة في اكتفاء الرجال بالرجال والنساء بالنساء فذلك من علامات الساعة التي تدل على قربها، وعمل قوم لوط يستوي فيها إتيان الرجال أو النساء أي قضاء الشهوة سواء كانت في أدبار الرجال أو النساء فاللعن والتحريم والإثم على الجميع حيث تجاوزوا الحد إلى أمكنة مستقدرة عَرَفَ ضَرَرَهَا الْعَالَمُ الْيَوْمَ ولكنهم لم يوضِّحوها للناس كل التوضيح للمرض المسمى بالإيدز أو ما يسمى بنقص المناعة وأعدوا العدة وعقدوا الندوات والمحاضرات والمؤتمرات على اختلاف أنواعها في بقاع الأرض ليحذروا من هذا المرض الذي لم يجدوا له علاجاً حتى الآن، واستوى في التحذير منه المسلمون والكفار ولا غبار على ذلك من حيث

التحذير والاستعداد والأخذ بالأسباب الوقائية والعلاجية ، ولكن المؤاخذة على المسلمين حيث لا يذكرون أسبابه، إلا القليل منهم يذكرونه على استحياء بكلمات وإشارات غامضة مبهمة لا توضح لعامة الناس ما هو سبب نقص المناعة وانتشار هذا المرض الذي يسمونه بالإيدز، وبكل صراحة وبملاء الأفواه نقول إنه بسبب ارتكاب فاحشة اللواط وإتيان الشهوة في الأدبار عند الرجال أو النساء ، ذلك الشذوذ الجنسي ليأخذ كل حذرته ويتقي الله في نفسه وفي أهله وفي أولاده وعشيرته ومجتمعه، وما كنا لنصدق زفاف الرجال على الرجال وعقد القران عليهم إلا في هذا الزمن الذي كثر شر أهله، ويشك كثير من أهل الفطر السليمة في وجود هذا في مجتمعات اليوم التي تدعى التحضر والمدنية، ولولا الدعوة الصريحة لذلك في مؤتمرات الانحطاط العالمية المسماة مؤتمرات السكان وحقوق الإنسان التي تعقد على مرأى ومسمع والدعوة بالسماح للجنس الثالث بممارسة تلك الفاحشة وزواج الرجال من بعضهم ويعتبرون ذلك من حقوقهم كما يزعمون ويخدعون ، وبئس ما يقولون، ولولا تلك الدعوات والمؤتمرات لما تمّ تصديقه، فمع هذه المتناقضات العلنية التي يدعون فيها إلى اللوطية إذا بمؤتمرات أخرى تدعو إلى محاربة ذلك المرض كما يزعمون وينفقون آلاف الملايين من الدنانير والدرهم لمعالجة المرضى ومحاربة المرض كما يقولون. مع أنهم ينشرون عبر وسائل إعلامهم تلك الفواحش والردائل ممارسة فعلية عبر الفضائيات لإفساد أخلاق البشر حتى يكونوا أخطأ من كل الحيوانات التي تدبُّ على هذه الأرض، فهذا هو الطبع على القلوب نعوذ بالله من ذلك. قال تعالى:

((أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ)). [النحل 108]. وقال تعالى: ((أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۗ)). [محمد 16]. ((كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ۗ)). [يونس 74]. وقال تعالى: ((وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۗ)). [التوبة 87]. وقال تعالى: ((كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۗ)). [المطففين 14]. وقال عز وجل: ((فَأَنبَأَهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۗ)). [الحج 46]. والمسلم يصدق بوقوع ذلك لما هو واقع ومطالب به ويصدق خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبر بأن من علامات الساعة اكتفاء الرجال بالرجال باللواط، والنساء بالنساء بالسحاق وزفاف الغلمان من الرجال على الرجال من جنسهم كما تزف المرأة في ليلة زفافها وزواجها، وهذا واقع الآن في بعض البلاد الكافرة وكذلك المتسمية بالإسلام ولم يعد الأمر خافياً على أحد بل أصبح علناً والمطالبات به على مرأى ومسمع من العالم بأسره من خلال وسائل الإعلام والاتصالات المختلفة والمؤتمرات المعلومة. وأعتقد بأن كثيرين اطلعوا وسمعوا قبل سنوات من الآن أي في جمادى الأولى من عام ألف وأربعمائة وخمسة عشر من الهجرة النبوية، حين وقع زلزال في دولة غربية منحطة عندما احتفلوا بعقد قران رجل على رجل في ليلة من تلك الليالي فأذاقهم الله العذاب العاجل قبل الآجل، ونسمع عن أشياء يندى لها الجبين ويتنزّه عنها المقام من الذين خرجوا عن الفطرة حتى صاروا أخس من العجماوات والحيوانات التي تطلب إنائها بدافع الشهوة ولكنها تطلب النسل الذي به يحفظ كل نوع منه، فصار أولئك القوم أحط منها حيث لا

دافع لهم من وراء قضاء تلك الشهوة، بل الطير والحشرات أفضل منهم حيث تبدأ حياتها الزوجية ببناء المساكن الصالحة لنسلها من أجل راحته وحفظه مما يعدو عليه في عش تلك الطيور على الأشجار، أو الجحور في باطن الأرض للحشرات والهوام، أما أولئك المجرمون من بني البشر فلا غرض لهم إلا إرضاء غريزة الشهوة، وقضاء وطر اللذة في أي مكان مهما بلغ من القذارة والنتن والعفن والدناءة والقبح ، وهل أقبح وأقذر وأنتن من محل الغائط والنَّجْو الذي يخرج من بني آدم ؟ وهل يجد أولئك إحساساً وعقولاً تردعهم عن فعلهم ذلك؟ وهل يقبل رجل لديه إحساس وإباءً وشَمَمٌ وعِزَّة وكرامة أن يأتيه أحد في دبره؟ وهل ترضى امرأة عاقلة أن يأتيها زوجها في غير ما أحل الله؟ وهل يقدم رجل مسلم مؤمن بالله واليوم الآخر على ارتكاب ما حرم الله مع زوجته أو مع غيره من الذكور أو الإناث ؟ هل فكر أولئك القوم وتأملوا فيما يجرونه على أنفسهم وعلى غيرهم من أمراض فتاكة تلازمهم طوال حياتهم وحياة نسلهم؟.

اللواط ومرض الإيدز

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله.

أما بعد: فإن الأمل كبير في عودة مرتكبي تلك الفاحشة المستقدرة إلى رشدهم وإلى الفطرة السليمة والتمسك بتعاليم الإسلام الطاهرة النقية التي تكفل لهم سعادة الدارين، ويعلموا علم اليقين بأن ابتعادهم وعدم قربهم من

الفواحش أياً كانت والجرائم مهما تنوعت من الزنا واللواط والمخدرات وغيرها هو سبب لخلوهم من تلك الأمراض الخبيثة، لأن العفة والطهارة والحصانة في الالتزام بشريعة الإسلام والوقوف عند حدوده، ولا يمنع ذلك من أن ينقل أولئك الأشرار أمراضاً إلى الأطهار الأتقياء الأتقياء عن طريق العدوى بنقل الدم أو أمواس الحلاقين عند وجود الجروح واستعمال الأدوات دون تطهير أو الاتصال الجنسي أو نقل الأعضاء وما أشبه ذلك ، ومن رحمة الله بالناس أن هذا المرض الفتاك لا ينتقل بطرق العدوى المعروفة في الأمراض العادية ولكنه محصور غالباً فيما تمت الإشارة إليه ، واتقاء ذلك يكون بالابتعاد عن المحرمات والرذائل المختلفة مع وجوب التوعية الصادقة الواضحة البعيدة عن الغموض ، التوعية المشتملة على ما جاء في تعاليم الإسلام المبينة للعفة والطهارة وصفاء السبل الموصلة إلى كل خير والمحدرة من كل شر، قال الله عز وجل: ((وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣١﴾ فَمَنْ آتَىٰ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣٢﴾)). [المعارج 29-31]. وقد بلغت العناية والاهتمام في الإسلام مبلغاً عظيماً حول ابتعاد المسلمين عن تلك الفواحش ومقارفتها وعدم القرب منها والتحذير من عواقبها في مجالات وظروف متعددة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع)). فكلمة الأولاد في بداية الحديث تشمل الذكور والإناث، وفي نهايته معروف التفريق بينهم في المضاجع سواء كانوا من جنسين متشابهين أو مختلفين لئلا يحصل إحدى الحالات الثلاث الزنا أو

اللواط أو السحاق، وقال صلى الله عليه وسلم: ((اتقوا الحيضة والدُّبْر)). أي عندما يريد الرجل إتيان زوجته فعليه الابتعاد عن محل الحيض حيث الأذى على الطرفين محتمل بل حاصل لا محالة وخاصة على الرجل أكثر لأن دم الحيض لا يضر المرأة فهو ينزل من رحمها، ومع نجاسته وضرره الذي يصل إلى الرجل فهو لا يضرها إذن الله عز وجل حيث ينزل عنها ذلك الأذى في عادة شهرية مستمرة لسنين طويلة فيما يسمى بالعادة الشهرية، ولكنه يجلب الأمراض للرجل خاصة وقد يصيب المرأة أيضاً مثل البرص الذي ينهش جسمه وينتشر فيه بسرعة نتيجة عدم الامتثال لأمر الله واجتناب نهيه، وأما الدبر في نهاية الحديث فمعلوم تحريمه من أحاديث أخر. وهو معلوم من الدين بالضرورة، ولو تأمل المسلمون هاتين الآيتين التاليتين من سورة البقرة لعرفوا وعلموا مدى لطف الله بعباده وتعليمهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم وآخرتهم وما يبعد عنهم كل أنواع الشرور ويجلب الخير لهم بإشارات بسيطة تكفيهم عن الشروحات الكثيرة التي يقف العلم أمامها حائراً. قال تعالى: ((وَدَسَّوْا نَكَاحَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوَةٌ وَنَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾)) [البقرة 222، 223].

فعلى المسلمين أن يعُوا دورهم في هذه الحياة وعليهم أن يُحَصِّنُوا أنفسهم ومن تحت أيديهم ورعايتهم ومسؤوليتهم كل في موقعه ليفوتوا الفرصة والتخطيط

الذي يقوم به أعداء الإسلام والمسلمين لتدمير الأخلاق ونشر الفواحش والردائل في مجتمعات المسلمين لينسلخوا من دينهم، وما تلك الفواحش المعلنة عبر الفضائيات بتلك الوقاحة والصور المشينة والانحطاط الخلقي السافل ما هي بمحجوبة عن الأنظار ولا أحد يستطيع منعها والوقوف ضدها إلا بتحسين المسلمين لأنفسهم ومن تحت أيديهم وتربيتهم على دين الإسلام والابتعاد عن كل ما يَحْرُمُ عليهم حتى ينالوا رضا الله عز وجل ويفوزوا بالسعادة في الدنيا والآخرة وحتى يعلموا مدى لطف الله وحلمه وإمهاله للمجرمين والمفسدين والظالمين من العباد حتى إذا أخذهم لم يفلتهم كما قال تعالى: ((وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَأُرْسِلَتِ اللَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾)). [فاطر 45]. وقال عز وجل: ((وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ۗ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابَ ۗ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ﴿٥٨﴾)) [الكهف 58]. وهذا الإمهال والإملاء من الله للمجرمين يجب أن يفهمه المسلمون جيداً ، وهذا هو محور خطبة قادمة بإذن الله عز وجل لكي يعي ذلك تماماً الذين يريدون تغيير المنكرات بتلك الطرق التخريبية والتدميرية التي أزهقت فيها دماء المسلمين والمعاهدين في هذه البلاد المباركة وارثكب أيضاً ما يمثّلها وقريباً منها في عدد من دول العالم بعد أن غاب عن مرتكبيها ومنظرهم الفقه في الدين، ودفعهم الحماس والغيرة على الإسلام على غير بصيرة وعلم فكانت تلك النتائج المؤلمة والعواقب الوخيمة على المسلمين في جميع بقاع الأرض. قال تعالى: ((وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ

حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧٧﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٧٨﴾. [الأعراف: 182، 183].
 وقال تعالى: ((وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١٧٩﴾ *
 إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿١٨٠﴾)). [الأنعام: 35،
 36]. وقال تعالى: ((وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ
 النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٨١﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ
 وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾)). [يونس: 99، 100]. وقال عز
 وجل: ((وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١٨٣﴾ إِلَّا مَنْ
 رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ^ط وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ
 أَجْمَعِينَ ﴿١٨٤﴾)). [هود: 118، 119].

ظهور الفتن خاصة من المشرق

1411/3/23هـ

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور
 أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له
 وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
 صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد: ففي أول خطبة لي بعد الأحداث وعدت بذكر بعض الفتن التي
 تأتي من المشرق ، ومعلوم أن أحاديث الفتن كثيرة جداً ، وقد حذر رسولنا
 محمد صلى الله عليه وسلم أمته من الفتن وأمر بالتعوذ منها ، وأخبر أن هذه
 الأمة سيصيبها بلاء وفتن عظيمة وليس هنالك عاصم منها إلا الإيمان بالله
 واليوم الآخر ولزوم جماعة المسلمين وهم أهل السنة والجماعة وإن قلوا ،

والابتعاد عن الفتن والتعوذ منها, روى الإمام مسلم رحمه الله من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن)). وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق عن علامات كثيرة تدل عن قرب وقوع القيامة وذكر عليه الصلاة والسلام أشراطاً وعلامات للساعة، ومنها : ظهور الفتن العظيمة التي يلتبس فيها الحق بالباطل فتزلزل الإيمان في القلوب حتى يصبح الرجل وهو مؤمن ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، وذلك لكثرة الفتن وحيرة الشخص المسلم فيها وخاصة من كان إيمانه ضعيفاً، وكلما ظهرت فتنة قال المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف ويظهر غيرها في الناس إلى أن تقوم الساعة.

روى الإمام مسلم رحمه الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا)). وعن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فزعاً يقول: ((سبحان الله ، ماذا أنزل الله من الخزائن ، وماذا أنزل من الفتن ، من يوقظ صواحب الحجرات . يريد أزواجه . لكي يصلين ، رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة)). وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم : الصلاة جامعة ، فاجتمعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ((إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاءٌ وأمورٌ تنكرونها، وتجيء الفتن فيرقق بعضها بعضاً، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن : هذه هذه، فمن أحب أن يُزحزحَ عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو

مؤمن بالله واليوم الآخر)). رواه مسلم ، وأكثر الفتن التي ظهرت في المسلمين منذ صدر الإسلام وحتى قيام الساعة منبعا من الشرق حيث يطلع قرن الشيطان وقد أخبر بذلك رسول الهدى محمد صلى الله عليه وسلم في أحاديث عدة ، منها ما هو في المشرق عموماً ومنها الخاص بالعراق، فأول الفتن كان منبعا من المشرق وكانت سبباً للفرقة بين المسلمين ، وانتشرت البدع وخرجت الفرق الضالة والمنحرفة من العراق حيث ظهر الخوارج والروافض والباطنية والقدرية والجهمية والمعتزلة وغيرهم من الفرق التي لا تلتزم بكتاب الله وصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا الظهور لتلك الفرق في القديم ولا زالت أيضاً في الحديث وزيادة عليها في هذا العصر خرجت وظهرت على الساحة أحزاب كفرية منها الشيوعية والعلمانية والبعثية والقومية وغيرها من الديانات الأخرى هذا في العراق خاصة وما جاورها ومن جهة المشرق عموماً، ولقد ظهرت الفتن العظيمة مع المذاهب الهدامة في القديم والحديث ولا تزال إلى أن يخرج يأجوج ومأجوج من جهة الصين والمشرق عامة ، ومناصرة سبعين ألفاً للدجال من يهود أصبهان ، ومن المذاهب التي ظهرت من المشرق: القاديانية والبهائية والزرادشتية والبوذية، وأخطرها: الشيوعية التي مركزها روسيا والصين. ومن أكبر ما حل بالمسلمين وديارهم من الدمار والقتل والشر العظيم كان على أيدي التتار الذين ظهروا من المشرق في القرن السابع الهجري . وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الإمامان الجليلان البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى أن ابن عمر رضي الله عنهما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مستقبل القبلة يقول: ((ألا إن الفتنة هاهنا ، ألا إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان)). وقرن الشيطان قيل قوة الشيطان وأتباعه . وقيل إن للشمس قرناً على الحقيقة، وقيل: إن الشيطان يقرن اسمه بالشمس عند طلوعها ليقع

سجود عبدتها له ، ولعل هذا الأخير هو الأقرب حيث ورد النهي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدم السجود والصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها لأنها تطلع وتغرب على قرن الشيطان لئلا يسجدوا للشيطان مشابهاً لمن يعبده ويعبد الشمس.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((رأس الكفر من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان . يعني المشرق.)). رواه مسلم. وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : دعا النبي صلى الله عليه وسلم: ((اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا، وبارك لنا في شامنا ويمنا)). فقال رجل من القوم: وعراقنا؟ قال: ((إن بها قرن الشيطان وتخيُّج الفتن، وإن الجفاء بالمشرق)). رواه الطبراني في الكبير ورواته ثقات . وفي رواية البخاري رحمه الله بنحوه إلا أنه جاء بدل " وعراقنا " وفي نجدنا " إلى أن قال: " هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان)). وقد بدأت الفتن منذ قتل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكُسِرَ الباب الذي دون الفتن واستمرت ولا تزال إلى قيام الساعة ، ومنشؤها من المشرق وخاصة العراق وإيران بلاد فارس وكل ما كان من دول الشرق أيًا كانت عربية أو غير عربية ، سواء كان منشأ الفتنة وبدايتها من العرب أو الأعاجم من المسلمين أو الكفار في أي دولة ومنطقة شرقية عن المدينة النبوية من حيث أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناحية المشرق ، فالمهم أنها من المشرق وإن جاء قمع الفتنة وضرب رأسها من الغرب أو الشرق.

فكان مقتل عمر رضي الله عنه على يد أبي لؤلؤة المجوسي من المشرق بلاد فارس وكان ذلك في المسجد وهو يصلي بالناس صلاة الفجر ، ثم كان مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه على يد طائفة من دعاة الشر والضلالة الذين تألبوا عليه من العراق وغيرها وقتلوه وهو محاصر في داره رضي الله عنه. ولنستمع إلى حديثين صحيحين عن كسر الباب المغلق دون الفتن وهو

عمر رضي الله عنه وذلك بقتله وكان يسأل الصحابة قبل القتل عن من يحفظ ذلك الحديث ، فهو يعرف أنه سيقتل ولكن لا يعرف من يقتله ومتى يقتل ؟ أما علمه بذلك فمن هذا الحديث والحديث الآخر الذي رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث أخبره بأنه سوف يصيبه البلاء وقد حصل ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تتابعت وتتالت الفتن في هذه الأمة من أجل الامتحان والابتلاء واختبار الصبر والمصابرة وتمحيص الإيمان وتخليصه من الدخن والنفاق وظهور المؤمنين والمنافقين كل على حقيقته ، ولكي تقع الأحداث والوقائع والعلامات مطابقة وموافقة لما ورد عن رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ليتضح صدقه وصدق رسالته وأنه لا ينطق عن الهوى مع أن بينه وبين هذه العلامات التي أخبر عنها وتأتي بعده مئات السنين وعشرات القرون . عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أيكم يحفظ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة ؟ فقال حذيفة: أنا أحفظ كما قال ، قال: هات إنك لجريء ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)) ، قال: ليست هذه، ولكن التي تموج كموج البحر، قال: يا أمير المؤمنين: لا بأس عليك منها ، إن بينك وبينها باباً مغلقاً. قال: يُفتح الباب أو يُكسر؟ قال: لا بل يُكسر ، قال: ذلك حَرِيٌّ أَلَّا يُغْلَقَ . قلنا: عَلِمَ الباب؟ قال: نعم كما أن دون غد الليلة، إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط، فهبنا أن نسأله . أي هابوا أن يسألوا حذيفة عن الباب من هو _ قالوا فأمرنا مسروقاً يسأل حذيفة: من الباب؟ قال حذيفة: هو عمر ((. رواه مسلم.

فوقع خبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بكسر الباب وذلك بقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وظهرت الفتن ووقع البلاء وكانت أول فتنة بعد ذلك بقتل الخليفة الراشد أيضاً عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد ذكر ذلك له رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما بشره بالجنة وأنه سوف يصيبه بلاء وكان يعلم ذلك تماماً كما قال له أبو موسى الأشعري رضي الله عنه وكما ورد في الحديث الطويل الذي رواه البخاري رحمه الله حيث قال أبو موسى خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى حائط من حوائط المدينة _ فذكر الحديث ومجيء أبي بكر وعمر _ إلى أن قال : فجاء عثمان فقلت : كما أنت حتى استأذن لك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ائذن له وبشره بالجنة ، معها بلاء يصيبه)) . ثم تتابعت الفتن بموقعة الجمل وموقعة صفين وظهور الخوارج وموقعة الحرة وغيرها من الفتن التي حُفظت في كتب التاريخ والسير .

ظهور الفتن خاصة من المشرق

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، والعاقبة للمتقين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً .

أما بعد: فقد فسر بعض المسلمين أحاديث حسر الفرات وأحاديث تقع في آخر الزمان بعد وقوع الأحداث الأخيرة في منطقة الخليج وكذلك النار التي تخرج وتضيء لها أعناق الإبل يُصْرَى ، فسروها بآبار البترول التي فُجرت واحترقت في الحرب وارتفعت فيها النيران حتى شوهدت أعناق الإبل في

ضوء هذه النار من البصرة في العراق ، وهذا في الحقيقة تعسف في تفسير الحديث لأنه واضح لا يحتاج إلى هذا التأويل وقد ظهرت النار فعلاً في الحرة في جانب المدينة المنورة بأرض الحجاز في القرن السابع الهجري وبالتحديد في سنة أربع وخمسين وستمئة من الهجرة النبوية، وشاهد من كان في بُصْرَى في ذلك الزمان ظل أعناق الإبل في ضوء تلك النار ، كما أخبر عنها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. فبصرى التي في الشام غير البصرة التي في العراق. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى)). رواه البخاري ومسلم ، وأما عن تفسيرهم لانحسار نهر الفرات باختلاطه بالبترول فهذا تأويل في غير محله لأن الحديث واضح لا لبس فيه وأن الانحسار وعدم جريانه ووصوله إلى نهايته في الخليج بسبب ظهور جبل من ذهب ويقتتل الناس عنده مقتلة عظيمة لا ينجو من المائة إلا واحد فقط ، وقد يكون خروج ذلك الجبل الحقيقي من الذهب كما هو معلوم ومشاهد من أن باطن الأرض نار تتأجج وكل شيء بداخلها مُنْصَهَرٌ ، فإذا أراد الله عز وجل والعلم عند الله عندما يريد ويشاء تفجير ما في باطن الأرض وإخراجه على الأرض يكون البركان المعروف حيث تقذف الأرض ما في باطنها وتتكون الجبال البركانية ثم تبرد بعد ذلك مكونة الجبال مثل التي نراها فينحسر الفرات فعلاً عن وصوله إلى نهايته بسبب ذلك الجبل من الذهب كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله أعلم. روى البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه ، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ، ويقول كل رجل منهم لعلي

أكون أنا الذي أنجو)). ويزيد الأمر وضوحاً بأنه ذهب حقيقي وليس النفط كما يزعمون ويسمونه بالبترول الحديث الذي نهى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم من حضره أن يأخذ منه شيئاً ، ومعلوم أن الشخص لا يحمل إلا ما كان جامداً وصلباً لا ما كان سائلاً وخاصة الأفراد الذين يحضرونه ويقتتلون عليه ... روى الإمام مسلم رحمه الله من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((لا يزال الناس مختلفة أعناقهم في طلب الدنيا . إلى أن قال .)) يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً)).

وأما عن قتال المسلمين للروم وتفسيرهم بأنه هذه الحرب الآن التي وقعت في الخليج واستخدام المواد الكيميائية بحيث يخر الناس ميتين بسببها حتى الطير في الهواء، فهذا وإن كان الحديث صحيحاً ولكنه في آخر الزمان يقع في الشام قبل ظهور الدجال ويتنصر المسلمون على الروم ويكون ذلك تهية لفتح القسطنطينية الفتح الثاني والأخير قبل خروج الدجال بمدة يسيرة جداً، والحديث رواه الإمام مسلم وأكتفي بذكر بعضه لطوله فقال: ((عدو يجمعون لأهل الإسلام، قلت الروم؟ قال: نعم وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبية ، فيقتتلون حتى يحجر بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب ، وتفنى الشرطة وكرر ذلك ثلاث مرات . أي ثلاثة أيام . فإذا كان اليوم الرابع نهد إليهم . أي نهض وتقدم . بقية أهل الإسلام فيجعل الله الدبرة عليهم . أي الهزيمة . فيقتلون مقتلة لم ير مثلها حتى إن الطائر ليس بجناهم فما يخلفهم حتى يخز ميتاً فيتعاد بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد ، فبأي غنيمة يُفرح ، أو أي ميراث يقاسم ، فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك فجاءهم الصرخ: أن

الرجال قد خلفهم في ذرايعهم فيرفضون ما في أيديهم ويقبلون فيبعثون عشرة فوارس طليعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ)). رواه مسلم. والذي أقصده هنا هو عدم تسرع طلبة العلم وغيرهم في تأويل الأحاديث من علامات الساعة والحزم بأنها كذا وكذا وأنها هي هي ، خاصة في هذه الأيام والأيام القادمة وكلما ازدادت الفتن وظهرت إلا ما كان ظاهراً وواضحاً ومطابقاً لنص الحديث النبوي فهذا لا إشكال فيه إذا لم يحتمل غيره أو يُعارضه بغيره، فواجب المسلمين عامة وطلبة العلم خاصة التّريث والتّثبت وعدم التسرع في حياتهم كلها فضلاً عن أيام الفتن والمحن سواء تلك التي نعيشها الآن أو من يأتي بعدنا، فكم حصل من الفتن ومن العلامات الصغرى ومن الوسطى التي لم تكتمل حتى الآن مع مرور السنين منذ الفتنة الأولى في ثلث القرن الأول وحتى هذا القرن الخامس عشر الهجري ولا زالت العلامات تقع حتى قيام الساعة، والله أعلم متى تكتمل الوسطى منها ثم يأتي تتابع الكبرى.

علامات الساعة / 1

1410/5/3هـ

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة وجعل الظلمات والنور وجعل لكل شيء نهاية، أحمدده سبحانه وأشكره وأثني عليه الخير كله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

أما بعد: فإن الدنيا لم تخلق للبقاء ولم تكن دار إقامة، وإنما هي منزل من منازل الآخرة جعلت للتزود منها إلى الآخرة والتهيؤ للعرض على الله، وقد آذنت بالانصرام وولت، وكان حقاً على كل عالم وطالب علم أن يشيع أشراتها وعلاماتها ويبث الأخبار الواردة فيها بين الناس مرة بعد أخرى لعل العباد ينتهون عن الذنوب وتلين منهم القلوب ويفيقون من غفلتهم ويغتنمون المهلة التي أعطاهم الله عز وجل في هذه الحياة الدنيا .

قال تعالى: ﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]. وقال عز وجل: ﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [القمر: ١٠]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ [يس: ١٠١] لا يؤمنون بها والَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ [الشورى: ١٧٧]. ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴾ [محمد: ١٨]. وفي آية أخرى ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٣]، وقد جعل الله عز وجل للساعة علامات تدل على قربها وانتهاء هذه الحياة الدنيا، ولا أحد يعلم متى تقوم القيامة إلا الله وحده لا شريك له جل جلاله وتعالى سلطانه، وهي من الغيب الذي استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحداً حتى الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٣٤]. كما قال عز وجل: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا قُلْ إِنَّمَّا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ قُلْتُ فِي السَّمَواتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَّا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٧]. وقال

عز وجل: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مفاتيح الغيب خمس)) ثم قرأ الآية: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٣٤]. فالرسول صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب وقد جاء ذلك في التعقيب الإلهي الجميل في الآية الثانية مباشرة بعد التي ذكرت سابقاً في سورة الأعراف وفي آيات أخرى، وما أجمل التعقيب الذي يدل على بشريته وعدم علمه الغيب وأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، ولو كان بيده علم الغيب لاستكثر من الخير كما جاء في قول الله: ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. ولكن الله جل ثناؤه أخبر رسولنا محمداً صلى الله عليه وسلم بعلامات تدل على قرب وقوعها ، والرسول صلى الله عليه وسلم أخبر أصحابه بهذه العلامات وذكرهم بالقيامه وقرها. ولقد كان يحدثهم عن العلامات الكبرى ومنها: الدجال حتى ظن الصحابة أنه في طائفة النخل ، أي طرف المدينة النبوية. ولقد آمن الصحابة رضي الله عنهم وصدقوا بكل ما أخبرهم عنه عليه الصلاة والسلام إيماناً منهم وتصديقاً بالغيب ، وهذه هي قمة الإيمان حيث يخبرهم عن الغيبات وهم أشد إيماناً وثباتاً وعقيدة خالصة لله رب العالمين . ونحن اليوم نرى صدق ما أخبر به رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم عياناً بياناً أمام أعيننا يحدث ذلك تصديقاً لما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال عز وجل عنه: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ١٠٢] ، ولم تتحرك وتخشع منا القلوب ، ولم تذرف منا الأعين وتدمع ، ولم تنته عن الغيِّ واقتراف الآثام، فنشكو حالنا إلى الله تعالى ، وإنا

لله وإنا إليه راجعون وهو حسبنا ونعم الوكيل .والآن نعيش مع أحاديث رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأوردها كما هي مع توضيح بعض المفردات والألفاظ أو ما احتاج إلى بيان حسب الطاقة والإمكان وتوفيق الله عز وجل .

وعلينا أن نعلم ابتداءً أن علامات الساعة تنقسم إلى قسمين: علامات صغرى وعلامات كبرى، وقيل بأنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام: الصغرى والوسطى والكبرى ، فأما الصغرى فقد انتهت حيث كانت من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وزمن الصحابة ، وأما الوسطى فهي التي نعيشها الآن وكانت فيمن قبلنا وستكون إلى قرب القيامة حيث تكون العلامات الكبرى التي منها: الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج ، والدخان ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، وغير ذلك من العلامات العظام التي تُؤذِنُ بانقضاء الدنيا.

ومما ينبغي أن نعلمه جميعاً أنه إذا ذُكِرَ شيءٌ من أشراف الساعة وعلاماتها فليس القصد من وقوع تلك العلامة أنها محرمة ، فقد يكون ذلك الشيء محرماً أو مذموماً، وقد يكون مباحاً لا شيء فيه، مثل: التطاول في البنيان وكثرة المال، وكون خمسين امرأة لهنَّ قِيَمٌ واحدٌ يقوم على خدمتهن، بل قد يكون الشيء مأموراً به ومندوباً إلى فعله مثل: تعلم القرآن والاهتمام به وكثرة القراء، وفشو العلم والقلم أي الكتابة والقراءة وسهولة التعلم والتعليم لانتشار الوسائل الحديثة وسهولة استخدامها وتوفرها بين أيدي الناس ، فالذي أقصده أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر بها قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة وهماي تقع كما أخبر بها، ومن هنا تتحقق زيادة الإيمان والتصديق لكي نستكثر من العمل الصالح والدعوة إلى الله والتقرب إليه سبحانه بما يجب ويرضى والبعد عما يسخطه عز وجل .

كما أنه لا يُشترط أن تكون تلك العلامة في كل بقاع الأرض، بل قد تكون في بلد علامة أو علامات ، وفي بلد آخر نفسها أو تزيد ، وفي آخر العلامات إلا قليلاً ، وإنما تكون تلك العلامات في الأرض بمجموعها. ومنذ بعثته عليه الصلاة والسلام والعلامات تتوالى ، وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن أول أشراف الساعة بعثته عليه الصلاة والسلام وهو آخر نبي إلى أن تقوم الساعة وليس بعده نبي ، وكما تلي السبابة الوسطى وليس بينهما أخرى، وكناية عن قربهما في الموقع، وكذلك في فرق الطول ما بين الأصبعين، فهذا تقريب للأذهان وإخبار حقيقي عن قرب وقوع الساعة وقيامها، ووجه الشبه في المثالين معلوم للجميع ، وفيه دلالة واضحة على أن عُمَر الدنيا قد ذهب منه الكثير ولم يَبْقَ إلا القليل ، ويفسر ذلك ويوضحه الآيات والأحاديث، وأشدها وضوحاً وفهماً لعامة الناس فضلاً عن طلبة العلم منهم والعلماء عندما دنت الشمس من الغروب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: ((لم يبق من الدنيا إلا كهذه)). فإذا كنا في القرن الخامس عشر الهجري ولا زالت العلامات الصغرى لم تكتمل فكم قد ذهب من السنين وكم بقي؟ فالله أعلم بذلك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير بأصبعيه فيمدهما)). وَكُونُ نَبِينَا آخِرَ نَبِيٍّ وَخَاتَمِ الرِّسَالِ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِيَامَةِ نَبِيٌّ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. ومن أشراف الساعة: موث النبي صلى الله عليه وسلم وفتح بيت المقدس وطاعون عمواس واستفاضة المال والاستغناء عن الصدقة وظهور الفتن من فارس والمشرق ، قال عوف بن مالك رضي الله عنه أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك - وهو في قبة آدم - فقال: ((اعدُّ ستاً بين يدي الساعة: موتي ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم

استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية ، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً)).عقاص: بالضم ، ويقال عقاص: داء يأخذ الدواب فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة. وقد حصل ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم بعد موته حيث فُتح بيت المقدس في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكذلك طاعون عمواس الذي حصل في الشام ومات فيه خلق كثير ، بلغ عدد من مات فيه من المسلمين خمسة وعشرين ألفاً في سنة ثمان عشرة من الهجرة النبوية. وأما عن استفاضة المال سواء بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم بزمن قليل أو في آخر الزمان فقد ورد عدة أحاديث بذلك ، وقد وقع منها ما كان في زمن الخلافة الراشدة ، وسوف يقع ما يكون في زمن المهدي وعيسى بن مريم عليه السلام. وقد فاض المال في زمن عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد رحمه الله بعد قسمة أموال الفرس وفاض المال حتى كان يعرض الرجلُ المالَ من الصدقة فلا يجد من يقبله. وسيكثر في آخر الزمان حتى يعرض الرجل زكاة ماله فيقول الذي تُعرض عليه لا حاجة لي بها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهَمَّ ربُّ المال من يقبله منه صدقته ، ويدعى إليه الرجل فيقول: لا أرب لي فيه)).متفق عليه ،وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: ((ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ثم لا يجد أحداً يأخذها منه ، ويُرى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يُلذَنَ به)) رواه مسلم. وفي رواية للبخاري رحمه الله: ((من أشرط الساعة: أن يقل العلم ويظهر الجهل ويظهر الزنا، وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القِيم الواحد)). وفي آخر رواية للإمام مسلم رحمه الله: ((ويذهب الرجال وتبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قِيم واحد

((. والخمسون امرأة ما بين أم وأخوات وبنات وزوجات وعمات وغيرهن حيث يقوم على إعالتهن الرجل الواحد لقلة الرجال وموتهم في الحروب وغيرها من الفتن الأخرى المشاهدة في هذا العصر كما حصل في البوسنة والهرسك والشيشان وفلسطين وكشمير وغيرها من الدول التي يراها الناس الآن ويسمعون عنها الشيء الكثير وما سوف يأتي في الزمن القادم عندما تكثر الحروب وتشتد الفتن ويكثر الهرج . أي القتل . وعندما يتكالب أعداء الإسلام على المسلمين ويكون أيضاً بأس المسلمين بينهم في آخر الزمن مع أن رسولنا محمداً صلى الله عليه وسلم أخبرنا بأن الله تعالى سيعطي هذه الأمة ويفتح عليها من كنوز كسرى وقيصر ويبلغ ملكها مشارق الأرض ومغاربها وسيأخذ سراقة بن مالك تاج كسرى كما وعده الرسول صلى الله عليه وسلم عند هجرته عليه الصلاة والسلام لما لحق بالرسول وأبي بكر وهما مهاجران من مكة إلى المدينة وعندما ساخت قدما فرسه في الأرض، وقال للرسول صلى الله عليه وسلم: ادع الله لكي تخرج قدما الفرس من الأرض ولا أخبر عنكما وأكفيكما العيون القادمين من هذه الجهة ، فدعا الرسول له ووعدته بتاج كسرى ، ووقع ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان ذلك في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها وأعطيتُ الكنزين الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وألاً يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال : يا محمد إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يُرد وإني أعطيتك لأمتك ألاً أهلكهم بسنة عامة، وألاً أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم مَنْ بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً)). وهذا

هو الحاصل الآن في هذا الزمان ويشاهده الجميع ويعرفونه من القتال بين المسلمين وهذه الحروب المدمرة التي ذهب ضحيتها آلاف البشر ووصلوا الملايين في بلاد الإسلام نتيجة إشعال الفتن فيما بينهم من قبل دول الكفر حتى يستبيحوا بيضة المسلمين ويستنزفوا خيرات بلادهم وثرواتها ويشغلوهم عن إسلامهم ويصرفوهم عن طاعتهم ربهم ، ولذلك لا نجد الحروب قائمة بين دول الكفر وإنما يشعلونها ويقومون بها في ديار الإسلام.

عن علامات الساعة / 1

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه أحمده سبحانه وتعالى حمداً كثيراً يليق بجلاله وعظيم سلطانه وأشكره على نعمه وآلائه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه ، وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى أصحابه وسلم تسليماً .
أما بعد: فقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن من أشراط الساعة ظهور الفتن العظيمة التي يلتبس فيها الحق بالباطل فتزلزل الإيمان فيمسي أو يصبح الرجل كافراً بعد أن كان مؤمناً ، وكلما ظهرت فتنة قال المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف ويظهر غيرها، ولا تزال الفتن تظهر في الناس إلى قيام الساعة ، روى الإمام مسلم رحمه الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا)). وروى الإمام مسلم أيضاً من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما قال: نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة جامعة فاجتمعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ((إنه لم يكن نبي

من قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم ، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاءٌ وأمور تنكرونها وتجيء الفتن فيرقق بعضها بعضاً، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه ، فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر)). ويكون منبع الفتن من المشرق وخروج يأجوج ومأجوج كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدول الشيوعية ومن فارس والعراق وكل المشرق كما قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فقد ظهر الخوارج والروافض والباطنية والقدرية والجهمية والمعتزلة والملحدون وغيرهم من الملل والنحل، ظهر كل أولئك من جهة المشرق بالنسبة للمدينة النبوية .

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مستقبل المشرق يقول: ((ألا إن الفتنة هاهنا ألا إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان)). وفي رواية مسلم رحمه الله: ((رأس الكفر من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان . يعني المشرق .)). وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دعا النبي صلى الله عليه وسلم: ((اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا، وبارك لنا في شامنا ويمنا)) فقال رجل من القوم: يا نبي الله: وفي عراقنا. قال: ((إن بها قرن الشيطان وتهيئ الفتنة ، وإن الجفاء بالمشرق)).

وقد وقع ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتداء بعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قُتِلَ وكُسِرَ باب الفتنة وظهرت ولا تزال إلى قيام الساعة. عن حذيفة رضي الله عنه قال: كنا عند عمر فقال: أيكم يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة كما قال ، قال: فقلت: أنا ، قال : إنك لجريء ، وكيف ؟ قال: قلت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره يكفرها الصيام

والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)). فقال عمر : ليس هذا أريد ، إنما أريد التي تموج كموج البحر. قال : فقلت : مالك ولها يا أمير المؤمنين إن بينك وبينها باباً مغلقاً . قال : أفيكسر الباب أم يفتح ؟ قال : قلت : بل يكسر. قال ذلك أحرى ألا يُغلق أبداً، قال : فقلنا لحذيفة: هل كان عمر يعلم من الباب؟ قال : نعم كما يعلم أن دون غدِ الليلة ، إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط ، قال : فهبنا أن نسأل حذيفة من الباب؟ فقلنا لمسروق سألُه ، فسألُه ، فقال : عمر ((ولقد كُسرَ الباب فعلاً وقُتلَ عمر رضي الله عنه حيث قتله أبو لؤلؤة المجوسي عليه من الله ما يستحق ، وتتابعَت الفتن بعده كما ورد في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى حائط من حوائط المدينة فذكر الحديث بطوله عندما دخل أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وكان يأذن لكل واحدٍ منهم ويبشره بالجنة مع بلاءٍ يصيبه إلا أبا بكر رضي الله عنهم أجمعين ، وقد حصل البلاء لعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وأرضاهم كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا يزال الحديث مستمراً إن شاء الله في الخطب القادمة عن أشراف الساعة وعلاماتها. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله.

علامات الساعة / 2

1410/5/10هـ

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا.

أما بعد: فلا زال الحديث موصولاً عن أشرط الساعة وعلاماتها التي أخبر بها رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم التي تدل على صدق نبوته وأنه لا يتكلم بذلك إلا بوحي من الله وإلهام له عن المغيبات التي يخبر عنها وتأتي بعده بأزمة قصيرة أو طويلة ليزداد المؤمنون إيماناً وليرتاب الذين في قلوبهم الزبغ والشك من المنافقين والكافرين ، ولتقوم الحجة وتتضح المعجزة ويكون الإيمان على بينة والكفر على بينة ، ولا حجة لكافر بعد ذلك لأنه سوف يبلغ هذا الإسلام مشارق الأرض ومغاربها ولا يبقى بيت مدبر ولا وبر إلا بلغه هذا الدين الإسلامي بـ عَزَّ عَزِيزٍ أو ذلِّ ذليلٍ.

ومن الفتن العظيمة التي أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بوقوعها: فتنة التشبه والتقليد للكفار من يهود ونصارى وغيرهم ، والتخلق بأخلاقهم والإعجاب بهم وبأفعالهم والتشبه بهم في الأحكام العرفية وفي مآكلهم ومشربهم وتعاملهم ونومهم ويقظتهم وبناء المساكن على هيئة مساكنهم حتى المساجد لقد فُتِنَ المسلمون بكنائس النصارى ومعابد اليهود من حيث تنفيذ المساجد على أشكالها وهيئاتها وانتشر ذلك في بلاد المسلمين عموماً، والتقليد والتشبه الأعمى خاصة في الملابس والميوعة وغير ذلك مما انتشر بين الغلمان والفتيات والنساء عموماً من ملابس فاضحة مختلفة الأسماء والمسميات تظهر معها السيقان والأفخاذ والأيدي والنحور والرقاب ، تظهر بها بنات المسلمين في الزواج والأسواق والأحياء والشوارع والمنتزهات ، وهذا مصداق ما أخبر به النبي محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال: ((لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع)) فقبل يا رسول الله : كفارس والروم ؟ فقال : وَمَنِ النَّاسِ إِلَّا أَوْلَئِكَ)) . وفي الحديث الآخر: ((لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر صبٍ لدخلتموه)) قال الصحابة يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال: ((

فمن !!)). أي هم اليهود والنصارى ، مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من تشبه بقوم فهو منهم ومن أحب قوماً حُشِرَ معهم)). ومن العلامات التي أخبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم خروج كذابين يدَّعون النبوة ، وقد خرجوا ولا زالوا حيث يخرج بين فترة وأخرى من يدَّعي النبوة مع أنه لا نبي بعد نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تقوم الساعة حتى يُبعثَ دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله)). وفي نهاية الحديث الآخر: ((كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين ولا نبي بعدي)).

ومن أشرط الساعة وعلاماتها: انتشار الأمن ورغد العيش ، وقد حصل في زمن الصحابة رضي الله عنهم حينما عمَّ الإسلام والعدل البلاد التي فتحها المسلمون وكذلك في هذا الزمن ، وأيضاً يكون في زمن المهدي وعيسى بن مريم عليه السلام ، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : بينما أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة . أي الفقر والحاجة . ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل ، فقال: ((يا عدي: هل رأيت الحيرة؟)) قلت: لم أرها وقد أُنبئتُ عنها. قال: ((فإن طالت بك حياة لترين الضعيفة . المرأة . ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله ، ولن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى)). قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: ((كسرى بن هرمز ، ولن طالت بك حياة لترين الرجل يُخرجُ ملاء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه)). قال عدي : فرأيت الضعيفة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز) . إلى آخر الحديث. لذلك فقد كان الأمن في زمن الصحابة في جزيرة العرب بعد الخوف، وفي هذا الزمن والله الحمد انتشر الأمن وعم بفضل الله وكرمه بعد أن كان قَطَع الطريق كما شكَا ذلك الرجل

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع السبيل من قطاع الطرق الذين يعرضون للمسافرين وينهبون ما معهم وقد يقتلونهم ، فها هن النساء يرتحلن من العراق أو غيرها لا يَخْفَنَ من شرور الطُّرُقِ وأهلها لانتشار الأمن كما أخبر صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر: ((وليسيرنَّ الراكب إلى عدن . أو قال حضرموت . لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه)). أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

ومن الأشراف أيضاً : ظهور النار التي حصلت في منتصف القرن السابع الهجري من وراء الحرة في المدينة النبوية بأرض الحجاز وتُشَاهَدُ أعناقُ الإبل في ظل تلك النار العظيمة في بُصْرَى من أرض الشام ، وبُصْرَى غير البَصْرَةِ التي في العراق ، وقد أخطأ من فسرها بأنها النار التي حصلت في آبار البترول بعد الاعتداء على الكويت من قِبَلِ العراق ، فالحديث واضح لا إشكال فيه وقد حصلت النار قبل أكثر من سبعمائة سنة كما جاء في النص النبوي كما هو فعلاً ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل بِبُصْرَى)). ومن العلامات أيضاً : انتشار الزنا حيث فشا وانتشر في العالم بأكمله في هذا العصر حتى بين المسلمين وفي مجتمعاتهم بشكل مخيف ومذهل حتى غدا شيئاً عادياً لا غبار على من يرتكبه ممن ينتسب للإسلام فضلاً عن الكفار الذين أصبحوا أخطأ من البهائم في ذلك وغيره إلى درجة أن الرجل يغطي المرأة على قارعة الطريق وفي الحدائق العامة ولا يرون في ذلك بأساً وحرماً ، فتلك هي الحرية البهيمية التي تترفع عنها بعض الحيوانات ومنها الجمال حيث أن الجمال من شدة غَيْرْتِهِ واستتاره لا يحب أن يراه أحد من البشر وهو يقضي شهوته مع الناقة ، فلو حصل أن رأى أحد الجمال شخصاً يطالع فيه ويشاهده أثناء عمله ذلك فإنه لا يلبث

أن يلحق بالشخص حتى يدركه ويقضي عليه ولو بعد حين ، فهل الحيوان هنا أعقل وأكمل من أولئك المنتسبين للبشر ؟ وهل أولئك البشر أضل من الأنعام ؟ اللهم نعم ، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلَّهْمُ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝١١٤﴾ [الفرقان: ١١٤]. والذي يعرف الواقع الذي تعيشه المجتمعات الآن ممن هم في موقع المسؤولية والذين يهمهم أمر عامة الناس يدرك تماماً صدق خبر الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا وفي غيره ، وما هذه المؤتمرات العالمية التي تدعو إلى الإباحية البهيمية عن مسامح الناس بغائبة أبدأ فمعظم البشر يعرفون تلك الدعوات الشيطانية . أما الزنا في بلاد المسلمين فالموانع والعوائق التي وُضِعَتْ وحالت أمام الراغبين في العفاف كثيرة ، حيث التكاليف الباهظة والاشتراطات الفاسدة التي تحول دون وصول الشباب والشابات إلى الحلال ، وكذلك انحراف بعض النساء وإيقاع الشباب والمتزوجين للوقوع في حبائلهن وشباكهن لوجود وسائل الفساد المختلفة والمغريات المفضية إلى الوقوع في الفاحشة ولغفلة الرجال وقلة غيرتهم أو لعدم معرفة حيل النساء وطرقهن المشينة لقلّة خوفهن من الله ، وما تلك السياحة إلى البلاد الموبوءة في كثير من الأقطار ومن ثم الرجوع بالأمراض المعدية ونقلها إلى أصحاب العفة وانتشار ذلك مع التّكثُّم عليه إلا أحد الأدلة الدامغة على صدق كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث انتشار الزنا وكذلك الأمراض التي لم تكن فيمن مضى وصدقه أيضاً في كل ما أخبر به من الغيبات وغيرها مما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم ، ومعلوم أن انتشار الزنا يكثر فيه أولاد الزنا، ولكن هل من المعقول أن يكثر حتى مع استعمال موانع الحمل المتعددة ؟ نعم يحصل ذلك لأنه إِحْبَارٌ من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم ، وانتشاره وفشوه في الناس لم يكن متعلقاً ببلد دون آخر كما هي العلامات الأخرى للساعة بل تكون العلامات في الأرض عموماً ، وهاهي دور الرعاية

والملاجئ في العالم قد ملئت بهم حيث يرمي بهم الجناة الزناة في الطرقات وفي صناديق القمامة أو بجوارها أو جوار المنازل أو حتى المساجد في كثير من بلاد المسلمين ومعهم مستلزماتهم من الحليب والحفاظ والملابس لساعات لئلا يموتوا حتى يجدوا من ينقذهم ، هذا لمن يرى في نفسه شيئاً من الخوف من الله لئلا يُقَدِمَ على جريمة القتل فيرتكب بذلك جريمة أخرى ، ومع بعض أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حول هذا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن من علامات الساعة وأشراطها أن يكثر أولاد الزنا)). عن أنس رضي الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((وَأَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيُظْهَرَ الْجَهْلُ وَيَفْشَوْا الزَّانَا وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ وَيَذْهَبَ الرِّجَالُ وَتَبْقَى النِّسَاءُ حَتَّى يَكُونَ خَمْسِينَ امْرَأَةً قَيْمٍ وَاحِدًا)). فالشاهد من الحديث ((ويفشو الزنا)) وفي رواية: ((ويظهر الزنا)) وفي الحديث الأول ((يكثر أولاد الزنا)). وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ)). الحِرَّ : المقصود به هنا استحلال الزنا ، وقد وقع ذلك وأشد منه حصل أيضاً في زمننا هذا في غير بلاد المسلمين حيث تُعَشَى المرأة على قارعة الطريق كما أخبر رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم . فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((والذي نفسي بيده لا تفتنى هذه الأمة حتى يقوم الرجل إلى المرأة فيفترشها في الطريق فيكون خيارهم يومئذٍ من يقول: لو واريثها وراء هذا الحائط)). فهذا الحديث وغيره علم من أعلام النبوة حيث أنَّ أَعْدَلَ النَّاسِ وَأَغْيَرَهُمْ إِذَا رَأَى تِلْكَ الْحَالَةَ الشَّنِيعَةَ يَقُولُ لِمَرْتَكِبَهَا: لَوْ اسْتَنْتَرْتُ وَرَاءَ هَذَا الْجِدَارِ. ومن العلامات أيضاً: ظهور الربا وانتشاره بين الناس وعدم المبالاة بأكل الحرام ، وعن هذا فكما يقال حدّث ولا حرج فقد كثر الربا وتعددت صوره وأشكاله وقلّ من يسلم من ذلك من المسلمين ، وكذلك

أكل المال الحرام من أي طريق وخاصة ممن له سلطة ومسئول عن مال في أي بقعة من الأرض يستغل أموال الناس في مصارف الربا لئدّر عليه أموالاً حراماً لحين تسليمها إلى أصحابها، وهذا منتشر ومعلوم في مجتمعات المسلمين ، أو من التجار أيّاً كانوا أو من أصحاب المهن والحرف مهما كانت مهنته إلا من وفقه الله للتحرّز من ذلك حيث يحاول أحدهم الإيقاع بأخيه المسلم واصطياده ويعتبره فريسة وسلعة رخيصة وقعت بين يديه لا يمكن تفويتها لينقضّ عليه ويأخذ ما لديه بالطرق الملتوية والحيل الشيطانية والغرر والغشّ والخداع في المعاملات ، والجميع يعلمون ذلك ، الذين يذهبون إلى الأسواق ويتعاملون مع التّاجر والصّانع والتّجار والحدّاد وأصحاب المهن الأخرى . وهذا مصداق ما أخبر عنه رسول الهدى صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح حيث قال صلى الله عليه وسلم: ((ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال أمن حلال أم من حرام)) . أما عن الربا فلا يبقى بيت إلا ويناله غبار الربا إذا لم يتعاملوا مع المرابين أو يكونوا منهم . عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((بين يدي الساعة يظهر الربا والزنا والخمر)) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد إلا أكل الربا فمن لم يأكله أصابه من غباره)) . وهذا الحديث مطابق لأحوال المسلمين اليوم مع المصارف الربوية وهذا الانتشار العظيم لها في ديارهم ومحاربتهم لله عز وجل مع أن آيات الربا وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك تفرع آذانهم ومسامعهم بين الحين والآخر ، ولكن لا حياة لمن تنادي، وانتشرت خديعة البنوك والمصارف التي تحتال على الربا لكي ينال كلّ مسلم غبار الربا حيث استصدروا الفتاوى من بعض العلماء الذين أقنعوهم بمعسول كلامهم وأن معاملاتهم شرعية وبعيدة عن الربا مع

أنهم يشترون ويبيعون أسهم البنوك الربوية الأخرى ويتعاملون بالربا الصريح وغيره من المعاملات المشبوهة ، ومع أن المصارف التي لا تتعامل بالربا موجودة في دول الكفر وهي غير موجودة في بلاد المسلمين إلا في أماكن قليلة جداً . وفي كل يوم يُفْتَتَحُ فرعٌ لمصارف الربا في ديار المسلمين ليقع ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثرة الربا وانتشاره في آخر الزمان وهو القائل عليه الصلاة والسلام: ((لعن الله آكل الربا وموكله وكتابه وشاهديه)) . وقال أيضاً: ((درهم من الربا أشد من ست وثلاثين زنية ..)) وقال عز وجل: ﴿ وَأَحْلَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٥] . وقال عز وجل: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩] . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٤، ٢٧٥]

فيا أيها المسلمون: علينا أن نتقي الله تعالى ونبتعد عن الربا في جميع صورته وأشكاله وعن جمع المال الحرام بأي أسلوب كان قبل أن تأتي ساعات الندم ، قال الله جل جلاله : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام: ١٥٨] . وقال تعالى: ((* يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [النحل 111] . وقال سبحانه: ((يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ زَوْفٌ بِالْعِبَادِ)) . [آل عمران 30] .

علامات الساعة / 2

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وأعطاه من الآيات ما يؤمن على مثله البشر شهادة له بصدقه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي بلغ ما أنزل إليه من ربه على أكمل وجه وأتمّه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعه في هديه وسلم تسليماً .

أما بعد: فمن العلامات الظاهرة الآن في العالم بأسره وفي مجتمعات المسلمين خاصة انتشار الخمر والمخدرات واستعمالها وتسميتها بغير اسمها سواء يسمونها بالنبيذ أو القهوة أو الوِسْكي ، أو أي شيء يسمونه بالمشروبات الروحية على حد زعمهم مهما اخترعوا له من الأسماء فتلك التسمية لا تخرجها عن الخمر والمخدرات المحرمة شرعاً .

وهذا ما أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه سوف يقع في هذه الأمة وليس وقوعهم في شربه واستعماله فحسب بل يستحلونه ويعتبرونه حلالاً مباحاً لا شيء فيه ، وكذلك يسمونه بغير اسمه ظناً منهم أنه يخرجهم عن دائرة الخمر المحرمة شرعاً أو هم لا يعرفون حكمه. وهذه بلية عظيمة شملت العالم كله ولم تسلم منه بقعة من بقاع الأرض ، وقد رصدت الدول العظمى وغيرها مبالغ طائلة لمحاربة المخدرات التي أصلها هذا الداء الخطير الذي هو أم الخبائث لأنه يجمع الشر كله ، وقد يرتكب الذي يستعمل الخمر والمخدرات الموبقات إذا شربها أو استعمالها على أي صفة كانت ، فقد يقع في الزنا واللواط والقتل وغير ذلك من الأمور المحرمة نتيجة ذلك الوباء الخبيث. ولا استطراد في الحديث عنه فله مجاله وخطبة خاصة به إن

شاء الله، ولكن لنزداد إيماناً على إيماننا بخبر الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام، قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لَتَسْتَحِلَّنَّ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ بِاسْمِ يَسْمُونَهَا إِيَّاهُ)). وفي الحديث الذي رواه أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا)). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم لحاجة فيقولون : ارجع إلينا غداً فيبيتهم الله ويضع عليهم العلم ويمسخ آخرين قرده وخنازير إلى يوم القيامة)). وهذا شيء موجود الآن في العالم وخاصة بين المسلمين الذين لا يعرفون الإسلام حق المعرفة فهم يستحلون الزنا والخمر والغناء وهذه محرمة على الذكور والإناث ، والحرير حرام على الرجال إلا من كان به حكمة . مرض الحساسية . والاستحلال لهذه المحرمات المذكورة في هذا الحديث وغيره منتشر في ديار الإسلام وبين المسلمين إلا من رحم الله ومن هداهم سبحانه، أما العَلْمُ المذكور في الحديث وهو الجبل الذي يضعه الله ويهدمه على من بجانبه فقد وقع قبل أكثر من ثلاث عشرة سنة في زماننا هذا ونعلمه جميعاً في الشمال الغربي من إفريقيا قرب البحر المتوسط ، والله أعلم وأحكم وهو اللطيف الخبير، نسأل الله أن يجنبنا ويجنب جميع المسلمين والمسلمات الفواحش ما ظهر منها وما بطن ويعصمنا جميعاً من الوقوع فيها ويبعدنا عنها وعن كل ما يسخط الله علينا وأن يحفظنا بحفظه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله .

علامات الساعة / 3

1410/5/17هـ

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً.

أما بعد: فمن الأمور التي أخبر عن وقوعها الصادق المصدوق رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم التطاول في البنيان والتباهي فيها وزخرفتها وتخطيطها كتخطيط الثياب والمفروشات المعلمة المخططة المزخرفة والتفاخر بين الناس حتى يعم ذلك رعاة الغنم الحفاة العراة العالة من العرب ، وقد حصل ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم في زمننا هذا، ففي آخر الحديث الطويل الذي سأل فيه جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان وعن الساعة؟: فقال: ((ما المسؤولُ عنها بأعلم من السائل ، وقال عليه الصلاة والسلام: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)). وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لا تقوم الساعة حتى يبني الناس بيوتاً يوشونها وشي المراجيل)) أي يخطونها ويزخرفونها كالثياب المخططة المعلمة. ومن العلامات التي ظهرت في عصرنا هذا زخرفة المساجد ونقشها والتفاخر بذلك وإطالة المنائر ، وكذلك المنابر طُوِّلت وَعَلَّتْ حتى أصبحت إلى عشرين درجة في بعض المساجد للجمعة مع أن السنة ثلاث درجات فقط ، أما التباهي في بناء المساجد من أجل الرياء والسمعة والتفاخر فمشاهدٌ أمرُهُ وواضح للعيان ، وهذه مصيبة عمّت وطمّت ولا حول ولا قوة إلا بالله. عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في

المساجد)). وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لَتُزْخَرْفَنَّهَا كما تزخرف اليهود والنصارى. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((يا ابن مسعود إن من أعلام الساعة وأشراتها أن تُزخرف المحارِب وتخرِب القلوب)). وفي حديث حذيفة رضي الله عنه الذي ذُكِرَ فيه من اقتراب الساعة ثنتان وسبعون خصلة . وذكر منها: إطالة المنابر ، وفي رواية: إطالة المنائر. وكلها قد حصلت ووقعت وهي مشاهدة الآن كما أخبر رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن العلامات أيضاً: كثرة الخطباء وهذا كناية عن تعدد صلاة الجمعة في البلد الواحد مع تقارب مساجد الجمعة في الأحياء المتجاورة وعدم الحاجة إلى ذلك، وتقصير صلاة الجمعة وتطويل الخطبة كما ورد ، مع أن العكس هو السنة لعدم فهم الناس لما يُقال في الخطبة إن اُخْتُصِرَتْ ولحاجتهم إلى التوضيح والبيان ، وَلِمَلَّ لَهُمْ وَسَأَمَتْهُمْ من طول الصلاة لو طُبِّقَت السنة ، هذا هو تعليل من خالف السنة ، ولو طُبِّقَت لَأَرْغَى النَّاسُ وَأَزْبَدُوا ولكن ليقع ما أخبر به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كما قال عليه الصلاة والسلام ، روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((يأتي على الناس زمان علماؤها فتنة ، وحكماؤها فتنة ، تكثر المساجد والقراء ، لا يجدون عالماً إلا الرجل بعد الرجل)). وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : سيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه ، كثير قراءه ، تحرف فيه حروف القرآن وتضيع حدوده ، كثير من يسأل ، قليل من يعطي ، يطيلون فيه الخطبة ، ويقصرون الصلاة ، يبدون فيه أهواءهم قبل أعمالهم .

ومن العلامات: تَشَبُّبُ الْمَشِيخَةِ ، فترى الذي طلع فيه الشَّيْبُ من الرجال يصبغ لحيته وشعر رأسه بالسواد مع أنه ورد النهي عن ذلك في أحاديث عدة الوعيد الشديد لمن خضب بالسواد: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يكون قوم يخضبون في آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة)).
ومنها أيضاً: كثرة التجارة وفشورها بين الناس حتى تشارك المرأة فيها أو النساء عموماً يشاركن الرجال كما هو مشاهد في الأسواق وإدارة الأعمال وممارسة أنواع التجارة ولو من منزلها وقعر دارها عن طريق الشبكة العنكبوتية والاتصالات الحديثة المختلفة، ومنها: تقارب الأسواق وكسادها وهذا كله مما نراه جميعاً، وكذلك سلام الشخص على الخاصة ممن يعرف فقط ، والتحية أيضاً تكون بالتلاعن عند ملاقة الأسافل من الناس. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((بين يدي الساعة تسليم الخاصة، وفشور التجارة حتى تشارك المرأة زوجها في التجارة)). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن ويكثر الكذب وتتقارب الأسواق)). وهاهي المرأة تشارك زوجها في التجارة سواء بالمال أو بالعمل معه ومساعدته ولوعن طريق الشبكة العالمية في بيع وشراء الأسهم والصفقات التجارية الأخرى ولو كان من غرفة نومها، أو بالذهاب معه إلى الأسواق للتجار وشراء ما يريدون في أقل الأحوال كما ورد في الحديث الآتي ذكْرُهُ بلفظ (تتجر)، والأسواق تتقارب من عدة وجوه ، من ناحية تقاربها في المكان حيث الأسواق والمحلات التجارية المتشابهة بجانب بعضها وقريبة منها ، أو من ناحية سرعة العلم بما يكون فيها من زيادة السعر ونقصانه عبر وسائل الاتصال الحديثة ، أو من جهة سرعة السير والانتقال من سوق إلى سوق وجلب البضاعة منه ولو كانت مسافة الطريق بعيدة جداً، فها هي السيارات والقطارات والطائرات والبواخر تجلب البضائع في أقصر وقت. وكل ذلك محتمل للمعنى وقد وقع الذي أخبر عنه صلى الله عليه وسلم. وأما عن تحية الخاصة وسلامهم على المعرفة وتحية التلاعن بين المتلاعنين من الشباب

ويكون ذلك من كبار السن أيضاً كما ورد في الحديث السابق وأحاديث أخرى منها قوله صلى الله عليه وسلم: ((إن من أشراط الساعة أن يسلم الرجل على الرجل لا يسلم عليه إلا للمعرفة)) . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تزال الأمة على الشريعة ما لم تظهر فيهم ثلاث، ما لم يُقبض منهم العلم، ويكثر فيهم ولد الحنث، ويظهر فيهم الصقارون)) قالوا: وما الصقارون يا رسول الله؟ قال: ((نَشْءٌ في آخر الزمان تكون تحيتهم بينهم إذا تلاقوا التلاعن)) . وقال عليه الصلاة والسلام: ((لا تقوم الساعة حتى تُتَّخَذَ المساجدُ طرقاً وحتى يُسَلِّمَ الرجلُ على الرجل بالمعرفة وحتى تَنَجِرَ المرأةُ وزوجها وحتى تَغْلُوَ الخيل والنساء ثم ترخص فلا تغلو إلى يوم القيامة)) .

ومن العلامات: كثرة الزلازل التي نعيشها ولا يكاد يمر أسبوع إلا وقع زلزال في أي جزء من الأرض . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تقوم الساعة حتى تكثر الزلازل)) . وروى عبد الله بن حوالة رضي الله عنه قال: وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على رأسي أو على هامتي فقال: ((يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام ، والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه إلى رأسك)) . ومنها أيضاً: موت الفجأة ، فتجد الشخص معك سليماً معافى فإذا به يسقط ميتاً، أو يأكل ويشرب وإذا به فَقَدَ الحياة بالسكتة القلبية، أو يخرج من بيته فلا يعود إلا جنازة أو يأتي خبره ويُدْفَن بعيداً عن أهله بسبب الحوادث. عن أنس رضي الله عنه يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن من إمارات الساعة أن يظهر موت الفجأة)) . ومنها: عبادة صنم في دَوْس يطوف به الناس وخاصة النساء ، وقد كانوا يعبدونه في الجاهلية ، وهذا قد حصل في القرن الماضي وأزِيلَ بفضل الله

وكرمه بعد أن عادت عبادته والتبرك به والطواف حوله كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تقوم الساعة حتى تَضْطَرِبَ إِيَّاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ حَوْلِ ذِي الْحَلِصَةِ)) . ومنها أيضاً: انتفاخ الأهلة حتى يرى الرائي الهلال في الليلة الأولى من الشهر فيعتقد أنه في الليلة الثانية أو الثالثة، عن أنس بن مالك يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن من إمارات الساعة أن يُرى الهلال لليلة، فيقال لليلتين)). ومنها: أن يَكْتَفِيَ الرجل بالرجال والنساء بالنساء ، وهو كناية عن كثرة اللواط بين الرجال أو ما يسمى بالشذوذ الجنسي ، وهذا قد انتشر بكثرة وخاصة في الدول الغربية وغيرها من البلاد حتى انتشر المرض الذي يسمونه بالإيدز . أي نقص المناعة . بسبب تلك الفاحشة نعوذ بالله من ذلك ، وكذلك السِّحَاق بين النساء ، وهذا يعلمه كثير من الناس وقد وقع كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وانتشرت الأمراض التي لم تكن في الأولين من قبلنا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما فشت الفاحشة في قوم قطّ إلا فشت فيهم الأمراض التي لم تكن في أسلافهم)). وجاء عنه صلى الله عليه وسلم: ((إن من أعلام الساعة وأشراتها أن يكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء)).

علامات الساعة / 3

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى أحمدته سبحانه وأشكره وأثني عليه الخير كله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله .

أما بعد: فمما أخبر به رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم: كثرة شهادة الزور وكتمان شهادة الحق وهذه من كبائر الذنوب التي عمت وكثرت في مجتمعات المسلمين حتى امتلأت المحاكم والإدارات والوزارات بالمظالم وأصبح الظالم كأنه مظلوم في الظاهر، والمظلوم ضاع حقه بسبب شهادات الزور، وفي المقابل الذي لا يقل عن شهادة خطورة يحدث كتمان شهادة الحق في مجتمعات المسلمين ، ولهذا السبب وغيره كثر الظلم الذي أخبر عنه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

ورد في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الطويل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن بين يدي الساعة . وعدد أموراً . منها : شهادة الزور وكتمان شهادة الحق)). وشهادة الزور هي الكذب تعمداً في الشهادة أياً كانت الشهادة فهي زور وبهتان وكذب ، وكما أن شهادة الزور سبب لإبطال الحق وإحقاق الباطل فكذلك كتمان الشهادة تفعل فعل شهادة الزور وتؤدي دورها وتعادلها وتمائلها في ضياع الحقوق ومساعدة الظالم على ظلمه للمظلوم ، وهي ظلم لهم جميعاً الظالم والمظلوم وكاتم الشهادة كما أنها كذلك في شهادة الزور . مع أن الله عز وجل قال في القرآن الكريم: ((وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ رِءْءَاءٌ لِقَبْرِهُ)). [البقرة: 283]، وقال تعالى: ((وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ إِنَّ اللَّهَ إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ ﴿١٠٦﴾)). [المائدة: 106] وقد قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادة الزور بالشرك بالله وعقوق الوالدين لعظم خطرها ولأنها سبب للظلم والجور وضياع حقوق الناس في الأموال والأعراض وإعانة للظلمة على ظلمهم وتعديهم على خلق الله واستمرارهم في طغيانهم وشيوع الفوضى في المجتمع وكسر لأصحاب الحقوق، ودليل على ضعف الإيمان وعدم الخوف من الله العزيز الحكيم، ولو أنصف كل إنسان من نفسه وأدى كل شاهد الشهادة على وجهها ولم يكتمها لعم الخير وامتنع الظلم

وأهين الظلمة وعادت الحقوق لأصحابها وارتاح الموظفون في المحاكم والإدارات الأخرى مما وقع فيه الناس من شهادة الزور وكتمان شهادة الحق وضياع الحقوق . عن أبي بكر رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثاً: الإشراف بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور أو قول الزور، وكان متكئاً فجلس، فما زال يكررها حتى قلنا: ((ليته سكت)).

علامات الساعة / 4

1410/5/24هـ

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

أما بعد: فمن الأمور التي أخبر عنها رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم كثرة القتل في آخر الزمن حتى لا يعلم القاتل لماذا قتل غيره، ولا المقتول لماذا قُتل، والأمر أهون لو كان بين أهل الشرك والفساد والملل والنجس غير ملة الإسلام، أما إذا كان بين أهل الإسلام فالأمر خطير جداً، وقد نزل القتل ووقع بكثرة في هذا الزمن ولن يُرفع إلى يوم القيامة إلا أن يشاء الله، وقد استعملت الدول المصنعة للأسلحة والذخائر أسلوب الفساد والوشاية والتحريض بين أي دولتين متجاورتين مسلمتين وإشعال نار الفتنة وإيقادها بينهما بشتى الوسائل حتى تقوم الحرب بينهما لكي تتحقق أهداف الكفار ومقاصدهم وفي مقدمتها: إضعاف المسلمين وقتلهم وتشتيت وحدتهم وإنهاكهم وسلب أموالهم عن طريق شراء الأسلحة لأجل الكسب المادي لتلك الدول الكافرة من وراء الحروب التي تقع بين الدول الإسلامية، مع أنه

لا يوجد أي حرب بين دول الكفر، لذلك يجب أن يتنبه المسلمون لما يُحَاك ضدهم من قبل أعدائهم وإلا بقُوا في هذه الحروب المدمرة التي تآكل الأخضر واليابس وتُفقِر الشعوب وتنهب ثروات البلاد وخيراتها مع قتل رجالها وانتهاك أعراض نسائها وإبعاد المسلمين عن تعاليم الإسلام وإشغالهم بالحروب فيما بينهم، وفي المقابل يقوى جانب الكفار وينشرون باطلهم ويتقدمون في المخترعات والعلوم الحديثة مع تأخر المسلمين قي ذلك نظراً لما يقع بينهم من هذه الأحداث المؤلمة، ولقد وقع ما أخبر به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لا القاتل يدري فيم قتل ولا المقتول لم قُتِلَ ، مع أن حرمة دم المسلم عظيمة، فالدنيا تزول بأسرها أهون عند الله من قتل رجل مسلم كما أخبر بذلك الصادق المصدوق محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: ((لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مؤمن بغير حق)). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تقوم الساعة حتى يكتر الهرج)) قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: ((القتل، القتل)). وعنه رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيم قتل ، ولا المقتول فيم قُتِلَ، فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: الهرج ، القاتل والمقتول في النار)).

إنَّ طَيْشَ العقول والفساد والانحلال الخلقي والبعَدَ عن الدين واتباع الهوى يجعل الإنسان يذبح غيره كما تُذبح الشاة ، عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن بين يدي الساعة الهرج . قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل ، قالوا: أكثر مما نقتل ؛ إنا نقتل في العام الواحد سبعين ألفاً، قال: إنه ليس بقتلكم المشركين ، ولكن قتل بعضكم بعضاً، قالوا: ومعنا عقولنا يومئذٍ ؟ قال : إنه لينزع عن أكثر أهل ذلك الزمان، ويخلف له هباء من الناس

يحسب أكثرهم أنهم على شيء وليسوا على شيء)). ولكن ماذا يجب على المسلم في زمن الفتنة إذا كان القتال بين المسلمين وليس قتالاً لأعداء الله؟ إن الجواب الكافي والحل الشافي الوافي لكل مسلم هو في آخر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الآتي ذكره حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي فيها الرجل مؤمناً ويصبح كافراً، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فكسروا قسيكم وقطعوا أوتاركم واضربوا سيوفكم بالحجارة فإن دُخِلَ على أحد منكم بيته فليكن كخير ابني آدم)). يريد بذلك عليه الصلاة والسلام ابن آدم لما أراد قتل أخيه قال له أخوه كما ورد في القرآن الكريم: ﴿لَمَّا بَسَطَ إِلَىٰ يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنَّنِي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّنِي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ [المائدة: ١٧-١٩]. ولا يفهم أحد أن قتال المسلمين للكفار والجهاد في سبيل الله قد انقطع أو لا يجوز الاشتراك فيه بل المقصود عدم المساعدة على قتل المسلم بغير حق ولو بنصف كلمة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((من أعان على قتل مؤمن بشطير كلمة لقي الله عز وجل مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله)). أما قتال المشركين والكفار عموماً والمحاربين منهم خاصة فإن ذلك أمر مشروع، أما قتال اليهود والتسلط عليهم ممن يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة فقد جاء البيان الواضح في القرآن الكريم وقد توعد الله عز وجل اليهود بذلك بعد أن ذكر موقف فرعون وموقفهم مع رسولهم موسى عليه الصلاة والسلام في أكثر الآيات تفصيلاً في سورة الأعراف حيث زادت عن سبعين آية فقال الله جلَّ جلاله وتعالى سلطانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَنَنَّ

عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٧﴾ [الأعراف: ١٧٧]. فلما عتوا وطغوا وتكبروا وعصوا أمر الله وأمر رسوله موسى عليه السلام قَطَّعَهُمُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْأَرْضِ أُمَّماً فَمِنْهُمْ الصَّالِحُ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ ، وَإِذَا قَرِبَتِ الْقِيَامَةُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَرْجِعُهُمْ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَمَا جَاوَرَهَا مِنْ فِلَسْطِينَ وَالشَّامِ لِيَتَحَقَّقَ وَعَدَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ كَمَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَأَخْبَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿١٧٨﴾﴾ [النجم: ١٧٨]. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّماً﴾ [الأعراف: ١٧٨].

أما عن مجيئهم وعودتهم بعد أن تقطعوا وسكنوا الأرض فهاهم قد بدأوا العودة من ستين سنة ولن يزالوا حتى يقاتلهم المسلمون في آخر الزمان ولأنهم من أنصار الدجال، وعندما ينزل عيسى بن مريم عليه السلام يذوب الدجال كما يذوب الملح في الماء. ومما يجب على كل مسلم أن يتفكر فيه ويتأمل ويقرأ كثيراً هو تفسير الآية التالية وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الواردة حول هذا المعنى من أجل أن يفهم أن مجيء اليهود حول بيت المقدس بعد تفرقهم في الأرض من بعد موت موسى عليه الصلاة والسلام وغرق فرعون ومن معه واجتماعهم مع أهل فلسطين وبقاءهم هناك إلى قيام الساعة أن ذلك مذكور في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلى المسلم أن يفهم ذلك وغيره من أمر دينه لئلا يتيه مع التائبين ويتخبط مع المتخبطين عند النوازل، قال الله عز وجل: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٧٩﴾﴾ وبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلُهُ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٨٠﴾﴾ [الإسراء: ١٧٩، ١٨٠]. وهاهم اليهود قد جاءوا كما أخبر الله عز وجل في الآية السابق ذكرها من آخر سورة الإسراء وكما ورد في أول السورة أيضاً الخبر الذي يوضح

الاجتماع بين الفريقين والقتال ومناصرة اليهود للدجال حتى ينزل عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، وهاهم اليهود يزرعون ويهتمون بشجر الغرقد ذي الشوك الذي هو شجرهم ولا يخبر عنهم عندما يختبئون خلفه كما أخبر بذلك الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وهاهو التعايش السلمي سيبدأ بينهم وبين أهل فلسطين مؤمنهم وكافرهم إلى أن تأتي المقتلة العظيمة وتقرب القيامة، ولنتأمل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا وفي غيره ، روى الشيخان البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله: هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا شجر الغرقد فإنه من شجر اليهود)). وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: حَطَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ أَكْثَرَ خُطْبَتِهِ عَنِ الدِّجَالِ وَحَدَّرْنَاهُ . فذكر خروجه ثم نزول عيسى عليه السلام لقتله، وفيه: ((قال عيسى عليه السلام : افتحوا الباب ، فُيُفْتَحُ ، ووراء الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج ، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء ، وينطلق هارباً، ويقول عيسى عليه السلام: إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها فيدركه عند باب لُدِّ الشرقي فيقتله فيهزم الله اليهود فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي إلا انطق الله ذلك الشيء لا حجر ولا شجر ولا حائط إلا الغرقد فإنها شجرهم لا تنطق)).

صدق رب العزة والجلال وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهل بعد هذه الآيات والأحاديث يشكُّ مسلم يؤمن بالله ورسوله بعدم وجود اليهود في أرض الشام إلى قيام الساعة وهزيمة الله لهم بعد نزول عيسى عليه السلام وقتلِهِ للدجال في آخر عمر الدنيا بعد أن قطعهم الله في الأرض وفرّقهم

وبتَّهم من بعد موسى إلى زمننا هذا ثم جاء بهم سبحانه تحقيقاً لوعده عز وجل بأن يجمعهم لفيماً هم وعدوهم؟ إن الواجب على كل مسلم أن يعي ويتدبَّر كلام الله وكلام رسوله ويفهمه على حقيقته وألا يمرَّ به مرور العابر للسبيل، وألا يتكلم بما لا يعقله أو لا يفهمه من قول الله عز وجل ومن قول رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا تأخذه العزة بالإثم لنشر ما يناقض القرآن والسنة. ولا غرابة في تكليم الحجر والشجر وغيره للإنسان عند قتال اليهود في آخر الزمان بل يكون كلام السباع والجمادات للإنس، وهانحن في بدايتها مع الاكتشافات العلمية التي علمها الله البشر، فكل يوم نرى ونسمع عن العديد مما يُستعمل من أجهزة سرية أو علنية تنقل الأخبار والأنباء صادقة كانت أو كاذبة حتى أصبحت في الساعات والأقلام ومثل رأس الإبرة والدبوس توضع في أي مكان لاكتشاف الغامض من الأخبار هذا فضلاً عن العلي منها عبر الهاتف والفضائيات والشبكة العنكبوتية المعلوماتية العالمية المسماة بالإنترنت، وسوف يكلم الإنسان فخذهُ وشراكُ نَعْلِهِ وعذبةُ سَوَظِهِ كما أخبر بذلك رسول الهدى محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال عليه الصلاة والسلام: ((والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباعُ الإنس، ويكلم الرجلُ عذبةُ سَوَظِهِ وشراكُ نَعْلِهِ ويخبره فخذُهُ بما أحدث أهلُه بعده)). وهذا تقريب للأذهان وشاهد واضح للعيان بما سيكون في آخر الزمان، وهذا القتال غير القتال الذي يكون فيه المسلمون واليهود على ضِفْتَيْ نَهْرِ الأردن في الشرق والغرب منه فهذا والله أعلم قد أقبل وقرب أوانه كما هي علاماته وكما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك حيث تكون الهدنة بين الطرفين وبعدها يغدر بنو الأصفر بالعرب والمسلمين، وقد بدأ اجتماع اليهود وتجمعهم مع العرب من أهل فلسطين ولا أقول المسلمين لأن منهم العديد من الملل والنحل الأخرى بعد عودة اليهود من بعد

الانتشار في الأرض ليتحقق وعد الله تعالى كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وكما هو موجود لديهم أيضاً في أسفارهم وأناجيلهم ، أما متى يكون ذلك ؟ فعلمه عند الله تعالى ، وإذا وقع فعلى المسلمين مع إيمانهم المسبق زيادة الإيمان والتصديق مع عمل ما يجب وما يأمرهم به إسلامهم. وعليهم أن يأخذوا الحيطة والحذر من اليهود وخياناتهم ومكرهم وغدرهم ولا يكونوا في غفلة من أمرهم مما يُبَيِّنُهُ لهم اليهود وأعدائهم وجميع أعدائهم .

علامات الساعة / 4

الخطبة الثانية

الحمد لله ، علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، الحمد والشكر له تعالى على نعمه وآلائه التي لا تعد ولا تحصى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وآله.

أما بعد: فمما أخبر به رسولنا محمد صلى اله عليه وسلم ويقع بعده ولا يراهم بل يأتون في آخر أمته عليه الصلاة والسلام ، خروج النساء من أمته عاريات وإن كن كاسيات وعليهن اللباس فهن مع ذلك عاريات لأنَّ ثيابهن لا تؤدي وظيفة السَّتر لرفَّة ملابسهن وشفافيتها أو لأنهن يلبسن الملابس القصيرة أو تشد إحداهن عباءتها وتضيِّق ثيابها على جسدها حتى تظهر تفاصيل جسمها ، فهن كاسيات وعاريات في الوقت نفسه وإن اشترين ملابسهن تلك بأغلى الأسعار فمع اكتسائهن فهن عاريات، وأخبر أيضاً عليه الصلاة والسلام في وصفهن بأنهن مائلات مميلات، فُلْبِسُ الكعب العالي مع الإضرار بالصحة التي ينصح الأطباء بعدم استخدام تلك الأحذية يجعل المرأة مائلة في مشيتها يميناً وشمالاً وضاربة برجلها الأرض حتى يظهر

صوت نعالها لِثَمِيلِ الرجال إلى النظر إليها فهي مائلة مميلة سواء في جسدها أو غيرها من الرجال عن الطريق السوي وقد ورد النهي عن ضرب الأرض بأرجلهن في قوله تعالى : ﴿ ولا يضرين بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾ [النور : ٥١]. رؤوسهن كأسنمة الجمال بحيث يجمعن شعر رؤوسهن وتَلْفُهُ إحداهن فوق رأسها حتى يتمايل إلى ناحية من جوانب الرأس كما تتمايل أسنمة الإبل ، وبعضهن تضع على رأسها ما يسمى بالباروكة الشعر الصناعي لينطبق عليها الوصف تماماً ، وقيل في المائلات بأنها المِشْطَةُ المِئْلَاءُ في أحد جانبي الرأس وهي مِشْطَةُ البغايا الزانيات معروفة لهن وبينهن ، وقيل في المائلات المميلات بأنهن مائلات بأنفسهن عن طريق الحق ومميلات لغيرهن أيضاً. وفي الرواية الأخرى بأنهن يركبن هن والرجال على السروج والمياثر كأشباه الرِّحَال وهي السيارات الوثيرة الآن حتى ينزلوا على أبواب المساجد ثم يؤدون الصلاة ، والصنف الآخر هم الشُّرْطُ الذين معهم سياط كأذنان البقر يضربون بها الناس وهذا منتشر في العالم بأكمله كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك ويستعملون أنواع التعذيب لعباد الله ومنها تلك السياط أو ما يسمى بالعصا الكهربائية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذنان البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا)).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على سروج كأشباه الرحال . وفي رواية : على المياثر . ينزلون على أبواب المساجد نساءؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف ، العنوهن فإنهن ملعونات ، ولو كانت وراءكم أمة من الأمم لخدمن نساءؤكم نساءؤهم كما يخدمنكم نساء الأمم

قبلكم)). رواه الإمام أحمد ، وقال أحمد شاكر إسناده صحيح. ورواه الحاكم بنحوه ، رحمهم الله جميعاً، وفي نهاية الحديث إشارة لطيفة واستنباط قوي للخادمت الأجنبيات من النصارى وغيرهم أو من المسلمين ويخدمن في بيوت المسلمين، وكذلك تكريم الله سبحانه لهذه الأمة ونعمته عليها بأن يحفظ نساءهم من الخدمة في بيوت غير المسلمين وخاصة في هذه البلاد والله الحمد والمنة ، والله أعلم وأحكم.

وإذا أطاع الرجل زوجته وتركها تفعل ما تشاء في ملابسها بالتشبه بالكافرات والزانيات ولبس الكعب العالي وتعاملها مع الرجال دون غَيْرَةٍ حتى تشبه إحداهن بالرجال في ملابسها أو تعاملها، فعندئذ لا يُستغرب أن يطيع ذلك الرجل زوجته ويعقُّ أمه ويقوم ببر أصدقائه ويعصي أباه ولا يستأنس معه بل لا يجد الأُنس إلا مع صديقه وزوجته ، وهذا الذي أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم حاصل الآن نسأل الله اللطف والعفو والعافية.

ووردت عدة أحاديث منها: ((إذا فعلت أمتي خمس عشر خصلة حلَّ بها البلاء . فذكر منها . وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه . وفي نهاية الحديث . فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء أو خسفاً ومسحاً)). وفي الحديث الآخر: ((من اقترب الساعة . وتشبه النساء بالرجال والرجال بالنساء)). وروي أيضاً: ((كيف بكم إذا فسق فتيانكم وطغى نساؤكم)) قالوا يا رسول الله: وإن ذلك لكائن؟ قال: ((نعم وأشد منه)).

علامات الساعة / 5

1410/ 7/21 هـ

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي

له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى اله عليه وعلى آله وسلم تسليماً .
أما بعد: فلقد سبق الحديث في خطب ماضية عن بعض علامات الساعة وأشراطها، وأعود الآن لأذكر بعضها أيضاً لأن الحديث عنها شيقٌ ، وكيف لا يكون اشتياق المؤمنين الصادقين لذلك وهم يجدون أخبار الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام بأمر غيبية من قبل مئات السنين يرون ذلك ويعيشونه واقعاً مشاهداً أمام أعينهم ! إنهم يزدادون إيماناً مع إيمانهم ويقيناً على يقينهم وعملاً صالحاً يتقربون به إلى الله عز وجل فيما بقي من أعمارهم ، ويدحضون حجج وشكوك المبطلين والملحدّين من أعداء هذا الدين لكي يبلغ الإسلام جميع أقطار الأرض وتقوم الحجة على الخلق أجمعين بإذن الله عز وجل .

ومن تلك العلامات التي أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن وقوعها في آخر الزمان وهي دلالة واضحة على قرب قيام الساعة: ضياع الأمانة، والأمانة ضد الخيانة، وتحل الخيانة مكان الأمانة عند كثير من الناس وينكرون على الأمين أمانته ويعتبرونه درويشاً مغفلاً وأيضاً يقلبون عليه الأمور أمام الناس ويصفونه بالخيانة ، وعلى العكس من ذلك الخائن هو الأمين في نظرهم ويقلبون الحقائق ليبرئوا ساحته ليظهر أنه أمين لا ضيرَ عليه. وهذا مصداقٌ لما أخبر عنه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في معرض حديثه: ((ويخون الأمين ويؤتمن الخائن)) ومن يختلط بالناس عموماً ويحتكُ بهم ويأخذ ويعطي هو بنفسه معهم يجد أموراً غريبة لا يكاد يصدّق وجودها بين المسلمين فضلاً عن غيرهم لولا الأحاديث الواردة في ذلك التي تورّد الطمأنينة على نفسه وتزيد إيمانه ويقينه ، أما البعيدون عن الاحتكاك بالناس أو الذين يعيشون في بروج عاجية بعيداً عن أمر العامة فيظنون أن

الأمور في أحسن الأحوال ، وينطبق عليهم : إن كنتَ تدري فتلك مصيبة وإن كنتَ لا تدري فالمصيبة أعظم .

فمن مظاهر تضييع الأمانة إسناد أمور الناس أياً كانت تلك الأمور إلى غير أهلها ، ومعلوم أن أهلها هم أهل الأمانة والصدق والتعفف عن الحرام والإخلاص والوفاء وأداء الأمانة كما ينبغي بعد الخوف من الله عز وجل . فإذا أُسندت مصالح الناس إلى غير أهلها ضاعت الحقوق وحصل الاستخفاف بمصالح العباد وإيغار الصدور وإثارة الفتن وإشاعة الفوضى في المجتمع ، وهذا هو حال المجتمعات اليوم ، وبهذا يتبين صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدل على قرب وقوع القيامة ، فحينما يفكر المؤمن ويمعن النظر في واقع البشر اليوم يجد ذلك الخبر واقعاً ومشاهداً لا يملك إلا أن يقول إنا لله وإنا إليه راجعون وهو حسبنا ونعم الوكيل .

روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال ، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: ((أين أراه السائل عن الساعة؟)). قال: ها أنا يا رسول الله. قال: ((إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة)). قال: كيف إضاعتها؟ قال: ((إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)). وفي حديث آخر بين الرسول صلى الله عليه وسلم كيف ترفع الأمانة من القلوب وأنه لا يبقى منها في القلب إلا أثرها حتى يصير الرجل خائناً بعد أن كان أميناً لمخالطته أهل الخيانة فيقتدي بهم ويفعل فعلهم جاء في صحيح البخاري رحمه الله من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر ، حدثنا: ((أن الأمانة نزلت في جذر

قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة)). وحدثنا عن رفعها قال: ((ينام الرجل النَّوْمَةَ فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوُكْتِ . أي كالنقطة في الشيء من غير لونه . ثم ينام النَّوْمَةَ فتقبض ويبقى أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفظ فتراه مُنْتَبِراً وليس فيه شيء ، فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة ، فيقال إن في بني فلان رجلاً أميناً ، ويقال للرجل ما أعقله ، ما أظرفه ، ما أجلده ، وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولقد أتى عليّ زمان وما أبالي أيكم بايعت ، لئن كان مسلماً رده علي الإسلام ، وإن كان نصرانياً رده علي ساعيه ، فأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلاناً وفلاناً)). وورد أيضاً: ((أول ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخرها الصلاة)). وهاهو التهاون والاستخفاف بالصلاة وشأنها نعيشه الآن حيث تمتلئ المساجد في الجمع والعيدين وتكون خالية من كثير من المسلمين في الفروض ، فأين أولئك الرجال من حضور صلاة الجماعة في المساجد؟ وأين إقامة الصلاة والخشوع وثمره الصلاة في حياة الناس بالانتهاء عما يغضب الله عز وجل؟ مع أن الأمانة عرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ تَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢]. وهناك خطبة مستقلة إن شاء الله عن الأمانة وما يتعلق بها، والكلام هنا هو عن إضاعتها وانتشار الخيانة، وكلُّ لديه كثيرٌ من المعلومات ولا داعي لضرب الأمثلة ، ومن أشرط الساعة : كثرة الكتابة وانتشارها وفي الوقت نفسه يُرفع العلم ويُقبض العلماء ويثبت الجهل ويفشو وينزل في أوساط الناس ، وقد يظن شخصٌ بأن في الأحاديث تناقضاً وليس الأمر كذلك وإنما هو الواقع اليوم كما أخبر رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث انتشرت الكتابة وفشت حتى صارت دول العالم

بأكملها تحارب الأمية كما يقولون فترى الرجال والنساء الذين فاتهم قطار التعليم والتعلم في الصغر يسارعون إلى الالتحاق بها حتى تفشو الكتابة وتنتشر ويحصل ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم. لكن ذلك التعلم والتعليم لهم ولغيرهم يكون فيه الجهل أيضاً، علم العلوم الدنيوية وتعلمها يكون كثيراً فنحن نرى ونسمع عن تقدم العلوم ، ولكن في أي مجال ؟ إنه الإقبال على تعلّم علوم الحياة الدنيوية، وفي المقابل الجهل بالعلوم الشرعية ، لذلك ترى كثيراً من الناس لا يعرفون كثيراً مما تدعو إليه الضرورة في دينهم فضلاً عن الأمور الأخرى ، وهذا يدل على جهل أكثر المسلمين بدينهم بالرغم من تقدم العلوم في جميع المجالات ومنها ما يسمونه بالثقافة وأنّ أكثر أفراد المجتمع مثقفون ، نعم إنهم مثقفون في أمور الدنيا ولكن الجهل محيط بهم ومُحَيِّمٌ عليهم في أمور دينهم ، والقرآن الكريم أول تلك العلوم الشرعية التي لا يتقنونها مع أن معظمهم من العرب ويتكلمون بلسان عربي، فمعظم من يعيش في مجتمع المسلمين من العرب لا يعرفون كيف يتلون كتاب الله كما أنزل ، فهذا يعتبر من الجهل ، كذلك علم الفرائض التي ورد فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((تعلموا الفرائض وعلموها الناس فإنني امرؤ مقبوض وإن هذا العلم سيقبض وتظهر الفتن حتى يختلف الاثنان في الفريضة فلا يجدان من يفصل بينهما)). وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل)). وقال صلى الله عليه وسلم : ((إن بين يدي الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل ويرفع العلم)). وقال رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم: ((يتقارب الزمان ويقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج)). أي القتل . وقد وقع ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يزال إلى أن تقوم الساعة حتى يُسْرَى بالقرآن لا يبقى منه في الصدور ولا في السطور آية من كتاب

الله. فتقارب الزمان حاصل حيث أن السنة تمر علينا كالشهر والشهر كالأسبوع والأسبوع كالיום واليوم كالساعة والساعة كالدقيقة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ، ويكون الشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم ، ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كاحتراق السعفة)). ولم يعد في الأوقات بركة وهاهي السنون تطوينا طياً وعلم الدين الصحيح في طريقه من سنوات مضت وذلك بقبض العلماء المتقين لله الذين هم ورثة الأنبياء ويحيون السنة ويميتون البدع ويحذرون منها فيظهر على العكس من يميت السنة ويحيي البدعة ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يُبقِ عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)). فتبين من هذا الحديث المتفق على صحته أن العلم المراد بالجهل فيه هو علم الدين ، وجهل الناس هو الجهل بأمور الإسلام لدرجة أنهم يتخذون الجهال مفتين لهم فتكون الفتوى بغير علم فيضل السائل والمستقل ، وهذا هو الحاصل خاصة بين الشباب وفي الأحزاب والجماعات الإسلامية المختلفة. وأما عن كثرة الكتابة وانتشارها فيقول رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم: ((إن بين يدي الساعة .. ظهور القلم)). وفي حديث آخر: ((إن من أشراط الساعة .. أن يكثر التجار ويظهر العلم)). وقد كثرت الكتابة وانتشرت بتوفر آلات الطباعة والتصوير التي سهلت انتشار الكتابة في أسرع وقت وأصبحنا نشاهد طباعة الجرائد والمجلات وغيرها من الأوراق الأخرى وتبادل المعلومات على بُعد آلاف الكيلومترات في المخترعات الحديثة التي سهلت نشر الكتابة وانتشارها خلال دقائق بل ثوانٍ مع الحاسبات الآلية والشبكة العنكبوتية شبكة المعلومات العالمية المسماة

بالإنترنت وغيرها. فمن أخبر رسولنا محمداً صلى الله عليه وسلم وأعطاه جوامع الكلم ليتحدث بها عن أمور غيبية تقع بعده بمئات السنين؟ إنه الله عز وجل الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى فتبارك الله رب العالمين . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يُدرس الإسلام كما يُدرس وَشْيُ الثوب حتى لا يُدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ، ويُسرَى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية ، وتبقى طوائف من الناس. الشيخ الكبير والعجوز ، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة يقولون: ((لا إله إلا الله ، فنحن نقولها)). وهذا والله أعلم يكون في آخر الزمان عند قرب القيامة. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ((لينزع القرآن من بين أظهركم يُسرَى عليه ليلاً فيذهب من أجواف الرجال فلا يبقى في الأرض منه شيء)).

علامات الساعة / 5

الخطبة الثانية

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّا كَثُفَ فِيهِ أَبْدًا ﴿٣﴾ ﴾ [الكهف: ١-٣]. أحمده سبحانه وأشكره وأؤمن به وأتوكل عليه وأثني عليه الخير كله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً .

أما بعد: فإن من علامات الساعة وأماراتها التماس العلم عند الأصاغر أي أهل البدع والأهواء ، وعندها يتفرق الناس وتتعدد المذاهب وتكثر الأحزاب والأهواء ويُعجَبُ كلُّ ذي رأي برأيه ويتمسك به ويناصره ويبغض ويبغادي مخالفه من أجل الانتصار لرأيه وما هو عليه ويعتقد أنه على الحق وغيره على الباطل وعندها تكون الهلكة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن من أشراط الساعة ثلاثاً، إحداهن: أن يُلتَمَسَ العلم عند الأصاغر)). وعن عبد

الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ومن أكابره، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغره وتفرقت أهواؤهم هلكوا . وسئل عبد الله بن المبارك رحمه الله عن الأصاغر؟ فقال: الذين يقولون برأيهم ، فأما صغير يروي عنه كبير فليس بصغير، وقال أيضاً: إنهم أهل البدع وقد يقال كما هو مشاهد الآن وكما هو ظاهر في الوسائل الإعلامية المختلفة بأن المبتدئين في طلب العلم والذين يحبون الشهرة والمتحمسين للدعوة أيضاً وغيرهم ممن يظهر على الشاشات وأمام اللاقطات وعلى صفحات الجرائد والمجلات ويفتون الناس بعلم في جوانب قليلة ، وبغير علم في كثير من الأمور ويترك العلماء والراسخون في العلم ويُعدون عن الظهور لأي سبب من الأسباب فعندها يُؤخذ العلم من الأصاغر فعلاً ويترك الأكابر، والله أعلم.

ومن العلامات ذهاب الصالحين وقلة الأخيار والمتقين وكثرة الأشرار وازديادهم حتى تقوم الساعة على شرار الخلق . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تقوم الساعة حتى يأخذ الله شريطته . أي أهل الخير والصالح من أهل الدين . من أهل الأرض فيبقى فيها عجاجة . الغوغاء والأراذل ومن لا خير فيه . لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً)) . وقال صلى الله عليه وسلم: ((يأتي على الناس زمان يُغربلون فيه غربة يبقى منهم خُثالة قد مرَّجتْ عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا)) وشبك بين أصابعه . ومنها ارتفاع أسافل الناس على خيارهم فتكون أمور الناس ومصالحهم بين سفهائهم وأراذلهم الذين هم أسعد الناس في هذا الزمن . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنها ستأتي على الناس سنون خداعة يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويضة)). قيل: وما الرويضة؟ قال: ((السفيه يتكلم

في أمر العامة)). وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لُكع بن لُكع)) ومنها صدق رؤيا المؤمن في آخر الزمان فهي تقع كما رآها في المنام ولا تحتاج إلى تعبير وتأويل تسليئةً للمؤمن الصادق وإكراماً له وإعانةً وإيناساً له بالرؤيا الصادقة . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المسلم تكذب ، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً ورؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين جزءاً من النبوة)) .

علامات الساعة / 6

1410/7/28هـ

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً.

أما بعد: فإن من علامات الساعة وأشراتها والمعالم في بدايتها كثرة النساء وقلة الرجال ، فمن حكمة الله عز وجل وتقديره وإحاطته بكل شيء علماً أن يكون عدد الإناث مناسباً ومقارباً لعدد الرجال في كل زمان ومكان ، وأبيح تعدد الزوجات في الإسلام إلى أربع لحكم كثيرة، ومنها وقت الحروب حين يُقتل الرجال وتبقى النساء بلا أزواج فيجدن من التعدد ما يطمعن فيه في كثير من الأمور، وعند قرب القيامة تكثر النساء أيضاً لكي يقع ما أخبر به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من كثرة النساء وقلة الرجال حتى يُرى الرجل الواحد يتبعه أربعون أو خمسون امرأة يُلذَنَ به من حيث القيام بأمورهن ، وهذا كناية عن كثرتهن وليس حصر العدد بذلك فقط ، بل يتبع بعض الرجال الخمس والعشر والعشرون والثلاثون إلى الخمسين وما بينها من

الأعداد ، وهذه التبعية للرجل يكنّ بنات له وبنات بنات وبنات أخوة وأخوات وعمات وزوجات وخالات وجدات من أقاربه لقلة الرجال حتى يكون هو القيم على شؤونهن وأموهن فتكثر النساء مع قلة إيجاب الذكور وكثرة الحروب التي يكون الرجال فيها هم الضحايا والنساء بعيدات عن ذلك ، وأيضاً بسبب الحوادث في الطائرات والسفن والسيارات والقاطرات وغير ذلك من الأسباب الظاهرة لنا حول كثرة النساء وقلة الرجال .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((من أشرط الساعة - وذكر علامات إلى أن قال - وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون خمسين امرأة القيم الواحد)) .

وفي الحديث الآخر الذي ظاهر لفظه ذهاب الرجال في الحروب والقتال قوله صلى الله عليه وسلم: ((ويذهب الرجال وتبقى النساء حتى يكون خمسين امرأة قيم واحد)). وفي حديث آخر أيضاً في صحيح مسلم رحمه الله ((ويرى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء)). وبوادرها قد ظهرت من سنوات ، والمتأمل في أحوال العالم اليوم يجد بداية الأمر قد ظهرت حيث الحروب التي يشعلها الكفار بين الدول الإسلامية ويقتتل المسلمون فيما بينهم حتى يقل الرجال وتبقى النساء. ومما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم وهو واقع في مجتمعات المسلمين اليوم وقوع التناكر بين الناس لكثرة الفتن والمحن والغل والحقد والحسد واستيلاء المادة على قلوب الناس وعقولهم حيث يعمل كل منهم لحظوظ نفسه غير مكترث بمصالح الآخرين ولا بحقوقهم ، وبذلك انتشرت الأنانية البغيضة وأصبح كل شخص يعيش في نطاق شهواته وأهوائه غير عابئ بالآخرين ، وهمة نفسه فقط وأهل بيته إن لم تنعدم تلك الرابطة أيضاً في بعض البيوت ، حتى أصبح الجار لا يعرف للجار حقاً بل قد يشتكي من سوء جواره ويتمنى اليوم الذي

لا يراه فيه إما بارتحال أو موت، وذلك بسبب المدنية الزاحفة إلينا وبسبب البعد عن تعاليم الإسلام التي مدارها على الأخوة الإيمانية التي تجمعهم على الحب في الله والتعاون على البر والتقوى ، هذا إذا كانوا بعيدين عن بعضهم بعضاً في المساكن ، أما إذا كانوا جيراناً فالحقوق أعظم ولكن الواقع غير ذلك، فالإفساد بين المسلمين بعضهم على بعض والنميمة والغيبة والبهتان وأذية الجيران بشتى الطرق والأساليب التي بها يختبئ ويخادع ويمكر صاحبها لكيلا ينكشف ويظهر وينفضح أمره .

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال: ((علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ولكن أخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها ، إن بين يديها فتنة وهرجاً ، قالوا: يا رسول الله الفتنة قد عرفناها ، فالهرج ما هو ؟ قال: بلسان الحبشة: القتل ، ويُلقي بين الناس التناكر فلا يكاد أحد يعرف أحداً)) . نعم لقد وقع التناكر بين القلوب حتى أصبح الشخص يلقي غيره بوجه طليق بشوش واستقبال حار ليثبت أخوته له ، ولكنه في الخفاء مثل الأفعى والحية عدوٌ لدودٌ يُظهر خلاف ما يُطنن ، إذا أُتيحت له فرصة في الظلام دون علم ذلك الشخص الآخر بهم بكل سوء ويقول فيه من الغيبة والنميمة والبهتان وقَوْل الزور ما الله به عليم، فهؤلاء الأصناف من الناس هم إخوان في العلانية وأعداء في السريرة ، كما ورد في الأثر عن عمر رضي الله عنه وذلك في تفسير لحديث يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان فيه ضعف إلا أن الواقع يصدقه ، وهو رغبة بعضهم إلى بعض من أجل المصالح ، قال: ((إن أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها إلى أن يكونوا إخوان العلانية أعداء السريرة ، إلى أن قال وذلك زمان تظهر فيه الرغبة والرغبة ، تكون رغبة بعض الناس إلى بعض لصالح دنياهم)).

وجاء في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يكون في آخر الزمان أقوام إخوان العلانية أعداء السريرة، قال: يا رسول الله كيف يكون ذلك؟ قال: برغبة بعضهم إلى بعض وبرهبة بعضهم من بعض)). و هذا التناكر بين القلوب يصل حتى بين ذوي القربى والأرحام والجيران وهذا حاصل لسوء المعاملة وهمُّ كل شخص وحرصه على مصالحه دون غيره ، وظهور الفحش والتفحش في الكلام والأفعال . عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفحش وقطيعة الرحم وسوء المجاورة)). ومن العلامات التي وقعت هذا الزمان في ديار الإسلام هو دخول بعض المسلمين إلى المساجد ولا يصلون ركعتين تحيةً للمسجد وتعظيماً لشعائر الله واحتراماً لبيوت الله عز وجل ويمرّون ويدخلون إما للفرجة والإطلاع في فنّ العمارة أو لكتابة تقارير أو لأخذ صور ، ولقد وصل الأمر في بعض البلاد الإسلامية إلى أن يدخل الكفار بعض المساجد لأخذ الصور من فنّ الزخرفة والنقوش والمعمار ، فإذا حصل التهاون من المسلمين بأداء الركعتين عند مرورهم بالمسجد فلقد حصل أكبر من ذلك وهو ما أشرت إليه سابقاً في بعض البلاد الإسلامية ، وأكثر من ذلك رأيته بنفسه حيث قام جماعة من العمال البوذيين بترميم مسجد وعمل ملحق له، والمسلمون يؤدون الصلاة وهم يدخلون في مؤخرة المسجد ويطالعون فيهم وهم على أخشاب وسقالات التّلييس والدهان، وأمر آخر هو قيام رجلٍ بُوذِيّ بالإشراف على بعض المساجد ، فإذا وصل الأمر بالمسلمين إلى أن يستقدموا من يعبد البقر والنار لعمارة مساجدهم والإشراف عليها مع أنه لا يجوز استقدامهم أصلاً لا هم ولا غيرهم ممن يدين بغير الإسلام إلى هذه الديار إذا وصل الأمر في حب الدنيا إلى هذا الحد والتهاون بأمر الدين وضعفه في النفوس وفي الواقع عندها

فإن الأمر يكون من الخطورة بمكان ليس بالهين ، فعلى من غلبت عليه المادة أن يتقي الله سبحانه وتعالى ويخاف من أليم عقابه إن عاجلاً أو آجلاً وحين لا تنفع ساعات الندم .

والدليل على ما ذكر من اتخاذ المسلمين للمساجد طرقات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن من أشراط الساعة أن يمر الرجل بالمسجد لا يصلي فيه ركعتين)). وفي رواية أخرى: ((أن يجتاز الرجل المسجد فلا يصلي فيه)). وعن أنس يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن من أمارات الساعة أن تُتَّخَذَ المساجد طرقاتاً)) .

ومن العلامات التي قد حصلت في بعض الديار ولا تزال هو تمّي الشخص الموت من شدة ما يلاقي من بلاء ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه)).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ، ويقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدين إلا البلاء)). وهذا يقع من المسلمين حيث يتمنى أحدهم الموت من شدة البلاء وليس من أجل إخلاصه ووجهه لدينه كما يجب لأنه يعلم أنه لو انتحر وتخلص من حياته فمصيره إلى النار فلذلك يريد الموت والتخلص من الحياة . علماً بأنه لا يجوز للمؤمن أن يتمنى الموت لضّرّ نزل به للحديث الوارد في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث: ((لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لِيُضَرَّ بِهِ وَإِنْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ أَنْ يَسْتَبِيحَ نَفْسَهُ بِأَخِيهِ مَا كَانَ خَيْرًا لِي وَإِنْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ أَنْ يَسْتَبِيحَ نَفْسَهُ بِأَخِيهِ مَا كَانَ خَيْرًا لِي)) .

علامات الساعة / 6

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، أحمدته سبحانه وأشكره وأثني عليه الخير كله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً وعلى آله .
أما بعد: فمما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً وجناناً ، أي تكون فيها البساتين والأرض ذات الكلاً والعشب والأشجار من جميع الفواكه والخضروات مما تنبت الأرض، وقد فسر بعض العلماء هذا في القديم والحديث بتفسيرات وتأويلات عدة، منها: أن أرض العرب عموماً الآن أصبحت مروجاً وأنهاراً، ومنها الجزيرة العربية الآن قد منّ الله على أهلها بوفرة المياه في الصحراء في أعالي الجبال وفي القريب والبعيد حيث جلبت لها المياه على بعد مئات الكيلومترات وارتوت الأرض فضلاً عن الآبار الارتوازية العميقة حتى غدت كثير من الأراضي القاحلة الجرداء مروجاً وجناناً خضراء بعد أن كانت يابسة لا ماء فيها ولا نبات ، ومنهم من وقف عند دقة اللفظ في الحديث النبوي في قوله: ((حتى تعود)) أي أنها كانت أنهاراً فعلاً وستعود كما كانت وقد اكتشف من له عناية بعلوم الأرض في إحدى الجامعات بأن الأرض في المملكة بما فيها الصحراء والربع الخالي كانت فيها الأنهار تجري وسوف تعود بإذن الله ، وقالوا كذلك عن زحف الثلوج من القطب المتجمد يؤدي إلى ارتفاع منسوب المياه في البحار ، إلى غير ذلك من التأويلات والتفسيرات أيّاً كانت ، ونحن نؤمن بما ثبت

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على أي حال يكونُ فالله أعلم وأحكم. ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً)). رواه مسلم رحمه الله. وفي صحيح مسلم أيضاً من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في غزوة تبوك: ((إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي ، فجنناها وقد سبقنا عليها رجالان ، والعين مثل الشراك تَبُضُّ بشيء من ماء، قال: فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم هل مَسَسْتُمَا من مائها شيئاً؟ قال: نعم ، فعضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال لهما ما شاء الله أن يقول، قال: ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شيء ، قال وغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يديه ووجهه ثم عاده فيها فجرت العين بماءٍ منهمرٍ - أو قال غزيرٍ - حتى استقى الناس ثم قال : يوشك يا معاذ إن طالت بك الحياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جناناً)). فهذا الحديث الصحيح فيه فوائد عظيمة ولكن يهمننا الشاهد منه وهو قوله صلى الله عليه وسلم عن تبوك وتلك العين وما جاورها بأن تكون فيها الجنان والأشجار ومن جميع الخضر والفواكه والمزروعات بعد أن كان لا يوجد بها إلا تلك العين التي لا تسيل إلا بماء يسير وقليل جداً وأجراها الله على يديه عليه الصلاة والسلام، وهاهي قد مُلِيء ما حولها بالجنان والبساتين والخضروات وملئت الأسواق على مئات الكيلومترات من خضرواتها وفواكه جنانها كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم: ((يوشك إن طالت بك الحياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جناناً)). وصدق رسول الله صلى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ عَنْهُ: ((وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿١﴾ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٢﴾)) [النجم: ١، ٢].

علامات الساعة / 7

1410/8/12 هـ

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

أخبر الله عز وجل منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة عن اقتراب الساعة وأن أشراتها أتت وبدأت من مئات السنين ، وتلك العلامات والدلالات هي في حقيقتها إقناع وحجة على المكذبين بالقيامة والبعث والجزاء والحساب والعقاب والجنة والنار ليزداد المؤمنون إيماناً مع إيمانهم وليقفوا في وجه المعاندين المكابرين الجاحدين بالحجة والبرهان والأدلة القاطعة التي لا يمكن أن تكون من عند بشر وإنما هي من لدن حكيم خبير يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، فسبحان ذي العزة والجبروت الذي قال في محكم تنزيله: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [فاطر: ١٧]. وأعود للتذكير ببعض الآيات القرآنية عن الساعة وأشراتها واقترابها من أجل الربط بين القرآن والسنة

وليرجع من أحب الرجوع إلى كتب التفسير والحديث. قال تعالى: ﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١٠٠﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿١٠١﴾ ﴾ [القمر: ١٠٠، ١٠١]. وقال عز وجل: ﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١٠٢﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٢، ١٠٣]. وقال سبحانه: ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [محمد: ١٠٤]. وقال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا ﴿١٠٥﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿١٠٦﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَىٰ ﴿١٠٧﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخَشَهَا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [النازعات: ١٠٥-١٠٨] وقال سبحانه: ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٠٩]. وقال عز وجل: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١١٠].

فهذه الآيات بمجملها تدل على أن علم وقوع القيامة لا يعلمه إلا الله عز وجل وإنما أعطى سبحانه وتعالى دلالات وعلامات واضحة في القرآن الكريم وفي سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على أنه لم يبق منذ بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إلا الشيء القليل بالنسبة لعمر الدنيا وما سلف منها كما أخبر سبحانه وبجمده في قوله عز وجل: ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١١١﴾ ﴾ [محمد: ١١١]. ومن العلامات التي أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن وقوعها أن ينحسر جريان ماء نهر الفرات الذي يمر بثلاث دول هي تركيا وسوريا والعراق حتى يلتقي بنهر دجلة ويصب في الخليج العربي ، وانحساره وعدم جريانه هو خروج وبروز جبل من ذهب يقتتل الناس عليه مقتلة عظيمة

فَيُقْتَل من كل مائة تسعة وتسعون ، والله أعلم في أي الدول الثلاث يكون ولكن سوف يقع ذلك كما ثبت في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل الذي حصل مع بداية هذا القرن الخامس عشر الهجري لتحويل ماء الفرات لمدة شهر بسبب دراسات جيولوجية كما يزعمون هو بداية لذلك فيما بعد والله أعلم، وقيل بأن الانحسار يظهر فجأة بثوران بركان في منطقة النهر يخرج منه الذهب من باطن الأرض حتى يكون جبلاً بارزاً من الذهب لأنه من المعلوم أن المواد المنصهرة التي تخرج من باطن الأرض وهي في درجات حرارة عالية جداً عندما تبرز إلى سطح الأرض وتتكون منها الجبال البركانية تبرد بعد ذلك.

فعلينا أن نؤمن بأنه سوف ينحسر نهر الفرات عن جبل من ذهب بأي كيفية يقدرها الله سبحانه وتعالى سواء أدركنا ذلك الزمن أو لم ندركه حتى نكون من المؤمنين بالغيب الذين مدحهم الله وأثنى عليهم في كتابه .
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه ، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ويقول كل رجل منهم لعلي أكون أنا الذي أنجو)). وقال صلى الله عليه وسلم: ((يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب ، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً)). وعن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : كنت واقفاً مع أبي بن كعب فقال : لا يزال الناس مختلفة أعناقهم في طلب الدنيا، قلت: أجل ، قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب فإذا سمع به الناس ساروا إليه فيقول من عنده : لئن تركنا الناس يأخذون منه ليذهبن به كله ، قال: فيقتلون عليه ، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون)).

وعلاوة وقعت في اليوم الأول من شهر الله المحرم من عام ألف وأربعمائة من الهجرة النبوية الشريفة أخبر عن وقوعها رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وهي جزء من الحديث البليغ المروي عن نبينا وحبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٥]. ولقد صنفه علماء الحديث مع هدم الكعبة ومع أحاديث المهدي لوجود الشاهد فيه على كل من ذلك ، ولننظر إلى دقة الألفاظ في قوله: ((لرجل)) والواو التي هي حرف العطف ، وثم التي هي حرف عطف ، ولكن وقوع ذلك بعد زمن طويل ، أما الواو فلقد فُرِنَتْ بِلَنْ التأييدية ، ولنستمع إلى الحديث النبوي الشريف ، عن سعيد بن سمعان قال : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يخبر أبا قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((يبايع لرجل ما بين الركن والمقام ، وَلَنْ يَسْتَحِلَّ هَذَا الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ فَإِذَا اسْتَحْلَوْهُ فَلَا تَسَالُ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ ، ثُمَّ تَأْتِي الْحَبْشَةُ فَيُخْرِبُونَهُ خِرَابًا لَا يَعْمُرُ بَعْدَهُ أَبَدًا وَهُمْ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ)) . وأقف مع بداية الحديث وأقول بأن هذا قد حصل كما أسلفت وكما ورد في ألفاظ الحديث بكل دقة. فقوله: ((يبايع لرجل)) نعم لقد حصل ذلك ، والرجل هنا نكرة وليس بمعرفة كما هو الحاصل في أحاديث المهدي ، لذا فقد حصل الخلط في تفسير وتأويل هذا الحديث لأنه موجود بين تلك الأحاديث ولأن علماء الحديث لا يعلمون الغيب ، وسياق ما فيه جعلهم يصنفونه مع تلك المجموعة ، ولكن لننظر إلى أمر عجيب في هذا الحديث كما صوره رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث ربط بين المبايعه عند الكعبة وبالتحديد بين الركن والمقام وبين أمر عظيم لم يتنبه له أكثر المسلمين وخاصة في هذا العصر الذي وقع أمامهم؟ فما هو ذلك الأمر الجلل؟ إنه استحلال حرمة البيت الحرام بالقتال فيه ، وهو الحرم الآمن الذي يحرم تنفير صيده وقطع شجره والتقاط لقطته إلا لمن يعرفها

وغير ذلك من الحرمات الأخرى التي يختص بها ساكنوه عن بقية بقاع الأرض فضلاً عن القتال فيه وانتهاك حرمة حيث لم يحلَّ إلا ساعة من نهار لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي اللفظ نفسه دقة لفظ أخرى حيث ورد حرف العطف وَلَنْ التأييدية التي تدل على أنه لن يستحل حرمة البيت الحرام بالقتال فيه إلا أهله ، وهم المسلمون ، لا يستحله اليهود ولا النصارى ولا الشيوعيون ولا غيرهم من الطوائف قبل ذلك بل يستحله المسلمون بالقتال فيه، ووقع ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأراد الله عز وجل أن ينفذ قضاؤه وقدره على وفق ما أخبر به الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام، فَخَيَّلَ إلى تلك الفئة بأن فيهم المهدي حتى يقع وينفذ الحديث حرفاً بحرف، ووقع ذلك وبقي ثُمَّ التي تفيد الترتيب، وأمام ذلك سنوات طويلة بإذن الله ، لأن نهاية الحديث تدل على أن خراب الكعبة على أيدي الحبشة عندما ينتهي مخزون الأرض من البترول وغيره من أنواع الوقود حيث لا طائرات ولا دبابات ولا صواريخ بل تعود حال الناس في ذلك الزمان على ما كانت عليه ويدل على ذلك أحاديث الدجال وقتال المسلمين لليهود وهدم الكعبة وغيرها من الأحاديث الصحيحة والواضحة للمتأمل في دقة ألفاظها. والله تعالى أعلم وأحكم . عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ويسلبها حليتها ويجردها من كسوتها، ولكأني أنظر إليه أَصْبَلِعُ أَفِيدِعُ يضرب عليها بِمَسْحَاتِهِ وَمِعْوَلِهِ)). وفي رواية للبخاري: ((كأني أنظر إليه أسود أَفْحَجَ ينقضها حجراً حجراً - يعني الكعبة)).

علامات الساعة / 7

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين أحمدده سبحانه وأشكره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً .

أما بعد: فإن الغاية والهدف من وراء الاستطراد في ذكر علامات الساعة وإن كنا لم نأت بها جميعاً فالغاية أمور متعددة منها : أداء الواجب بإبلاغ رسالة الله والدعوة إليه عز وجل ، والنصح لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، والخروج من الإثم ، والخوف من كتمان العلم الذي ينفع الله به الناس ، والوصول إلى حقيقة مهمة ، وهي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أخبرنا بتلك الأمور التي نراها بأعيننا ونعيشها ونسمع عنها في واقعنا ونراها رأي العين ، تلك الأمور التي كانت غيباً فيمن مضى من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته أصبحت واقعاً مشاهداً ، نقول بأن الذي أخبرنا عنها ورأيناها هو الذي أخبرنا عن العلامات الكبرى وسوف يراها غيرنا ممن يشاء الله له أن يعيش بعدنا، وهو الذي أخبرنا عن عذاب القبر لمن كان من أهل النار ، وعن نعيم القبر لمن كان من أهل الجنة، وهو الذي نزل عليه القرآن الكريم وأخبر عن نهاية هذا الكون الذي نألفه ونعيشه بنسف الجبال وبسّها حتى تكون كالعهن المنفوش ، وتسييرها في الفضاء الهائل الذي لا ندرك منه إلا الشيء اليسير، وعن تكوير الشمس وانكدار النجوم وحشر الوحوش وتسجير البحار وانفطار السماء وتناثر الكواكب وزلزلة الأرض لإخراج ما في باطنها من الأثقال، وبعثرة القبور

وخروج الناس منها كالجراد المنتشر وشخوص الأبصار إلى السماء من هول الحساب والعقاب والخوف من الله عز وجل والخوف من الفضيحة يوم العرض على الله تبارك وتعالى يوم يتخلى كل الناس عن بعضهم بعضاً كل يريد النجاة بنفسه وينسى أقرب قريب له ، الوالد يتخلى عن أولاده مع محبته لهم في الدنيا وعن أبيه وأمه وزوجته ويقول نفسي نفسي ، إن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي أخبرنا بذلك سواء في الأحاديث الصحيحة أو في القرآن الكريم الذي ما زال محفوظاً بأمر الله عز وجل، وهو الذي أخبرنا عن النار وجحيمها وسلاسلها وأغلالها وسعيرها وزقومها وطعام أهلها وشراهم جزاء بما كسب أهلها من الأعمال السيئة نعوذ بالله من ذلك ، وهو الذي أخبرنا عن الجنة وما أعد الله لعباده المؤمنين المتقين فيها من أصناف النعيم والتي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ودخولهم لها بسبب أعمالهم الصالحة وطاعة الله ورسوله، نسأل الله النعيم المقيم في جنات النعيم: ((إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾)) [القمر: 54، 55]. قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [السجدة: ٥٦]. إِنَّ عَالَمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الَّذِي أَخْبَرْنَا عَنْهُ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَشْعَرَ بِهِ وَنَعُدَّ لَهُ الْعِدَّةَ كَأَنَّهُ عَالَمٌ شَهَادَةٍ نَشْهَدُهُ وَنَعِيشُهُ وَنَعْمَلُ لَهُ كَمَا نَعِيشُ وَنَعْمَلُ وَنَكْدِحُ لِحَيَاتِنَا الدُّنْيَوِيَّةِ الْفَانِيَةِ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ سَاعَاتُ النَّدَمِ وَالْحَسْرَةِ وَيَتَمَنَّى كُلُّ مَنْ أَنْ لَوْ كَانَ لَهُ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ أَوْ حَسَنَاتٌ لِيَبْلُغَ بِهَا الدَّرَجَاتِ فِي الْجَنَّةِ أَوْ لِيَنْجُو بِهَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، إِنَّ الْمَهْلَةَ أَمَامَنَا مَوْجُودَةٌ سِوَاءَ طَالَ عُمُرُ الشَّخْصِ أَوْ قَصُرَ لِلِاسْتِرَادَةِ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ وَوَجُوهِهِ بِأَيِّ عَمَلٍ يَقْرُبُ الشَّخْصَ إِلَى اللَّهِ ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ قَدْ أَسَاءَ فِي حَيَاتِهِ وَاقْتَرَفَ مِنَ الْآثَامِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ وَمَاتَ تَائِباً بَعْدَ سَاعَاتٍ أَوْ أَيَّامٍ فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ يَتُوبُ عَلَيْهِ وَيُبَدِّلُهُ عَنْ سَيِّئَاتِهِ تِلْكَ

بالحسنة والأجر العظيم وغفران الذنوب وتكفير السيئات. قال تعالى: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْتَرْفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر : 53] وقال عز وجل: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: 70].

علامات الساعة [8] ظهور المهدي

الخطبة الأولى 8 / 4 / 11 14 هـ ، 1424/1/25 هـ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد: فإن الأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العلامات والآيات والأشراط الدالة على قرب قيام الساعة كثيرة جداً ، فمنها ما قد مضى وانتهى ، ومنها ما نعيشه نحن وعاصرناه، ولا تزال تتابع العلامات الوسطى ولم تنته إلى الآن وإلى أن يشاء الله تبارك وتعالى ، ولكن هناك علامات كبرى إذا تتابعت ووقعت كان قيام الساعة وهذا في آخر الزمان كما أخبر بذلك رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم . ومن الواجب على العلماء والدعاة والمرشدين والخطباء أن يبلغوا ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة حسب ما يفهمه

عامّة الناس وما يقتضيه الزمن والوقت الذي يعيشونه . وخاصة في زمن الفتن والحروب واستغلال أهل الضلال لنشر ضلالهم وباطلهم بين الناس . عليهم أن يبلغوا دين الله عز وجل حتى يكون الناس على بينة من أمرهم وهذا واجب عليهم لا يسلمون من عواقبه وإثمه إلا بإبلاغه للناس وعدم كتمان العلم الذي علموه من دين الإسلام وإلا حق عليهم ما ورد من الوعيد الشديد في الكتاب والسنة ، ومنها قول الله عز وجل: ((إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾)) [البقرة 159، 160]، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من كتم علماً أجمه الله يوم القيامة بلجام من نار)). رواه ابن حبان والحاكم ، ورواه ابن ماجه بزيادةٍ وتعريفٍ أيضاً للعلم المقصود وحصره في أمر الدين: ((من كتم علماً مما ينفع الله به الناس في أمر الدين أجمه الله يوم القيامة بلجام من نار)).

روى الإمام مسلم رحمه الله من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه أنه قال: أطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر، فقال: ((ما تذاكرون؟)) قالوا: نذكر الساعة. قال: ((إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات ، فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف، خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم)). وفي رواية أخرى: ((ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس)). وإذا

ظهر أول علامات الساعة الكبرى فإن الآيات والعلامات الأخرى تتابع
كتتابع الخرز في العقد أي في النظام من الخرز والجوهر ونحوهما حيث يتبع
بعضها بعضاً. وقد وردت السنة الصحيحة بذلك ، فعن أبي هريرة رضي الله
عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((خروج الآيات بعضها على إثر بعض
يتتابع كتتابع الخرز في النظام)). الطبراني، صححه الألباني رحمه الله في الجامع
الصغير، وعن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((
الآيات خرزات منظومات في سلك فإن يقطع السلك يتبع بعضها بعضاً)). رواه
الإمام أحمد رحمه الله. وقبل ظهور تلك العلامات الكبرى يخرج رجل من
أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه المهدي يؤيد الله به الدين
يملك سبع سنين أو تسعاً يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، تنعم
الأمّة في عهده نعمة لم تنعمها من قبل حيث تخرج الأرض نباتها، وتمطر
السماء قطرها ويعطي المال بغير عدد، وهذا الرجل يوافق اسمه اسم الرسول
صلى الله عليه وسلم، واسم أبيه كاسم أبي النبي صلى الله عليه وسلم ،
فيكون اسمه محمد أو أحمد بن عبدالله ، وأحمد مأخوذ من الحمد كما ذكر
الله تعالى عن بشارة عيسى عليه السلام بأنه سوف يأتي رسول من بعده
اسمه أحمد، فكلمة أحمد على صيغة أفعل مأخوذة من الحمد، قال تعالى: ((
وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ
التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ)). [الصف:6]. والمهدي من ذرية
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم من ولد الحسن بن علي رضي
الله عنهم أجمعين. وله صفة واردة في الحديث يعرف بها غير الاسم تفيد بأنه

أجلى الجبهة أقى الأنف، أي أنه خفيف الشعر فيما بين الصدغين ، لذلك فهو محسور شعر رأسه عن جبهته ، وقَنَا الأنف أي طول ورقة أرنبته مع حذب في وسطه. وقد وردت أحاديث صحيحة تدل على ظهور المهدي في آخر الزمان يجب على المسلم الإيمان بها، وهذه الأحاديث منها ما جاء فيه النص على المهدي الحقيقي ، ومنها ما جاء ذكر صفته، ومنها ما وقع الخلط فيه في حادثة الحرم، وذلك حديث صحيح لا شك فيه وفي وقوعه ولكن لم يتنبه لدقة ألفاظه أكثر من خلط وفسر وتأول عند وقوع تلك الحادثة وبعدها. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً، وتكثر الماشية ، وتعظم الأمة ، يعيش سبعاً ، أو ثمانياً . يعني حججاً.)). الأحاديث الصحيحة للألباني. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أبشركم بالمهدي يبعث على اختلاف من الناس وزلازل فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض ، يقسم المال صحاحاً)). فقال له رجل: ما صحاحاً؟ قال: ((بالسوية بين الناس)). قال: ((ويملاُ الله قلوب أمة محمد صلى الله عليه وسلم غنىً ، ويسعهم عدله حتى يأمر منادياً فينادي فيقول: من له في مال حاجة ؟ فما يقوم من الناس إلا رجل ، فيقول: إئت السّدان . يعني الخازن . فقل له: إن المهدي يأمر أن تعطيني مالاً، فيقول له: إحْثِ ، حتى إذا جعله في حجره وأبرزه ندم ، فيقول: كنت أجشع أمة محمد نفساً، أو عجز عني ما وسعهم ، قال: فيرده فلا يقبل منه ، فيقال له: إنا لا نأخذ شيئاً أعطيناها، فيكون كذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين ، ثم لا خير في العيش بعده ، أو قال: لا خير في الحياة بعده

((. الترمذي وأحمد رحمهما الله تعالى. وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة)). أحمد وابن ماجه، صححه الألباني في الجامع الصحيح ، قال ابن كثير رحمه الله معنى ذلك: يتوب الله عليه ويوفقه ويلهمه ويرشده بعد أن لم يكن كذلك وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((المهدي مني أجلى الجبهة أقى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يملك سبع سنين)). أبو داوود، قال الألباني رحمه الله: إسناده حسن ، صحيح الجامع ، وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((المهدي من عترتي من ولد فاطمة)). أبو داوود وابن ماجه، وصحيح الجامع ، وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم المهدي: تعال صلّ بنا ، فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض تكرمه الله لهذه الأمة)). قال ابن القيم رحمه الله: إسناده جيد، وله شاهد بعد عدة أحاديث هنا من رواية الإمام مسلم رحمه الله. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((منا الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه)). صحيح الجامع للألباني رحمه الله ، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تذهب أو لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي)). وفي رواية: ((يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي)). أبو داوود رحمه الله ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كيف أنتم

إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم)). البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى .
وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول: ((لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة
، قال: فينزل عيسى بن مريم عليه السلام، فيقول أميرهم: تعال صلّ لنا، فيقول:
لا ، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة)). مسلم ، وأيضاً عن
جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يكون في
آخر أمتي خليفة يحثي المال حثياً لا يعده عدداً . أو قال . عدداً)). مسلم .

إن من واجب المسلم التورع عن الفتيا وخاصة في الأمور الغيبية التي أخبر
عنها رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم والتي تكون قبل قيام الساعة ، أما ما
مرّ واتضح لنا وضوحاً بيناً سواء في الحاضر الذي نعيشه أو في القديم فلا
يحتاج إلى كثير بحث وتدقيق حيث كُفينا مئونة ذلك . ولقد توقفت كثيراً
عن تفسير وتأويل حديث صحيح رواه الإمام مسلم رحمه الله ونحن نعاصره
الآن وتعيشه العراق ودخلت عليهم السنة الرابعة عشرة وهم على هذه الحال
- أعيدت هذه الخطبة في محرم 1424 هـ - ولكن ربما يكون المقصود غير
ذلك وإلا فهذا الحصار الاقتصادي الذي مُنع عنهم فيه أن يُجبي إليهم دينار
أو درهم جدير بأن يكون تفسيراً لهذا الحديث ، وأذكره من أجل أن
يكتسب المسلم الورع خاصة في الذي لم يقع بعد ولم يكن واضحاً كل
الوضوح ، مع أنه وقع الحصار الواضح فعلاً بعد هذا التاريخ السابق عندما
أسقطت حكومة صدام ، ولا زال العراق وشعبه يعاني من ذلك ، وكذلك
الدول المجاورة والعالم بأسره يعاني من هذه الحروب وشروورها وتلك الحصارات

والمحاصرة الاقتصادية هنا وهناك على هذه الدولة أو تلك ، هذه الأساليب التي لا يزال يستخدمها الأعداء في القديم والحديث ومسلسلها مستمر وخاصة في هذه الأيام. عن أبي نضرة قال: كنا عند جابر بن عبد الله فقال: ((يوشك أهل العراق أن لا يجيء إليهم قفيز ولا درهم، قلنا: من أين ذاك ؟ قال: من قبل العجم يمنعون ذلك)). الحديث. لقد أردت من إيراد هذا الحديث التورع وعدم الجزم بتطبيق أحاديث أشرطة الساعة على حادثة معينة مع أن تطبيق هذا الحديث على الواقع واضح جداً ، وكذلك الحديث الذي سأذكره بعد قليل وقد وقع قبل ربع قرن من الآن . لذلك فإن الواجب على المسلم أن يؤمن بخروج المهدي في آخر الزمان ، والله أعلم متى يكون ذلك ، ولا يجوز له أن ينكر الأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك ولا في غيره .

أما الحديث التالي ذكره فإنه قد وقع قبل أكثر من خمس وعشرين سنة تقريباً أي في بداية القرن الخامس عشر الهجري ولا علاقة له بالمهدي الذي يكون في آخر الزمان وإن كان قد وُضع في بعض كتب الحديث بين أحاديث المهدي فإن الأمر فيه واضح كل الوضوح لمن تأمله بكل دقة لعدة اعتبارات: أولاً : لأن الذي خصه الرسول صلى الله عليه وسلم بالمبايعة في الحديث نكراً وليس معرفة، فقال: ((يبائع لرجل ما بين الركن والمقام)).
ثانياً: ربط الرسول صلى الله عليه وسلم بين المبايعة لذلك الرجل وبين استحلال حرمة البيت الحرام لأنه لا يجوز القتال فيه ولم يُجَل للرسول صلى الله عليه وسلم إلا ساعة من النهار يوم الفتح . وأن استحلال حرمة بالقتال

سوف يكون من قبل المسلمين وليس من قبل أي مشرك أو كافر أو ملحد ، وربط بذلك بالواو وحرف العطف كون ذلك في وقت واحد ومتقارب ، أما نهاية الحديث الذي يفيد بخراب الكعبة فقد جاء فيه حرف العطف ثم الذي يفيد الترتيب وأن ذلك سوف يكون في آخر الزمان كما فسر في أحاديث أخرى .

ثالثاً : أن المهدي لا يكون عند مبايعته أيُّ قتال ، وذلك قد حصل فيه القتال كما هو معروف . عن سعيد بن سمعان قال : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يخبر أبا قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((يباع لرجل ما بين الركن والمقام ولن يستحل البيت إلا أهله ، فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب، ثم تأتي الحبشة فيخربونه خراباً لا يعمر بعده أبداً وهم الذين يستخرجون كنزه)). أحمد وابن حبان والحاكم وغيرهم ، وقال الألباني رحمه الله إسناده صحيح ، الأحاديث الصحيحة.

من علامات الساعة / المهدي

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .
أما بعد: ففي الأيام التي سبقت الحرب على العراق وأيام الحرب كثر الكلام في السّرّ والعلن عن المهدي المنتظر خروجه ، وتمّ الترويج لأمره عبر وسائل

الإعلام المختلفة ووجدت الفرق الضالة مرتعاً خصباً لنشر كذبهم وافتراءاتهم وعقائدهم الباطلة وتعبير الرؤى والأحلام الصادقة والكاذبة من خلال المنابر الإعلامية المقروءة والمسموعة والمرئية حتى اختلّت الموازين عند كثير من المسلمين نظراً لما يُشاع ويتردد ذِكرُهُ في المجتمعات ومن خلال تلك الوسائل التي كَثُرَ شرُّها وشرُّ القائمين عليها وما يُعرض فيها ويُكتب ، وفي المقابل التقصير الحاصل من أهل الحق للاستغلال الأمثل لإزهاق الباطل ودمغه ، ولكنَّ عزاءنا بأن دين الإسلام الصافي النقي محفوظ بأمر الله عز وجل ولا تزال طائفة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قائمة بالحق إلى قيام الساعة ومنصورة بإذن الله تبارك وتعالى لا يضرها من خذلها أو خالفها. كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصوره لا يضرهم من خالفهم)). وفي رواية: ((من خذلهم أو عاداهم)). وكما ورد في الحديث السابق ذكره في الخطبة الأولى . وهذه الطائفة المنصورة هي المتمسكة بكتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين الأربعة ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ، كتاب الله وسنتي)). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ)).

إن أهل السنة المتمسكين بالكتاب والسنة حقاً لا يجدون المعاناة التي يعانها أتباع الفرق الضالة الذين يأخذون معتقداتهم وعباداتهم من مراجعهم كما يزعمون ويدَّعون ، يأخذون ذلك دون معرفة بأدلتهم أو مناقشة لهم

فيما هم عليه من الباطل حتى أصبح يَصْدُقُ عليهم وينطبق قول الله عز وجل عن اليهود والنصارى: ((اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۗ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾)). [التوبة:31]. ذلك الغموض والتعتيم والسرية التي تتبناها تلك الطوائف الضالة ليست موجودةً عند أهل السنة ، فهذا كتاب الله عز وجل وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم في متناول أيدي الجميع في المساجد والمدارس والمنازل والمكتبات العامة والخاصة وليس هناك أي سرية أو نصوص مخفية من الكتاب والسنة عن أي أحد من الناس ، أما أصحاب الضلالات والأهواء والانحرافات فيدعون زوراً وبهتاناً خلاف ذلك وينشرون كذبهم وافتراءاتهم باحتراز وتقية ظاهرة ، ولهم قوة عجيبة ودعم مادي ومعنوي من شياطين الإنس والجن مع علمهم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه: ((وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة ، وهي الجماعة)) .

أعود للقول بأن أهل السنة يؤمنون بالأحاديث الثابتة حول المهدي على النحو الذي ذكّرتُ فيه بعض الأحاديث في الخطبة وأنه على الأرجح في آخر الزمان قبل نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وفي زمن الدجال وليس في زمن محدود وشهر وسنة معلومة كما تدّعيه الفرق الضالة المنحرفة عن الصراط المستقيم الذين يستغلّون الفرص حال الفتن والحروب لدعم باطلهم ونشر وإذاعة وإشاعة الأحاديث المكذوبة والموضوعة لاستغلال سذاجة كثير من المسلمين وعدم إدراكهم ومعرفتهم بكثير من أمور دينهم

فضلاً عن قلة بضاعتهم في الأدلة عن الأمور الغيبية التي يدّعي أهل الضلال تفسيرها تبعاً لأهوائهم وباطلهم واعتقاداتهم السيئة التي لا تمتُّ بِصِلَةٍ إلى الإسلام النقي الصافي . أهل السنة يؤمنون بالمهدي وأوصافه وفق ما جاء في الأحاديث الثابتة وبأن اسمه يوافق اسم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، واسم أبيه يوافق اسم أب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وبأنه من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم من نسل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم زوجة الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين ، وهو أجلى الجبهة ، أقى الأنف ، يصلحه الله في ليلة ، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعد أن مُلئت ظمأً وجوراً ، ومُلِكُهُ من سبع إلى تسع سنوات في آخر الزمان ، يسقيه الله الغيث فتمطر السماء وتنتفع الأرض بهذا المطر فتخرج نباتها وتكثر خيراتها وتعظم الأمة وتنعم نعمة لم تنعمها من قبل ويعطي المال صحاحاً وحثياً بغير عدّ ، يؤمن أهل السنة بذلك كله وتلك الأوصاف وبخروجه من أي مكان خَرَجَ ، ويؤمنون بأنه بَشَرٌ لا يضُرُّ ولا ينفع وأن ما يُجرِّيه الله على يديه من الخير والأمن وكثرة الأموال وغيرها إنما ذلك بقدره الله عز وجل وأنه سبحانه هو الذي سخرها له لتكون آية وعلامة ودلالة عليه، ويؤمنون أيضاً أنه لا يُدخِلُ أَحَدًا الجنة أو النار ، وأن الذين يعيشون في زمنه ليس لهم أفضلية عن غيرهم من ناحية الإيمان إلا من ازداد إيمانه وخاصة من يثبت عند فتنة المسيح الدجال .

أهل السنة ليسوا ممن أنكروه أو بالغ في شأنه وأمره حتى ادّعوا وجوده منذ أكثر من أحد عشر قرناً من الزمان ومنهم الشيعة الإمامية الاثنا عشرية

الجعفرية الذين قالوا عنه بأن أمه حملت به ووضعتة في لحظات من آخر الليل من عام 256هـ ، وحملة وولادته تُشبه الحمل والولادة بعيسى بن مريم عليه السلام ، وأن اسمه محمد بن حسين العسكري ، واختفى عن الأنظار، وأنه من نسل الحسين بن علي رضي الله عنهما، وأنه على قيد الحياة ويدير شؤون الناس ولا يصله إلا الخاصة منهم ، فهو حاضر في الأمصار، غائب عن الأبصار يورث العصا ويختم الفضاء مما يدعون ويزعمون، وأنه دخل سرداب سامراء وهم ينتظرونه كل يوم يقفون بالخیل عند باب السرداب يصيحون ويطلبون خروجه منذ ألف ومائة وثلاث وسبعين سنة تقريباً(1173) سنة تقريباً، هذه الضلالات والخرافات والأساطير التي يدعيها أولئك القوم وغيرهم من الفرق الضالة ليست من الإسلام في شيء ، علماً بأنهم صرفوا أموالاً طائلة على مرّ السنين لنشر عقائدهم الباطلة ولبسوا الملابس السوداء من عباءات وعمائم للتدليس على الناس حتى يملكوا العالم ، وليتهم صرفوها هي وجهودهم في طريق الحق ، ولذلك فهم يستغلّون الأوضاع الراهنة في الحرب وبعدها لإعلان باطلهم، مع أن أحاديث صحيحة تسبق ذلك وقد ذكرتها مراتٍ في خطبٍ حول علامات الساعة الصغرى والوسطى والكبرى ، وعلم ذلك عند الله عز وجل حيث لم يُطْلَع نبيّه ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة بالتحديد إلا ما كان من عموم الآيات القرآنية أو ما أوحاه إليه وأجراه على لسانه من إخبارٍ بما يقع بين يدي الساعة، قال تعالى: ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّئُهَا لَوْفَتًا إِلَّا هُوَ ثُقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا

تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَعْتَهُ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ
أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَكَثِيرٌ لِقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ [الأعراف 187، 188]. وقال تعالى : ((اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٨٩﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ إِلَّا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارِقُونَ فِي السَّاعَةِ
لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٩٠﴾)). [الشورى 17، 18]. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا
محمد وآله.

علامات الساعة / 9 عن الدجال

1411/8/8هـ

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي
له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو
على كل شيء قدير وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله تعالى عليه
وعلى آله وسلم تسليماً.

أما بعد: فإذا نزل بالناس أمر غير مألوف لديهم كالحروب مثلاً التي تبدل
أمنهم خوفاً، فإنها تجعل الناس يذهبون كل مذهب في تفكيرهم واعتقادهم

بما فيهم كثير من المسلمين حيث ينساقون في التفكير مع أولئك القوم وينظرون للأمر نظرة سطحية لا تستند إلى كتاب أو سنة بل قد يتيهون مع التائهين ويتخبطون في الأمر الواقع وفي أمور الغيب مع المتخبطين وتشرد أذهانهم ويسبح بهم خيالهم بمنة ويسرة حتى إذا كلّوا وملّوا ناموا ثم عادوا من جديد ، مثلهم في ذلك كغيرهم من الناس سواء بسواء ، ولكن عباد الله المؤمنين المتقين يَزِيْرُونَ الأمور بميزان الشرع و يعودون إلى رب العزة و الجلال منيبين إليه ضارعين متأملين فيما ورد في كتاب ربه وفي سنة نبيه محمد صلى الله عليه و سلم ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ، ولتذكوا نفوسهم ويذهب الران الذي قد يعلو قلوبهم ، وينظرون إلى الموت وما وراءه في دار البرزخ وفي الآخرة من النعيم والعذاب ، ويسارعون في الخيرات ويتداركون ما بقي من أعمارهم ، فلا تمرُّ ساعة إلا ويستفيدون منها ويقدمون لأنفسهم ما يرفعهم به الله عز وجل ويسألون الله المزيد من فضله، فما تزيدهم الفتنة والبلايا والمحن إلا تمحيصاً وصقلاً كما يُصَقَّلُ النحاس والحديد والفضة بالنار فيخرج منها نقياً صافياً أفضل وأنقى مما كان عليه قبل ذلك. ولا أستطرد كثيراً فالليب بالإشارة يفهم . ولكن عَوْداً على بدء مع علامات الساعة وأشراتها لننظر فيما يجب اعتقاده من أمور الغيب وليكون تطلعنا ونظرتنا واستعدادنا للآخرة التي ليس بين أحدنا وبينها إلا الموت ، وما أقربه وأسرعه!! . فالذي أخبر به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من أشراف الساعة وأماراتها حق يجب على كل مسلم ومسلمة اعتقاده ، وقد ذكر عليه الصلاة والسلام أشرافاً كثيرة للساعة منها ما مضى ، ومنها ما هو حاضر، ومنها ما هو مستقبل، وقد سبق ذكر بعض ذلك ، وأبلغ ما يكون من أشرافها وأعظمه فتنة هي فتنة المسيح الدجال الذي لو ظهر فينا هذا الزمان لكان كثير من المسلمين من أتباعه لضعف عقولهم وسداجة تفكيرهم

وسرعة تصديقهم لما يقال ويشاع ويذاع ، فعندما يقال أي خبر صدقاً كان أو كذباً تجد سرعة انتشاره في المجتمع والتصديق به دون وعي أو تفكير أو تمحيص وروية ويسري سريان النار في الهشيم ، هذا في مجتمع الرجال ، فما بالنا بالنساء ناقصات العقل والدين ؛ كثير من المسلمين تجده كالريشة في مهب الريح تعصف بها يميناً وشمالاً وتنقلها من مكان إلى آخر. فالمؤمن لا بد أن يكون راسخاً في إيمانه وعقيدته وعمله وتفكيره سائراً على كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم عاملاً بهما داعياً إليهما محتكماً إليهما راضياً بهما وبما فيهما، فلو قُدِّر أن ظهر الدجال في هذا الزمان لما زاده إلا إيماناً وثباتاً، وما أكثر الدجالين في هذا الزمان ، أما الدجال الحقيقي فنسأل الله أن يعيدنا منه وألا يدركنا زمانه فهو بعيد بإذن الله ونموت وتموت بعدنا أجيال إذا شاء الله وهولم يخرج ، وذلك في علم الله عز وجل ، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان ينذر ويحذر الصحابة رضي الله عنهم من الدجال وكأنه في طرف المدينة وقد مرّ على ذلك أكثر من ألف وأربعمائة سنة ولم تُستكمل العلامات الوسطى ، والدجال من العلامات الكبرى الأخيرة التي تسبق نزول عيسى عليه السلام. ولكن لا بد من التذكير به وبشيء من علاماته وأوصافه وقد أخبر عليه الصلاة والسلام بأن من علامات خروج الدجال ذهول الناس عن ذكره وعدم تفكيرهم فيه وكذلك لا يتكلم عنه خطباء المساجد ، وهذا ما نشاهده اليوم واقعاً في مجتمعات المسلمين كما أخبر بذلك الصادق المصدوق محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال: ((لا يخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذكره وحتى تترك الأئمة ذكره على المنابر)). مجمع الزوائد .

فالدجال: رجل من بني آدم له صفات كثيرة جاءت بها الأحاديث لتعريف الناس به وتحذيرهم من شره حتى إذا خرج عرفه المؤمنون فلا يُفتنون به ، بل

يكونون على علم بصفاته التي أخبر بها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وتلك الصفات تميزه عن غيره من الناس فلا يغتر به إلا الجاهل الذي سبقت عليه الشقوة ، نسأل الله عز وجل العفو والعافية والوقاية من شره وفتنته . فمن صفاته أنه رجل شاب أحمر ، قصير ، أفحج ، جعد الرأس ، أجلى الجبهة ، عريض النحر ، ممسوح العين اليمنى ، وليست بارزة ولا غائرة ، كأنها عنبة طافية ، وعينه اليسرى عليها ظفرة غليظة ، أي لحمة نابثة فوق مقدمة العين عند المآقي ، مكتوب بين عينيه كافر يقرؤها كل مسلم كاتب أو غير كاتب ، ومن صفاته أنه عقيم لا يولد له . وهذه الصفات وردت في عدة أحاديث منها ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((بينا أنا نائم أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر ينطف . أو يهراق . رأسه ماء ، قلت: من هذا ؟ قالوا: ابن مريم ، ثم ذهبت ألتفت فإذا رجل جسيم أحمر جعد الرأس أعور العين كأن عينه عنبة طافية ، قالوا: هذا الدجال ، أقرب الناس به شبيهاً ابن قطن رجل من خزاعة)). البخاري ومسلم . وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن مسيح الدجال رجل قصير أفحج ، جعد ، أعور ، مطموس العين ليست بناتئة ولا جحراء ، فإن ألبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور)). أبو داود . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((وأما مسيح الضلالة فإنه أعور العين أجلى الجبهة عريض النحر فيه دفأ)) أي إنحاء . رواه أحمد . ومن حديث أنس وحذيفة رضي الله عنهما: ((وإن بين عينيه مكتوب كافر ، يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب)). البخاري ومسلم .

وأما عن مكان خروج الدجال فمن جهة المشرق من خراسان من يهودية أصبهان ، ويخرج معه ويتبعه سبعون ألفاً من يهود أصبهان كما ورد في

الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان)) .الترمذي. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يخرج الدجال من يهودية أصبهان معه سبعون ألفاً من اليهود)). أحمد.

وأما أتباعه فهم اليهود والعجم والترك وأخلاق من الناس غالبهم من الأعراب والنساء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيلسة)). مسلم. وفي رواية للإمام أحمد: ((سبعون ألفاً عليهم التيجان))، وورد في حديث أبي أمامة الطويل قوله صلى الله عليه وسلم: ((وأن من فتنته - أي الدجال - أن يقول للأعرابي: رأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك فيقول: نعم، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان: يا بني اتبعه فإنه ربك)) .ابن ماجة. وأما أتباعه من النساء فيكن أكثر من الأعراب وغيرهم لسرعة تأثرهن وغلبة الجهل عليهن ونقصان عقولهن ودينهن ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ينزل الدجال في هذه السبخة بمرقنة. وادٍ بالمدينة. فيكون أكثر من يخرج إليه النساء حتى إن الرجل يرجع إلى حميمه وإلى أمه وابنته وأخته وعمته فيوثقها رباطاً مخافة أن تخرج إليه)). أحمد. والدجال لا يدخل مكة ولا المدينة كما جاء في الحديث الصحيح أن الدجال قال: ((فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان عليّ كلتاها كلما أردت أن أدخل واحدة. أو وحداً. منهما استقبلني ملكٌ بيده السيف صلّتا يصدّني عنها وأن على كل ثقب ملائكة يحرسونها)). مسلم. ففتنة الدجال فتنة عظيمة نسأل الله أن يعيدنا منها وأن لا يدركنا زمانه ، فالتعوذ منه أمر مطلوب في آخر الصلاة بعد التشهد كما ورد في الأحاديث

الصحيحة ، ويستطيع من يدركه زمانه أن يحفظ عشر آيات من سورة الكهف ويقرأها عليه فتعصمه من شره وفتنته بإذن الله عز وجل. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال)). مسلم. وعند البخاري رحمه الله من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو في الصلاة: ((اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم)). الحديث ، وفي حديث النواس بن سمعان الطويل وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: ((من أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف)). مسلم. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال)). مسلم. عُصِمَ: أي من فتنته ، قال الله جل جلاله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا أَنَّا مُنْتَضِرُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] .

علامات الساعة [9] / عن الدجال

الخطبة الثانية

الحمد لله يسر لنا الأسباب المانعة من الافتتان والضلال، ووضح لنا الفتن وبين لنا الأسباب التي نتحصن بها أعظم بيان ، أحمده سبحانه وبحمده وأشكره وأثني عليه الخير كله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فإن المؤمنين لا يفتنهم الدجال ولا غيره بل يزدادون إيماناً مع إيمانهم، فالدجال رجل من بني آدم لا يرد عن نفسه ولا يجلب لها نفعاً ولا يدفع عنها ضرراً، حتى إن خلقته التي منها عَوْرُ عينه والظفرة التي على الأخرى لا يستطيع تغييرها، وكذلك عقمه، وغير ذلك من الصفات، وإنما جعل الله تلك الآيات التي معه فتنة للناس ليضل من ضل عن بينة ويزداد المؤمنون إيماناً. وأذكر الحديث التالي وفيه بعض الكلمات التي ضُبِطَتْ في كتب الحديث والشرح على حالات أذكرها كما وردت عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فحَقَّقْض فيه ورقّع. أي في صوته. حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال: ((ما شأنكم؟ قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فحَقَّقْضت فيه ورقّعت حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤٌ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط عينه طافئة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارجٌ خلةً بين الشام والعراق فعائِثٌ يميناً وعائِثٌ شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا، قلنا يا رسول الله وما بُنِئُهُ في الأرض؟ قال: أربعون يوماً، يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم، قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفيها فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدُّروا له قدره، قلنا: يا رسول الله وما إسرعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذُراً وأسبغه ضروراً وأمدّه خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون محلين ليس بأيديهم شيءٌ من أموالهم ويمرُّ بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيغاسيب النحل ثم

يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك ، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل من المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين . أي لابس ثوبين مصبوغين بورس ثم زعفران . واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ربح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوماً قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبداً لي لا يدان . أي لا قدرة ولا طاقة . لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور وبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمرّ أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمرّ آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماءً ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله عليهم النّغف في رقابهم فيصبحون فرسَى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملاء زهمهم وتنهم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطراً لا يَكُنُّ منه بيت مدبر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة، ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك وردّي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويُبارك في الرّسل حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس ، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس ، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهاجون فيها تهاج الحمير فعليهم تقوم الساعة)). رواه الإمام مسلم.

خطبة عامة حول علامات الساعة

1405/3/1هـ

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة وجعل الظلمات والنور وجعل لكل شيء نهاية أحمده سبحانه وأشكره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فإن الدنيا لم تُخلق للبقاء ولم تكن دار إقامة وإنما هي منزل من منازل الآخرة فجعلت للترود منها إلى الآخرة والتهيؤ للعرض على الله، وقد أذنت بالانصرام وولت ، وكان حقاً على كل عالم وطالب علم أن يُشيع أشراتها وعلاماتها ويُبثِّ الأحاديث والأخبار الواردة فيها بين الناس ويسردها مرة بعد الأخرى لعل العباد ينتهون عن المعاصي والذنوب وتلين منهم القلوب ويتنبهون من غفلتهم ويغتنمون المهلة التي أعطاهم الله عز وجل في هذه الحياة الدنيا. قال الله تعالى : ﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [القمر: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب: ١٧]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ [الشورى: ١٧]. وقال عز وجل: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الزخرف: ١٧]، وقال جل جلاله: ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴾ [محمد: ١٨]. لقد جعل الله عز وجل للساعة علامات تدل على قربها وانتهاء هذه الحياة الدنيا، ولا يعلم متى تقوم القيامة إلا الله وحده جل جلاله وتعالى سلطانه كما قال عز وجل: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً ﴾

يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عَلِمْتُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٧﴾ [الأعراف: ٧٧]. ولكن الله جل ثناؤه أخبر رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بعلامات تدل على قرب وقوعها، وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بهذه العلامات ولقد كان يذكّرهم بالقيامة وقربها ويحدثهم حتى عن العلامات الكبيرة ومنها الدجال حتى ظن الصحابة رضي الله عنهم أنه في طائفة النخل أي طرف المدينة المنورة. ولقد آمنوا رضي الله عنهم وصدقوا بكل ما أخبرهم عنه صلى الله عليه وسلم إيماناً وتصديقاً بالغيب، وهذا هو قمة الإيمان حيث يخبرهم عن المغيبات وهم أشد إيماناً وثباتاً وعقيدة خالصة لله رب العالمين ، ونحن اليوم نرى صدق ما أخبر به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أمام أعيننا يحدث تصديقاً لما أخبر به ولم تتحرك وتخضع منا القلوب ولم تذرف الأعين وتدمع ولم ننته عن الغيِّ والآثام فنشكوا حالنا إلى الله تعالى وإنا لله وإنا إليه راجعون وهو حسبنا ونعم الوكيل. وأقتصر هنا على ذكر بعض الأحاديث التي وقع تصديقها في هذا الزمن وليس كلها، ومن أراد الاستزادة فعليه الرجوع إلى مراجعها، وقد يستغرب بعض الناس طول بعض الأحاديث الواردة عن علامات الساعة وأماراتها وأشراتها مع أنه قد وردت أحاديث صحيحة توضح هذا الطول ، حفظ ذلك من حفظه من الصحابة وجهله من جهله، ولا غرابة في هذا الطول خاصة إذا وردت الشواهد التي تعضد ألفاظه من الأحاديث الصحيحة أو من الواقع ، ولقد أخبر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بما يكون إلى قيام الساعة وذلك مما أطلع الله عليه من الغيوب المستقبلية ، ولكنه لا يعلم متى تحدث تلك العلامات التي أخبر عنها إلا بما علمه الله إياه ، ولا يعلم أيضاً متى تقوم الساعة ليعلم الناس أنه بشر يبلغ رسالة ربه ولا يعلم الغيب ولا يملك أن يدفع عن نفسه الضر والسوء ولا أن يجلب لها

الخير إلا أن يشاء الله ذلك، قال الله جل جلاله: ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)) [الأعراف: 187، 188]. وقال عز وجل: ((يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿١٠٣﴾)) [الأحزاب: 63]. وقال تعالى: ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا ﴿١٠٤﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿١٠٥﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَىٰ ﴿١٠٦﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ تَحْشَنَّا ﴿١٠٧﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى ﴿١٠٨﴾)). [النازعات: 42، 46].

عن حذيفة رضي الله عنه قال: (لقد خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم خطبة ما ترك فيها شيئاً إلا ذكره علمه من علمه وجهله من جهله ، إن كنت لأرى الشيء قد نسيته فأعرفه كما يعرف الرجلُ الرجلَ إذا غاب عنه فراه فعرفه). رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى ، وقال أيضاً رضي الله عنه : (أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، فما منه شيء إلا قد سألته إلا أني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة). رواه مسلم رحمه الله، ولقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعات طويلة من النهار ليبين للصحابة رضي الله عنهم ما كان وما سيكون ، عن عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه قال : (صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر فنزل فصلى ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فَأَعْلَمْنَا أَحْفَظْنَا). رواه مسلم ، وورد عن حذيفة بن اليمان رضي الله

عنه قوله: ((والله إنني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة ، وما بي إلا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرَّ إليَّ في ذلك شيئاً لم يحدثه غيري ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يحدث مجلساً أنا فيه عن الفتن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعدّ الفتن: ((منهن ثلاث لا يكْدُنْ يَدْرُنْ شيئاً، ومنهن فتن كرياح الصيف، منها صغار ومنها كبار)). قال حذيفة: (فذهب أولئك الرهط كلهم غيري). رواه مسلم، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ستكون فتن يفارق الرجل فيها أباه وأخاه تطير الفتنة في قلوب رجال منهم إلى يوم القيامة حتى يُعَيَّرَ الرجل فيها بصلاته كما تُعَيَّرُ الزانية بزناها)). وقال صلى الله عليه وسلم: ((لا يخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذكره وحتى تترك الأئمة ذكره على المنابر)). صححه الهيثمي في مجمع الزوائد ، وقال صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنسَ ويكلم الرجلَ عذبةً سوطه وشراكُ نَعْلِهِ ويخبره فخذُه بما أحدث أهلُه بعده)). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا)). مسلم رحمه الله، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، القاعد فيها خير فيها من القائم، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، فكسروا قسيكم ، وقطعوا أوتاركم، واضربوا بسيفكم الحجارة ، فإن دُخِلَ على أحدكم فليكن كخير ابني آدم)). رواه أحمد وابن ماجه وأبو داوود والحاكم، وصححه الألباني في الجامع الصغير. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ستكون فتن القاعد فيها

خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، من تشرف لها تستشرفه ، فمن وجد منها ملجأً أو معاذاً فليعذ به)). رواه البخاري رحمه الله ، وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال : ((ابتليتكم بفتنة الضراء وصبرتم وستبتلون بفتنة السراء وأخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء إذا تسوّرن الذهب والفضة ولبسن رباط الشام وعصب اليمن فأنعبن الغني وكلفن الفقير ما لا يجد)). وعن علي رضي الله عنه مرفوعاً : ((يأتي على الناس زمان همتهم بطوتهم ، وشرفهم متاعهم ، وقبلتهم نساؤهم ، ودينهم دراهمهم ودنانيرهم ، أولئك شرار الخلق لا خلاق لهم عند الله)). وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على سروج كأشباه الرّجال ينزلون على أبواب المساجد ، نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف ، العنوهن فإنهن ملعونات ، لو كان وراءكم أمة من الأمم لخدمن نساؤكم نساءهم كما يخدمنكم نساء الأمم قبلكم)). رواه الإمام أحمد رحمه الله ، قال أحمد شاكر رحمه الله : إسناده صحيح ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا)) رواه الإمام مسلم رحمه الله ، وقال صلى الله عليه وسلم : ((لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع)) فقييل : يا رسول الله كفارس والروم ؟ فقال ((ومن الناس إلا أولئك ؛)). رواه البخاري . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال ، أمن حلال أم من حرام)). رواه البخاري والنسائي رحمهما الله تعالى .

وقال صلى الله عليه وسلم: ((ولتتركن القلاص فلا يُسعى عليها)). أي الجمال لا أحد يركب عليها لاستغنائهم بالسيارات والطائرات وغيرها من وسائل النقل. وورد أيضاً: ((يأتي على الناس زمان لأن يربي أحدهم جرواً . أي ولد كلب . أحب إليه من أن يربي ولدأً لصلبه)). وقال عليه الصلاة والسلام: ((يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفُقٍ كما تداعى الأكلة على قصعتها)). قال: قلنا يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذٍ؟ قال: ((أنتم يومئذٍ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويقذف في قلوبكم الوهن)). قلنا: وما الوهن؟ قال صلى الله عليه وسلم: ((حب الدنيا وكرهية الموت)). وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من اقترب الساعة إذا رأيتم الناس أضعوا الصلاة ، وأضعوا الأمانة ، واستحلوا الكبائر ، وأكلوا الربا ، وأخذوا الرشا ، وشيدوا البناء ، واتبعوا الهوى ، وباعوا الدين بالدنيا ، واتخذوا القرآن مزامير ، واتخذوا جلود السباع صِفاً ، والمساجد طرقاتاً ، والحريز لباساً ، وكثر الجور ، وفشا الزنا ، وتهاونوا بالطلاق ، وائتمن الخائن ، وخون الأمين ، وصار المطر قيضاً ، والولد غيظاً ، وأمراء فجرة ، ووزراء كذبة ، وأمناء خونة ، وعرفاء ظلمة ، وقلت العلماء ، وكثرت القراء ، وقلت الفقهاء ، وحليت المصاحف ، وزخرفت المساجد ، وطولت المنابر ، وفسدت القلوب ، واتخذت القينات ، واستحلت المعازف ، وشربت الخمر ، وعطلت الحدود ، ونقصت الشهور ، ونقضت المواثيق ، وشاركت المرأة زوجها في التجارة ، وركب النساء البراذين ، وتشبهت النساء بالرجال ، والرجال بالنساء ، ويحلف بغير الله ، ويشهد الرجل من غير أن يستشهد ، وكانت الزكاة مغرمًا ، والأمانة مغنماً ، وأطاع الرجل امرأته ، وعق أمه ، وأقصى أباه ، وصارت الإمارات مواريث ، وسب آخر هذه الأمة أولها ، وأكرم الرجل اتقاء شره ، وكثرت الشرط ، وصعدت الجهال المنابر ، ولبس الرجال التيجان ، وضيق الطرقات ، وشيد البناء ، واستغنى الرجال

بالرجال، والنساء بالنساء ، وكثرت خطباء منابركم ، وركن علماؤكم إلى ولاتكم فأحلوا لهم الحرام وحرّموا عليهم الحلال وأفتوهم بما يشتهون ، وتعلم علماؤكم العلم ليجلبوا به دنائيركم ودراهمكم، واتخذتم القرآن تجارة ، وضيعتم حق الله في أموالكم ، وصارت أموالكم عند شراركم، وقطعتم أرحامكم ، وشربتم الخمر في ناديكم ، ولعبتم بالميسر، وضربتم بالكبر والمعزفة والمزامير، ومنعتم محاييكم زكاتكم، ورأيتموها مغرمًا، وقتل البريء ليغيظ العامة بقتله ، واختلقت أهواؤكم، وصار العطاء في العبيد والسقاط، وطففت المكايل والموازين، ووليت أموركم (السفهاء)).

ومن العلامات أيضاً: ((لا تزال الأمة على شريعة حسنة ما لم تظهر فيهم ثلاث ، ما لم يقبض منهم العلم ، ويكثر فيهم ولد الخبث . وقيل . الخنث . ويظهر فيهم الصقارون)). قالوا: وما الصقارون؟ قال: ((نَشُوْ في آخر الزمان تحيتهم بينهم إذا تلاقوا التلاعن)). وهذا كثير اليوم بين السفلة حيث يبدأ أحدهم بشتيم صاحبه ولعنه ولعن والديه قبل أن يسلم عليه وقد لا يسلم عليه البتة لأنهم لا يعرفون السلام .

ومن العلامات أيضاً: ((لا تقوم الساعة حتى يبني الناس بيوتاً يوشونها وَشِيَ المراجيل)). أي يخططونها كتخطيط الثياب المعلمة، وهذا هو الحاصل الآن ويراه كل شخص من حيث التخطيط والزخرفة والتطاول في العمارات المتجاورة أو البعيدة في الحي نفسه أو في المدينة أو في القرية حتى يحصل التفاخر بين أصحابها وفي المجتمع ، وبذلك يقع ما أخبر عنه رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق والآتي ذكره وغيرهما قال صلى الله عليه وسلم: ((وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعَرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبَنِيَانِ)).

خطبة عامة عن علامات الساعة

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه أحمده سبحانه وبحمده وأشكره وأستغفره وأتوب إليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد: فإن ما أذكره من علامات وأشراط للساعة إنما هي علامات نعيشها الآن وهي ما تسمى بالعلامات الوسطى والتي تعقبها العلامات الكبرى وقد سبقتها العلامات الصغرى وأكتفي بذكر الحديث المروي عن ابن عباس وله شواهد في كثير من ألفاظه في أحاديث صحيحة ، والواقع يصدقه حيث حصل كثير مما ورد فيه وفي غيره ، والله أعلم وأحكم . قال ابن عباس رضي الله عنهما : لما حج النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع أخذ بجلقتي باب الكعبة ثم أقبل بوجهه على الناس فقال: ((يا أيها الناس: قالوا: لبيك يا رسول الله: تفديك آباؤنا وأمهاتنا ثم بكى حتى علا انتحابه ، فقال يا أيها الناس إني أخبرتكم بأشراط القيامة وإن من أشراط القيامة: إماتة الصلوات، واتباع الشهوات ، والميل مع الهوى، وتعظيم رب المال، قال فوثب سلمان فقال بأبي أنت وأمي إن هذا لكائن ، قال: أي والذي نفسي بيده ، عندها يذوب قلب المؤمن كما يذوب الملح في الماء مما يرى ولا يستطيع أن يغير . قال سلمان بأبي أنت وأمي إن هذا لكائن ، قال: أي والذي نفسي بيده ، إن المؤمن ليمشي بينهم يومئذٍ بالمخافة. قال سلمان بأبي أنت وأمي وإن هذا لكائن ، قال: أي والذي نفسي بيده عندها يكون المطر قيظاً . أي في وقت الحر والقيظ . والولد غيظاً . أي يفعل ما يغيظ أبويه . ، ويفيض اللثام فيضاً . أي يكثرون . ويفيض الكرام غيضاً . أي يقلُّون . . قال سلمان: بأبي أنت وأمي وإن هذا لكائن ، قال: أي والذي نفسي بيده للمؤمن يومئذٍ أذل من الأمة فعندها يكون المنكر معروفاً والمعروف

منكراً ويؤمن الخائن ويخون الأمين ويصدق الكذاب ويكذب الصادق، قال سلمان بأبي أنت وأمي وإن هذا لكائن، قال: أي والذي نفسي بيده، عندها يكون أمراء جورة، ووزراء فسقة، وأمناء خونة، وإمارة النساء، ومشاورة الإماء، وصعود الصبيان المنابر، قال سلمان: بأبي أنت وأمي وإن هذا لكائن قال: أي والذي نفسي بيده يا سلمان عندها يليهم أقوام إن تكلموا قتلوهم وإن سكتوا استباحوهم ويستأثرون بفيئهم وليطئون حريمهم ويجار في حكمهم ويليهم أقوام جثتهم جث الناس وقلوبهم قلوب الشياطين لا يوقرون كبيراً ولا يرحمون صغيراً، قال سلمان: بأبي أنت وأمي وإن هذا لكائن، قال: أي والذي نفسي بيده يا سلمان عندها تزخرف المساجد كما تزخرف الكنائس والبيع، وتحلى المصاحف، ويطيلون المنابر، ويكثر العقوق، قلوبهم متباغضة، وأهواؤهم جمّة، وألسنتهم لمختلفة، قال سلمان بأبي أنت وأمي وإن هذا لكائن، قال: أي والذي نفسي بيده عندها يكون الكذب ظرفاً، والزكاة مغرمأً، ويظهر الرشا، ويكثر الربا، ويتعاملون بالعينه، ويتخذون المساجد طرقاً، قال سلمان: بأبي أنت وأمي وإن هذا لكائن، قال أي والذي نفسي بيده يا سلمان عندها تتخذ جلود النمر صفوفاً، يتحلى ذكور أممي بالذهب، ويلبسون الحرير، ويتهاونون بالدماء، وتظهر الخمور والقينات والمعازف، وتشارك المرأة زوجها في التجارة، قال سلمان بأبي أنت وأمي وإن هذا لكائن، قال أي والذي نفسي بيده يا سلمان يطلع كوكب الذنب ويكثر السيجان ويتكلم الروبيضة، قال سلمان وما الروبيضة؟ قال: يتكلم في العامة من لم يكن يتكلم، ويحتقن الرجل للسمنة، ويغنى بكتاب الله عز وجل ويتخذ القرآن مزامير، ويباع الحكم ويكثر الشرط، قال سلمان بأبي أنت وأمي وإن هذا لكائن، قال: أي والذي نفسي بيده، يحج أمراء الناس لهواً وتنزهاً، وأوساط الناس للتجارة، وفقراء الناس للمسألة، وقرءاء الناس للرياء والسمعة، قال سلمان بأبي أنت وأمي وإن هذا لكائن، قال: أي والذي نفسي

بيده ، عندها يُغار على الغلام كما يُغار على الجارية البكر، ويُخطب الغلام كما تخطب المرأة ويُهياً كما تتهياً المرأة، وتتشبه النساء بالرجال ويتشبه الرجال بالنساء ، ويكتفي الرجال بالرجال، والنساء بالنساء ، وتركب ذوات الفروج السروج فعليهن من أمي لعنة الله ، قال سلمان بأبي أنت وأمي وإن هذا لكائن، قال: أي والذي نفسي بيده ، يظهر قرآء عبادتهم التلاوم بينهم أولئك يسمون في ملكوت السماء الأنجاس الأرجاس ، قال سلمان بأبي أنت وأمي وإن هذا لكائن ، قال: أي والذي نفسي بيده ، عندها يتشبه المشيخة، وإن الحمرة خضاب الإسلام والسواد خضاب الشيطان ، قال سلمان بأبي أنت وأمي وإن هذا لكائن ، قال: أي والذي نفسي بيده عندها يوضع الدين وترفع الدنيا ويشيد البناء وتعطل الحدود ويميتون سنتي وعندها يا سلمان لا يرى إلا ذمّاً ولا ينصرهم الله. قال سلمان بأبي أنت وأمي وهم يومئذ مسلمون كيف لا ينصرون؟ قال يا سلمان: إن نصره الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن أقواماً يذمّون الله تعالى ومذمتهم إياه أن يشكوه وذلك عند تقارب الأسواق ، قال: عند كسادها كل يقول ما أبيع ولا أشتري ولا أربح ولا رازق إلا الله تعالى. قال سلمان بأبي أنت وأمي وإن هذا لكائن ، قال: أي والذي نفسي بيده، عندها يجفو الرجل والديه ويدر صديقه ويتألفون بغير الله تعالى ويحلف الرجل من غير أن يستحلف ويتحالفون بالطلاق يا سلمان لا يحلف بها إلا فاسق ويفشو الموت موت الفجأة ويحدث الرجل سوطه . أي عما أحدث أهله بعده . قال سلمان بأبي أنت وأمي وإن هذا لكائن ، قال: أي والذي نفسي بيده تخرج الدابة وتطلع الشمس من مغربها ويخرج الدجال وريح حمراء ويكون خسف ومسح وقذف ويأجوج ومأجوج وهدم الكعبة وتمور الأرض)).

عن المَوْتِ

1405/8/13هـ

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة والأولى وهو الحكيم الخبير ، أحمده سبحانه وأؤمن به وأتوكل عليه وأشكره ولا أكفره وأثني عليه الخير كله وهو الحي الذي لا يموت ، والعباد كلهم يموتون ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فإن أكبر واعظ هو الموت الذي قدره الله على خلقه وكتبه على عباده ، وانفرد جل شأنه بالبقاء والدوام ، فما من مخلوق مهما امتد أجله وطال عمره إلا والموت نازل به وخاضع لسلطانه ، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. إنه لا بد من استقرار هذه الحقيقة في النفس، حقيقة أن الحياة على هذه الأرض موقوتة ومحدودة بأجل ، ثم تأتي نهايتها حتماً، ولو جعل الله الخلود لأحد من خلقه لكان ذلك لأنبيائه المطهرين ورسله المقربين، وكان أولاهم بذلك صفوة أصفياه رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، كيف لا وقد نعاه الله إلى نفسه صراحة وذكّره بدنو أجله تلميحاً وأعلم الناس ببشريته وأنه لا بد له من مفارقة الحياة الدنيا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [١٥٦] ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿١٥٧﴾ [الزمر: ١٥٦، ١٥٧] وقال جل جلاله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠٦] ، وقال عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ١-٣] ، وقال سبحانه وبحمده : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ

أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ [آل عمران: ١٤٤] . إذا فالموت حتم لا محيص عنه ولا مفر منه ، قال تعالى: ﴿أَيُّمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨] . يموت الصالحون ويموت الطالحون ، يموت المجاهدون ويموت القاعدون ، يموت الشجعان الذين يأبون الضيم ، ويموت الجبناء الحريصون على الحياة بأي ثمن ، يموت المؤمنون ، ويموت الفاسقون والمنافقون والكافرون والملحدون، يموت ذوو الاهتمامات الكبيرة والأهداف العالية ، ويموت التافهون الذين يعيشون فقط للمتاع الرخيص ، يصل الموت للجميع تحت الماء وفوق الهواء وفي السماء لا ينجو منه ملائكة ولا إنس ولا جان ولا طير ولا حيوان ولا دابة على الأرض ، الكل يموت ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ، [والأنبياء: 35] . كل نفس تذوق الجرعة وتفارق هذه الحياة الدنيا ، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿١٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿١٧﴾﴾ [الرحمن: ١٦، ١٧] ، فكم شهدت الدنيا كثيراً وكثيراً ممن عمروها من الأمم السابقة أكثر مما عمرناها نحن ، الذين كانوا فيها أعزة أقوياء أغنياء منعمين يأملون بما يشاؤون من إصلاح وأمر ونهي فتعجلتهم أحداثها قبل ذلك ، أو طوتهم المنون فحيل بينهم وبين ما يشتهون لا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ، وأصبحوا مرتحنين لأعمالهم ينتظرون وضع الموازين من لدن أحكم الحاكمين وأعدل العادلين الذي لا يظلم مثقال ذرة: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾ [النساء: ١٠٦] والذي يقول وقوله الحق: ﴿وَنُضِعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧] . كم شهدنا نحن وفقدنا من أقران كانوا بالأمس معنا وآخرين يكبروننا سنناً لقد كانوا زينة المجالس وبهجة القلوب وأنس

ولما يلخّد بَعْدَ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير ويده عود ينكت به الأرض فرفع رأسه فقال: ((تعوذوا بالله من عذاب القبر)). - مرتين أو ثلاثاً - ثم قال: ((إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مدّ البصر ويجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال: فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من فيّ السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منه كأطيب نفحة مسكٍ وجدت على وجه الأرض ، قال : فيصعدون بها فلا يمرّون على مألٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كان يسمّى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقرّبوها إلى السماء التي تليها حتى يُنتهى بها إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل: ((اكتبوا كتاب عبي في عليين وأعيدوها إلى الأرض في جسده))، فيأتيه ملكان فيجلسانه: فيقولان: من ربك؟ فيقول: ربي الله ، فيقولان: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام ، فيقولان : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول: رسول الله ، فيقولان: ما يدريك ؟ فيقول: قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقته ، فينادي منادٍ من السماء: أن قد صدق عبي فأفرشوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مدّ بصره ، قال : ويأتيه رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول: أبشر بالذي يسرّك : هذا يومك الذي كنت توعده ، فيقول له: من أنت ؟ فوجهك الوجه الحسن يجيء بالخير ؟ فيقول: أنا عمك الصالح ، فيقول: ربّ أقم الساعة ربّ أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي)) وذلك

لفرحه ولما يرى من النعيم فهو يتمنى قيام الساعة . ((وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مدّ البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الحبيثة أخرجي إلى سخط من الله وغضب، فتفرّق في جسده فينتزعها كما ينتزع السّفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنّ ربح جيفة وجدت على ظهر الأرض فيصعدون بها، فلا يمرون بها على مألٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الريح الحبيثة؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمّى بها في الدنيا حتى يُنتهى بها إلى السماء الدنيا فيستفتح فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٤]. فيقول الله عز وجل: ((اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى)) ثم تطرح روحه طرْحاً، ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ١٧]. فعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول هاه هاه، لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي منادٍ من السماء أن كذب عبدي فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرّها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول: من أنت فوجهك الوجه القبيح يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عمّلك الحبيث، فيقول: ربّ لا تقم الساعة)). وذلك لأنّ عذاب القبر أهون عليه ولأنّه يعرف نزله في الآخرة وأنها النار وبئس القرار فهو لا يرغب في قيام الساعة.

ولننظر إلى العبد الكافر والمنافق والذي ليس مثبتاً ولا موفقاً للخير هل تنفعه بلاغته في الدنيا؟ هل تنفعه شهاداته ولو كان معه جميع الشهادات العلمية في الدنيا؟ وهل يستطيع الإجابة على هذه الأسئلة، أين شهاداته؟ أين بلاغته؟ أين فصاحته؟ أين جاهه؟ أين سلطانه؟ أين ماله؟ إنه لا يستطيع الإجابة على هذه الأسئلة ولو كان أعلم أهل الأرض، أما المؤمن وإن كان من أجهل الناس ولا يحمل شهادة ولا يقرأ ولا يكتب فإن الله يثبت ويلهمه الجواب، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: ((إن العبد إذا وُضع في قبره وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم، قال: فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ قال فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله، قال: فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة))، قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: ((فيراها جميعاً)). قال قتادة: وذكر أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعاً ويملاً عليه خضراً إلى يوم يبعثون، ثم رجع إلى حديث أنس قال: ((وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين)) أي الجن والإنس. وفي حديث آخر: ((فيقال للأرض التثمي عليه فتنتم عليه فتختلف فيها أضلاعه فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك)). وإن للقبر ضغطة وضمة لا ينجو منها أحد. عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن للقبر ضغطة لو كان أحد ناجياً منها لنجا سعد بن معاذ)). فعلىنا أن نتقي الله تعالى ونتذكر الموت ونتذكر يوم النقلة والرجوع

إلى الله وماذا سَنَقْدُمُ عليه به، يوم أن تُودَعَ الثرى ويتخلى عنا الأهل والأصدقاء، ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل: ٢٥]، ﴿يَوْمَ يَدْعُ كُلُّ إِنْسَانٍ لِأَنفُسِهِ﴾ [الزمر: ١٥]، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]، ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، نذكر ذلك دائماً ونأخذ من قوتنا وعزنا لضعفنا وذلتنا، ونأخذ من سعتنا وغنانا لضيقتنا وفقرتنا، نأخذ من عافيتنا وحياتنا لبلاتنا وموتنا، نستعد ليوم تعنو فيه الوجوه للحي القيوم ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١٣١]، علينا أن نتذكر أننا سائرون إلى الله، في كل يوم تغيب فيه الشمس نحن نسير خطوة، نحن نسير إلى الله، ولن يعود هذا اليوم بعمله إلا يوم القيامة يوم ينظر المرء ما قدمت يداه حيث يجد كل ما عمله محضراً، قال الله جل جلاله وتعالى سلطانه: ((يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ)) [آل عمران: 30]. فأين الفرار من الله إلا إليه؟! أين الفرار من الله إلا إليه؟! أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ١١]، أن تقول نَفْسُ يَحْسَرْتَنِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي حَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّالِحِينَ [الأنعام: ١١]، أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ [الأنعام: ١١]، أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ [الأنعام: ١١]، بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ [الأنعام: ١١]، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ [الأنعام: ١١]، وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [الزمر: ٣٥].

عن الموت

الخطبة الثانية

الحمد لله الأول الذي ليس قبله شيء ، والآخر الذي ليس بعده شيء ، والظاهر الذي ليس فوقه شيء ، والباطن الذي ليس دونه شيء ، أحمدته سبحانه خلق الموت والحياة ليلبو عباده أيهم أحسن عملاً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد: فإن الله جلت قدرته لم يوجدنا في هذه الدنيا للدوام والبقاء فيها ولكن للحياة الأبدية في الآخرة التي أول مراحلها الحياة البرزخية ، فما من نفس خلقها الله تبارك وتعالى إلا وهي ذائقة الموت مهما طال عمرها أو عظم شأنها أو كثر مالها وولدها ، وإنه ليجدر بالعاقل الذي علم أنه أُوجِد في هذا الكون وحُلق لحكمة وأنه سيموت بعد هذا الإيجاد ولا يدري في أي أرض أو في أي ساعة يموت ، وأنه لن ينفعه ويصحبه إذا انتقل من هذا العالم الدنيوي إلى ذلكم العالم الآخروي بعد الحياة البرزخية إلا ما قدمه في حياته من برٍّ وخيرٍ وهدى ، يجب عليه أن ينظر دائماً نظر المستزيد إلى ما قدمه لغده ، إلى ما ينفعه عند الله مادام حياً سوياً صحيحاً شحيحاً يخشى الفقر ويأمل الغنى امتثالاً لأمر الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ [الحشر: ٣٥] . ﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ [النبا: ٢٣] ﴿ وَتَكَزُّوهُمُ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ [البقرة: ١٧٧] وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إذا مات ابن آدم تبعه ثلاثة : ماله وأهله وعمله فيرجع اثنان: المال والأهل ويبقى واحد وهو العمل)) ، ((إذا مات ابن آدم قالت الملائكة : ما قدم ، وقال الناس : ما أخر)) . وقوله : ((مَنْ مَالُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِ وَارثِهِ)) قالوا كلنا ماله أحب إليه من مال وارثه ، قال : ((مال أحدكم ما قدم وارثه))

،ومال وارثه ما آخر)). نعم إن مال الإنسان هو الذي يقدمه لنفسه في أعمال الخير والصلاح ويكون له في آخرته حسنات ، وليتذكر المؤمن هذه الأحاديث الشريفة عن المصطفى صلى الله عليه وسلم وأنه إذا مات فإن المال لا يسير معه خطوة واحدة ، فأين المراكب والسيارات الفخمة ؟ وأين القصور الشاخخة والردهات الفسيحة والبساتين الخضراء والمدائن الغناء ؟ أين الأموال العريضة ؟ والخدم والحشم ؟ أين المراتب والمناصب ؟ لقد ترك كل ذلك وراء ظهره لأهله وورثته ، وليس له إلا ما قدم ، ثم أين الأهل ؟ إن أغلى ما يملكون أن يصحبوه ويشيعوه إلى قبره ولا يستطيع أحد أن يجلس معه ساعة داخل قبره ، إذاً أين الأولاد؟ أين الزوجات ؟ أين الوجوه الناضرة ؟ أين الأجسام الناعمة والمترفة ؟ إنهم يتخلّون عنك يا ابن آدم ولا يبقى معك إلا عملك الذي قدمت لآخرتك ويكون أنيسك في قبرك وتكون وحيداً فريداً كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٦٤] ، ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿١٦٥﴾ وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿١٦٦﴾ [الكهف: ١٦٤-١٦٦]. فتذكر يا ابن آدم الموت وأنت ستغادر هذه الحياة مهما طال عمرك ومهما بلغت من المناصب فلن يطول بك البقاء في هذه الحياة الدنيا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين ، وقليل منهم من يتجاوز ذلك)). نعم لو طاف طائف بعد مائة سنة ممن يعيش اليوم على ظهر الأرض لما وجد بها أحداً ممن هم أحياء الآن إلا ما ندر ، سوف يتساقطون ويأتيهم الموت، سوف يتساقط الملوك ، والرؤساء ، والعظماء ،

والوزراء ، والأمراء ، والعرفاء ، والعلماء ، والجهلاء ، والأغنياء ، والفقراء ، والأطباء ، والمعلمون ، والموظفون ، والمديرون ، والمتبخترون ، والمتكبرون ، والظالمون ، والمؤمنون ، والعمال ، والقادة ، والضباط، والجنود ، والصعاليك، والصغار، والكبار ، والذكور ، والإناث، كل هؤلاء يتساقطون ويموتون ولا يخرج أحدهم من هذه الدنيا إلا بلفائف من القماش ثم يُوارى في التراب ومعه عمله الذي يكون معه في قبره ، ويكون في قبره في الحياة البرزخية إما منعماً وإما معذباً حتى تقوم الساعة ، أين فلان؟ أين بنو فلان ؟ أين القبيلة الفلانية ؟ كلهم قد ذهبوا، كلهم قد ماتوا ، كلهم قد غادروا ، ونحن من أولئك المغادرين ، قال تعالى: ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ [مریم: ٦٤]. فيا أيها المؤمنون: اغتنموا المهلة التي أعطاكم الله في هذه الحياة الدنيا قبل مفاجأة الأجل ، إن المهلة كافية لكي يرجع كل منا إلى الله وينيب إليه ويتوب ويرجع عما أساء، ويقدم لنفسه خيراً ، لنغتنم المهلة قبل فواتها وقبل أن تأتي ساعات الندم والحسرة ولات ساعة مندم ، وتذكروا دائماً أن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً ، توبوا إلى الله وارجعوا إليه سبحانه، فالله يقبل توبة التائبين ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له. وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله.

بعض أحكام الجنائز

الخطبة الأولى 1412/10/22 هـ ، 1421/10/17 هـ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد : فقد سبق الحديث في الجمعة الماضية عن الموت وعظاته ، ونظراً لانشغال كثير من المسلمين اليوم بديناهم عن آخرتهم ولقلة الاعتبار والاتعاظ وكذلك التذكير بهذا وبما يتعلق بالحياة البرزخية وقبل الموت وبعده لذلك ولغيره فإن الواجب هو التذكير به وبما يتعلق به من أحكام بين حين وآخر . والمسلمون اليوم في جميع البقاع يعيشون بين تفريط وإفراط ، وقليل منهم من يوافق السنة ، وواقع بلادهم كذلك ، فتجدهم يهتمون بأمور الدنيا مثل جميع أهل الملل وهذا لا غبار عليه مادام في حدود الشرع ، لكن اهتمامهم وترتيباتهم ومخططاتهم واقتصادياتهم وُضعت للدنيا واهتموا بها اهتماماً زائداً ووفروا كل الوسائل والسبل الممكنة التي تكفل لهم العيش والحياة الكريمة على وجه الأرض ، ولكن هل رأينا اهتماماً من أحد كائناً من كان ممن له مكانته في التخطيط والتنفيذ بإيجاد المقابر خاصة في المدن؟ لا وألف لا، والواقع شاهد لا يحتاج إلى برهان وإثبات، والمسلمون في ذلك سواء عالمهم وجاهلهم وأميرهم وأمورهم وغنيهم وفقيرهم غافلون عن هذا الأمر ، وقل من يتذكر أو يعتبر ومن الممكن أن لا يتجاوز اعتباره لحظات بعد الانتهاء من دفن الميت ، ويرجع ذلك إلى أسباب متعددة تجعل الناس في غفلة إلى جانب اهتمامهم وانشغالهم بالمنصب على الدنيا ومنها : عدم زيارتهم للقبور التي تذكرهم بالآخرة وذلك لعدم توفرها في الأحياء وخاصة في المدن ، فتجد المدينة الكبيرة التي حظيت باكتمال جميع الخدمات والمرافق لا يوجد فيها إلا مقبرة واحدة أو مقبرة على بعد عشرات الكيلومترات عن المدينة حيث نُفيت بعيداً عن الأنظار وكأن الأموات من المسلمين يشبهون القمام والنفايات ، أو أن ذلك لا يتفق مع المدنية المتخلفة حقيقة لأن التقدم الحقيقي في تطبيق تعاليم الإسلام ، كل ذلك وغيره كان سبباً رئيسياً

في عدم تذُّر المسلمين للموت وعدم مطالبتهم بإيجاد منازل لهم في حياتهم البرزخية ومساكن طوُّها متران في نصف المتر ، يشترتون الأراضي الطويلة العريضة ويطلبون المنح وبينون المساكن ولم يطلب أحدٌ منزلاً له تحت الأرض ، بل قد يدفن مع غيره وجُثَّةٌ مَنْ قَبْلَهُ لم يَمُضْ عليها إلا أشهرٌ قليلةٌ مع أن المشروع هو وجود قبر لكل مسلم ، وقد تكون الرائحة صادرة من القبور عند فتحها وإدخال آخرين إليها ، أين المحسنون والأغنياء الذين يسارعون لبناء المساجد والأربطة وفعل الخيرات عن هذه المشاريع القليلة في كُلفتها وهي عزيمة الأجر بإذن الله ؟ ألا وهي شراء الأراضي المناسبة وتسويرها وتزويدها بما يلزم حسب المشروع في اللحد والشق المناسب لطبيعة الأرض ، وما يتم إنفاقه على مسجد واحد يكفي لعشرات المقابر ، بل المئات منها . وهذه دعوة من الأعماق أرجو أن تلقى النفوس المستجيبة المُسارعة للخيرات حتى يكونوا قدوة لغيرهم في الخير ، والغريب في الأمر في مجتمعات المسلمين تجد المخططات الواسعة التي اهتم واضعوها ومخططوها بإيجاد جميع المرافق من مدارس ومراكز صحية وإدارات حكومية وماء وكهرباء وهاتف ومساجد وحدائق وملاعب ولكن لا توجد مقبرة واحدة في أي مخطط حديث كأنهم لن يموتوا !! أو أنه من العار الذي ينجلون منه هو وجود مقبرة في وسط الأحياء أو لأسباب أخرى لا يتناسب المقام مع ذكرها . ومع نُذرة وقلَّة المقابر في المدن في مجتمعات المسلمين وكذلك القرى منذ مئات السنين لا توجد إلا مقبرة واحدة ، ومع ذلك نجد المسلمين بين إفراط وتفريط ، بين عبادة لمن فيها وبين إهمال وامتهان ، وقلٌّ من يقف عند الشرع . فبينما نجد عبادة القبور ومن فيها بالطواف بها أو دعاء الأموات والتقرب إليهم وإيقاد السرج والبناء عليها وتجميلها وزخرفتها وتخصيصها ونحو

ذلك من الأمور الشركية والبدعية إذا بنا نجد في الطرف الآخر من يمتنها فنجدها غير مسورة حيث يمرُّ عليها الناس ويتخذونها طوقاً لهم ولدوا بهم وسياراتهم أو قد أدخلها بعضهم في ممتلكاته وبنى عليها بيتاً أو ضمها لأرضه وأخرج من فيها من الموتى ، وسمنا أخيراً من ينادي عبر الصحف بإخراج المقابر القديمة التي في وسط الأحياء في بعض المدن واستغلال أراضيها لأنه لا يتناسب وضعها مع المدينة الزائفة على حد زعم ذلك المنادي السفية ضعيف العقل عديم البصيرة .

فالواجب على المسلمين الوقوف عند حدود الله وتطبيق شرعه في جميع الأحوال بالنسبة للأحياء والأموات ، وكلنا ميتون ، وإذا لم نطالب بحقوق الأموات في حدود الشرع فمصيرنا هو مصيرهم وطريقنا طريقهم، وإن احترمناهم وقمنا بحقوقهم المشروعة في الإسلام قام من بعدنا بما قمنا به وإن أهملنا وضيعنا وتكاسلنا فالجزاء من جنس العمل .

ويشعر للمسلم زيارة القبور للاتعاظ بها وتذكُّر الآخرة بشرط أن لا يقول عندها ما يغضب الله تعالى كدعاء الأموات والاستغاثة بهم وما أشبه ذلك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة ولتزدكم زيارتها خيراً فمن أراد أن يزور فليزر ولا تقولوا هجراً)) .

ويدعو المسلم للأموات ويسلم عليهم حسب المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة والتي منها في السلام : ((السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإننا إن شاء الله بكم لاحقون أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع أسأل الله لنا ولكم العافية)) . أو ((السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ، وإننا إن شاء

الله بكم لاحقون)). ويدعو لهم بالمغفرة والرحمة وينبغي ألا يمشي بين القبور بنعليه بل يفسخهما احتراماً للأموات من المسلمين حيث حرمة الميت المسلم كحرمته وهو حي خاصة إذا كان لا يوجد بينها أشواك أو ما يؤذي عند المشي ، كما أنه يحرم الجلوس على القبر، وعن المشي بالنعلين ورد حديث بشير ابن الحنظلية قال : بينما أنا أماشي رسول الله صلى الله عليه وسلم ... أتى على قبور المسلمين ... فبينما هو يمشي إذ حانت منه نظرة فإذا هو برجل يمشي بين القبور عليه نعلان فقال : ((يا صاحب السبتين ويحك ألق سبتيك ، فنظر فلما عرف الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم خلع نعليه فرمى بهما)). جزء من الحديث. وروى الإمام مسلم رحمه الله من حديث جابر رضي الله عنه في النهي عن البناء على القبور وتخصيصها والقيود عليها قوله : ((نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُجَصِّصَ القبر وأن يُقعد عليه وأن يُبنى عليه)). وفي زيادة عند الترمذي والنسائي : ((وأن يُكتب عليه)). ومن الأشياء المأمور بها في الإسلام للمسلمين بعضهم على بعض اتباع الجنائز ، وهي من الحقوق الواجبة كما ورد ذلك في الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : ((حق المسلم على المسلم)) وفي رواية ((يجب للمسلم على أخيه خمس : رد السلام ، وعبادة المريض ، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس)). ويحصل المسلم على أجر عظيم باتباعه الجنائز وحضورها والصلاة عليها والانتظار حتى الدفن ، فله باتباعها والصلاة عليها قيراط ، وإذا شهدها حتى الدفن فله قيراطان من الأجر ، وحدد ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بأنهما مثل الجبلين العظيمين ، وفي الرواية الأخرى: مثل جبل أحد. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من شهد الجنائز من بيتها . وفي رواية . من اتبع جنازة

مسلم إيماناً واحتساباً حتى يصلّي عليه فله قيراط ، ومن شهدها حتى تدفن)) وفي رواية: ((حتى يفرغ منها فله قيراطان من الأجر)) قيل يا رسول الله : وما القيراطان ؟ قال : ((مثل الجبلين العظيمين)) وفي رواية: ((كل قيراط مثل جبل أحد)). لقد زهد كثير من المسلمين اليوم في هذا الأجر ، بل إن بعضهم في وسط المدن وأرقى الأحياء ينقص عمله كل يوم قيراطان وذلك بتربته الكلاب وسط الفلل لأذية الجيران ولأمر أخرى قد تكون من قبل النساء ناقصات العقل والدين، فبدلاً من أن يكسب الأجر العظيم إذا به يخسره وهو يعلم ، وهذه من المنكرات التي عمّ شرّها مجتمع المسلمين.

وينبغي أن يكثّر الذين يصلون على الميت فكلما كثروا كان أفضل وأنفع بإذن الله ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة يشفعون له إلا شفّعوا فيه)) وفي رواية ((إلا غفر له)) . وقد يغفر له وإن كان العدد أقل من ذلك إذا كانوا مسلمين موحدين حقاً لم يخالط توحيدهم شيء من الشرك لقوله صلى الله عليه وسلم : ((ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله إلا شفّعهم الله فيه)) .

بعض أحكام الجنائز

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه أحمده تبارك وتعالى وأشكره وأثني عليه الخير كله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد و آله وصحبه .

أما بعد : فمن الأمور المشروعة والحقوق المأمور بها للمسلمين بعضهم على بعض التعزية كما ورد في ذلك عدة أحاديث عندما عدّد رسول الله صلى الله عليه وسلم حق المسلم على المسلم والجار على جاره وعندما رغب في ذلك في أحاديث أُخر ، ومنها : قوله صلى الله عليه وسلم : ((وإن مرض عدته ، وإن مات تبعت جنازته ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن أصابته مصيبة عزبته ..)). وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من عزي أخاه المؤمن في مصيبته كساه الله حلة خضراء يجبر بها يوم القيامة ، قيل يا رسول الله : ما يجبر؟ قال: يغبط)). ولكن أي عزاء وأي تعزية مشروعة؟ هل هي ما الناس عليه اليوم في كثير من بقاع العالم؟ أم أنها اندثرت؟ أم بقي من المسلمين من يعمل بها؟. إننا نقول إن الخير لا يزال في هذه الأمة والله الحمد والمنة إلى يوم القيامة، ولكن الوقوف عند حدود الله والعمل بشرعه خاصة في التعزية يكاد يكون مفقوداً فيما نعلم إلا في مناطق من بلادنا ومنها القصيم وغيرها ، وقد سمعتم أو قرأتم عن الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله رحمة واسعة ماذا أوصى به أهله في التعزية ، وما هي فتواه في ذلك ، وماذا عمل عند وفاة والده من حيث الاجتماع للتعزية في بيت المتوفى والجلوس لذلك، لقد طبق السنة في ذلك في حياته ومماته حيث أوصى أهله لتطبيق السنة في التعزية. أما عامة المسلمين فقد تجاوزوا الحدود وأتوا بأمور كثيرة مخالفة للشرع حتى ملّوا وسمعوا هم منها بعد أن سنّوها ويريدون التخلص منها ولكنها العصبيات والقبلية البغيضة التي تعمي عن اتباع الحق وذلك باتباعهم الهوى وما تشتهيهِ الأنفس ، فالعزاء أصبح مثل الأفراح وقد يزيد مما يُذبح فيه من الأغنام وسواها ، وإذا كان الزواج وجبة واحدة فإن العزاء ثلاثة أيام يذبح فيها عشرون وثلاثون رأساً من الغنم أو

أقل أو أكثر ويتباهى فيها الناس ويتفاخرون ، وأكثرهم لا يعملها لله من أجل اتباع السنة في وضع الطعام لأهل الميت وإنما هي للحاضرين ، وصار الأمر قرصة واجبة التسديد ولا بد أن يرد ذلك إن عاجلاً أو آجلاً في موت أو سواه وقد يتخلف بعضهم ممن ليس لديه ما يردّه في حينه ، وظنوا أو اعتقدوا بأن ذلك من الإسلام ومن شريعته ، وحاشا لله ما هذا المشروع في دين الله ، لا اجتماع الناس في مكان معين لمدة ثلاثة أيام ، ولا إعداد الطعام لهم ، ولا غير ذلك من المنكرات التي تحصل في التعزية في مجتمعات المسلمين ، إنما السنة أن يعمل الجار لجاره أو قرابته طعاماً متواضعاً لأهل الميت يكفيهم لا كلفة فيه ولا تفاخر وإنما يحتسب أجره عند الله لانشغال أهل المتوفى بما نزل بهم عن صنع الطعام ، وهذا المأمور به في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال : ((اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد أتاهم أمر يشغلهم أو أتاهم ما يشغلهم)) . فالحديث واضح الدلالة والله الحمد لمن أراد أن يتبع ولا يبتدع بأن يصنع لأهل الميت طعاماً نظراً لانشغالهم بما نزل بهم ، دون الاجتماع معهم للأكل ثلاثة أيام أو أقل أو أكثر لأن ذلك داخل في النياحة المنهي عنها ، فتقديم الطعام على الصفة المشروعة هي السنة ، وليست السنة هي الاجتماع رجالاً ونساءً لمدة ثلاثة أيام عند أهل الميت ويأتون من مسافات بعيدة تصل إلى أكثر من ألف كيلو متر للعزاء والمكوث عندهم ، لدرجة أن أهل الميت لا يستطيعون الخروج أو التنفس أو النوم والراحة من اجتماع الناس داخل البيوت وخارجها في الشوارع والساحات والطرق ، وكذلك ترك الناس لأعمالهم ووظائفهم ثلاثة أيام ويعطلون مصالح عباد الله سواءً كان المتغيب عن عمله معلماً أو مهندساً أو طبيباً أو جندياً أو موظفاً أيّاً كان ، وكثير من أولئك المتغيبين عن أعمالهم

ليس لهم قرابة من الميت وإنما هو من الجماعة أو القبيلة أو العشيرة، وكثير من الرجال الذين يقطعون مئات الكيلومترات للعزاء ويمكثون تلك الأيام تجدهم لا يحافظون على صلاة الجماعة ، وقليل ما تراهم في المساجد ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً بعملهم ذلك مع أنهم تركوا أعمالهم الواجبة عليهم ، وقد سهلت لهم طرق العزاء بالاتصال هاتفياً أو برقياً أو رسالة عادية ، وكان الواجب عليهم أن يفكروا ما هو الأجر الذي سوف يحصلون عليه وما هو الإثم الذي قد يرتكبونه ؟ وهل قاموا بالواجب عليهم نحو أداء الصلاة جماعة في بيوت الله أم لم يؤدوها ؟ وهل حرصوا على الأجر فيها وفي غيرها أم لا ؟ وقد تمَّ تجاوز الحد ومجاورته وطفح الكيل وفاض حتى النساء أصبحن يسافرن من مدينة إلى مدينة للعزاء وليس في قريب وإنما معرفة أو من الجماعة والقبيلة، ومن لم يسر على هذا النهج فهو مخالف لهم ، وأصبحت السنة بدعة، وهذه أمور منكرة يجب الإقلاع عنها والوقوف عند المشروع في دين الله ، وكذلك اجتماع الناس في بيت المُتَوَفَّى والصمت والسكوت حتى من إلقاء السلام عند الدخول إلا عند القيام يقوم المعزون بالتربيت والضرب الخفيف على أكتاف المستقبليين ، وهم في الحقيقة المودِّعون دون المصافحة وإلقاء السلام وقول التعزية المشروعة ولبس الملابس المعينة من سواد للنساء أو بياض للرجال أو غيرها، كل ذلك مما لم يَرِدْ في شرع الله بل هو مخالف للسنة ومُبتَدَع في دين الله وهو من النياحة المنهي عنها . والسنة كما هو في الديار النجدية من انصراف الناس لأعمالهم بعد الدفن وعدم الاجتماع عند أهل الميت بل قد يكون من أهل الميت من لديه عمل ويذهب لعمله في وظيفته أو متجره أو مصنعه أو مزرعته ويلقاه من يريد عزاءه في أي مكان سواء أثناء تشييع الجنازة أو بعدها أو في الطريق أو

في العمل ويذهب إلى منزله دون اجتماع كما هو الحال في كثير من المجتمعات ، ويصنع الجار لجيرانه طعاماً من دون الاجتماع معهم وهذا هو عين الصواب ، وتلك هي السنة، فهل يترك المسلمون السنن السيئة التي سنوها لأنفسهم ؟ وهلا امتثلنا أمر ربنا واتبعنا هدي نبينا وتركنا ما يخالف شرعنا وإن كان ثقیلاً على نفوسنا ؟ وهلا تمسكنا بالسنة النبوية التي فيها السعادة لنا في ديننا ودياننا وآخرتنا ؟ وإنا لندرجوا أن نكون على أحسن حال وأفضله ، ونسأل الله التوفيق والعون والسداد لما فيه الخير العاجل والآجل ، وصلى الله وسلم وبارك على رسولنا محمد وآله.

عذاب القبر ونعيمه / 1

1420/5/9هـ

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً .

أما بعد : فإن أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

أيها المسلمون : لقد كان الحديث عن الموت قبل ثلاثة أشهر وعشرة أيام تقريباً من الآن بعد وفاة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته ونسأل الله أن يرحمنا جميعاً ويسكننا الجنة ويغفر لنا ولجميع المؤمنين والمؤمنات من المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات إنه على كل شيء قدير .

إن الموت أكبر واعظٍ للإنسان إذا تأمل وانتبه وتذكر وتدبر ووعى خاصة إذا حضر سكرات الموت لشخص أو لأشخاص ، وعندما تكون الحوادث وموت الفجأة والمصارع المتعددة سواء السيئ منها أو الحسن ، عندها يفيق الإنسان من رقدته ويصحو من غفلته، وعندما يزور القبور ويكرر الزيارات ويتذكر حال أهلها وما هم فيه وماذا كانوا عليه في الدنيا ؟ عندها يستيقظ ضميره وينتبه لنفسه ويعدّ العدة لذلك ولما بعده . عندما يعمل المسلم بتطبيق السنة في زيارة القبور التي تذكر زيارتها الآخرة فيرى ذلك المنظر الذي يرق له القلب ومنه تدمع العين ويزهد في الدنيا ويرغب في الآخرة ، تذكره الموت هادم اللذات ومفرق الجماعات الذي سوف يمر عليه كما مر على غيره وتوقظه الزيارة مما هو فيه أو عليه ، عندما يقف المسلم عند القبور وتلك المنازل التي سوف يرتحل إليها بعد لحظات أو سويعات أو سنوات الله أعلم بما لكنه لا يشك في أن ذلك آتٍ لا محالة مهما طالت الأيام والليالي ، فالقبر أول منازل الآخرة لا بد من المرور عليه في حياة برزخية إلى أن تأتي الحياة الأبدية ، قال تعالى : ﴿ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون:٤٤] ، وبالمناسبة فهناك عبارة ترد على ألسنة كثير من المسلمين وخاصة عبر الصحف وهي قول أحدهم : **مثواه الأخير** ، ومع أنهم إن شاء الله لا يعتقدون مدلولها ومعناها الذي تطلق عليه ، ولكن لا ينبغي أن ترد على لسان مسلم إلا إذا وردت كلمة " مثواه " بمعنى منزل للميت دون أن تُتبع بكلمة " الأخير " لأنه إذا ارتبطت الكلمتان ببعضهما أصبح لهما معنى ومدلولاً آخر ، فالقبور إنما هي منزلة بين الدنيا والآخرة وفيها حياة البرزخ إلى يوم البعث والنشور يوم الجزاء والحساب ، أعود للقول بأن القبر واعظ صامت لا يعرف مدلول عباراته ووعظه إلا من وقف أمامه يتأمله وهو يضم

بين جنباته الصديق والغريب والأخ والحبيب والبعيد والقريب والرفيع والوضيع والعالم والجاهل والأمير والمأمور والسيد والرقيق والرئيس والمرؤوس والملك والمملوك ، كلهم تحت التراب في تلك الحفر الضيقة التي لا أنيس فيها ولا جليس إنما هو العمل الصالح للعبد الصالح عندما يكون أنيساً له في وحشته. إن زيارة القبور تُذكّر الآخرة حقاً كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((قد كنت نهيتمكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكّر الآخرة)) . تلك القبور التي تضم بين جوانبها جثثاً هامدة وأجساماً بالية وعظاماً نخرة وأشلاء مبعثرة والتي هي موطنٌ لجميع الناس العظيم منهم والحقير والحكيم والسفيه والصالح والطالح والسعيد والشقي والتي لو رأى الحي الميت بعد ثلاثة أيام في قبره لاستوحش من قُربِهِ بعد طول الأُنس به في الدنيا ولو كان أقرب قريب وأحب حبيب ، حيث تغير منه الريح وبلبت منه الأكفان وأكلته الديدان بعد حسن الهيئة والمنظر وطيب الريح ونقاء الثوب ، وعمار الدار التي قد سُكِنَتْ بعده وأمواله التي قُسمت ، وزوجته التي تتهياً للزواج بعد انتهاء عدتها ، ومن كان في غفلة عن هذا فليقف على القبور ويتأمل تلك النفوس التي كانت معه أجساداً ناعمة منعمة تفوح منها العطور الفاخرة وتركب السيارات الفارهة وتسكن القصور الشامخة ذات الردهات الواسعة وتعتز بالمناصب والرتب العالية أين هي اليوم ؟ وما هي الأسئلة التي أُلقيت عليها ؟ هل هي حول الأسماء والألقاب والتفاخر بالشرف والأنساب والأحساب ؟ أو عن امتلاك القصور والفلل والعمارات ؟ أو الطائرات والسيارات الفخمة ؟ أو عن التجارة والصناعة وامتلاك مئات الملايين ؟ أو عن المراتب والرتب والدرجات والمناصب التي تقلدها صاحبها في الدنيا وعمل فيها ؟ أو عن أعلى الشهادات والمراتب العلمية التي بها يتفاخر أكثر

الناس اليوم ؟ كل هذا وفيما يدور حوله وما يهتم به الناس وما هم به مشغولون لا يكون السؤال ، إنما هو عن أسئلة ثلاثة تُوجَّه إلى كل الأموات من بني آدم مؤمنهم وكافرهم ويجب عليها المؤمن بتوفيق الله وتثبيتته إياه ولو كان أمياً مع أن الكافر لا يستطيع الإجابة عليها ولو كان لديه أعلى الشهادات العالمية ومن أبلغ الناس وأفصحهم ، قال تعالى : ((يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ)) [إبراهيم: ٢٧] ، وفي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إذا ذُفن العبد ووضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم قال: ويأتيه ملكان فيقعدانه ، فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ قال: فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبدالله ورسوله ، قال : فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيراهما جميعاً ، وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري ، كنت أقول ما يقوله الناس ، فيقال له : لا ذَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ وَيُضْرَبُ بِمِطْرَقٍ مِنْ حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين)) " أي الجن والإنس". وفي حديث آخر : ((فيقال للأرض التثمي عليه فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك)) . وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فانتهى إلى القبر ولما يلحد بَعْدُ ، فجلس رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير ويده عود ينكت به في الأرض ورفع رأسه فقال : ((تعوذوا بالله من عذاب القبر)) مرتين أو ثلاثاً ، ثم قال : ((إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة

من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مدّ البصر ، ويجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من فيّ السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منه كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، قال : فيصعدون بها فلا يمرون على مائلاً من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون فلان بن فلان بأحسن أو أحب أسمائه التي كان يسمى أو يدعى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له ، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى يُنتهى بها إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل : ((اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوها إلى الأرض في جسده ، فيأتيه ملكان فيجلسانه ، فيقولان : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، فيقولان : ما دينك ؟ فيقول ديني الإسلام ، فيقولان ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول : هو رسول الله ، فيقولان ما يدريك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقته ، فينادي منادٍ من السماء. أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويُفصح له في قبره مدّ بصره ، قال : ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول : أبشر بالذي يسرُّك هذا يَوْمُكَ الذي كنت تواعد ، فيقول له : من أنت فوجهك الذي يجيء بالخير ؟ فيقول أنا عمّلك الصالح فيقول : ((ربِّ أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي)) . وذلك لفرحته ولما رأى من النعيم فهو يتمنى قيام الساعة . ((وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مدّ البصر ثم يجيء ملك الموت

حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط من الله وغضب ، قال : فتفرق في جسده فيتنزعها كما ينتزع السَّقود من الصوف المبلول فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ، ويخرج منها كأنن ربح وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون على ملاً من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الريح الخبيثة؟ فيقولون : فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى يُنتهى بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف:٤٤]. فيقول الله عز وجل : ((اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى)) ثم تطرح روحه طرْحاً ، ثم قرأ : ((وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطُّيْرُ أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ)) [الحج:٢٢]. فتعاد روحه في جسده ، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول هاه هاه لا أدري ، فينادي منادٍ من السماء أن كذب ، فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرّها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلّاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعده ، فيقول : من أنت فوجهك الوجه القبيح يجيء بالشر ؟ فيقول : أنا عمّلك الخبيث ، فيقول : ربّ لا تقم الساعة)).

عذاب القبر ونعيمه / 1

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فإن الحديث عن عذاب القبر ونعيمه لا يمكن استعراضه في خطبة واحدة ، وإنما في خطب متعددة بإذن الله يكون الكلام عن المقابر وواقعها في مجتمعات المسلمين بين الإفراط والتفريط ، وعن القبور وأحوال أهلها والحياة البرزخية وما بعدها ، ولا بدَّ من التذكير ببعض الآيات والأحاديث من أجل التدبر والتأمل والاتعاظ والاعتبار والتطبيق ، قال الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ ﴿١٧﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ ﴿١٧﴾ [الأنعام: ١٧، ١٨]. وقال عز وجل: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوْا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ ﴿١٧﴾ [الأنعام: ١٧، ١٨]. وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ ﴿١٦﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ ﴿١٦﴾ [غافر: ١٦، ١٧]. وقال تعالى : ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمُهُمْ ﴾

سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١١٤﴾ [التوبة: ١١٤]. ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ
 مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴿
 [السجدة: ١١٥]. ﴿ أَلَهَلِكُمْ التَّكَاثُرُ ﴿١١٦﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿١١٧﴾ ﴿ التَّكَاثُرُ: ﴿١١٦﴾. ﴿ كَلَّا إِذَا
 بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿١١٨﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿١١٩﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿١٢٠﴾ وَالْتَقَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ
 ﴿١٢١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿١٢٢﴾ [القيامة: ١١٦-١٢٢]. ﴿ وَجَاءَتِ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ
 ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٢٣﴾ ﴿ ق ~ : ﴿١٢٤﴾. ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
 ارْجِعُونِ ﴿١٢٥﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن
 وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٢٦﴾ [المؤمنون: ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦] والآيات حول هذا كثيرة ،
 ومن الأحاديث ما روي عن الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه
 حيث كان إذا وقف على قبر بكى حتى تبتلَّ لحيته ، فقيل له : تذكر الجنة
 والنار فلا تبكي وتبكي من هذا . فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقول : ((القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه ، وإن لم
 ينج منه فما بعده أشد منه ، ما رأيت منظرًا قط إلا القبر أظنع منه)) . وعن
 موت سعد بن معاذ رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((
 هذا الذي تحرك له العرش ، وفتحت له أبواب السماء ، وشهده سبعون ألفاً من
 الملائكة لقد ضُم ضمة ثم فرج عنه)) ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا سعد
 بن معاذ ولقد ضُم ضمة ثم رُوحي عنه)) . وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((إن للقبر ضغطة لو كان أحد ناجياً
 منها لنجا سعد بن معاذ)) . وقال صلى الله عليه وسلم : ((إن هذه القبور
 مملوءة ظلمة على أهلها وإن الله عز وجل ينورها لهم بصلاتي عليهم)) . ودخل
 النبي صلى الله عليه وسلم حائطاً من حيطان بني النجار فسمع صوتاً من

قبر فسأل عنه : ((متى دفن هذا ؟)) فقالوا: يا رسول الله دفن هذا في الجاهلية ، فأعجبه ذلك وقال: ((لولا ألا تدافنوا لدعوت الله عز وجل أن يسمعكم عذاب القبر)). ومرّ صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال : ((إني ليعذبان ، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة)) . وفي رواية : ((وكان الآخر لا يستنزه عن البول أو لا يستبرئ من البول)) وفي أخرى : ((وكان الآخر يؤذي الناس بلسانه ويمشي بينهم بالنميمة)) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أكثر عذاب القبر من البول)) . وقال صلى الله عليه وسلم : ((استعينوا بالله من عذاب القبر فإن عذاب القبر حق)) . وقال صلى الله عليه وسلم : ((إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع : من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال)) . وقال صلى الله عليه وسلم عن سورة الملك، " تبارك الذي بيده الملك " : ((هي المانعة من عذاب القبر)) . وقال أيضاً : ((القبر حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة)) . وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا نبينا ورسولنا محمد وآله .

الحشر والقيامة / 2

1420/5/16هـ

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً .

أما بعد : فإذا قام الناس من قبورهم وجدوا الأرض على غير صفتها التي فارقوها وهي عليها حيث قد دكت الجبال ، وزالت التلال ، وانقطعت الأنهار ، وبادت الأشجار ، وسجرت البحار ، وتساوت المهاد والروابي ، وخربت المدائن والقرى ، وتغيرت الأحوال، وزلزلت الأرض وأخرجت أثقالها، وبعثر ما في القبور ، وكذلك السماوات قد بدلت وتشققت وتفطرت أرجاؤها ، وانكدرت النجوم وانتشرت ، فبعد ذلك التغيير والتبديل يكون الجزاء والحساب بعد موت جميع الخلائق من إنس وجان وملائكة وحيوان وطيور وهوام وسباع ووحش وغيرها من جميع المخلوقات ولا يبقى إلا رب العزة والجلال كما قال تعالى: ﴿ كَلُّمَنْ عَلِيَّهَا فَإِنَّهُ يُبْقِي وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [فبأي آلاء ربكم تكذبان] ﴿ [الرحمن: ١٧٨] . وقال تعالى: ﴿ كَلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص: ٢٨] . وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد] ﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَعَشَىٰ جُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ [ليجزى الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب] ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم: ٢٤] . ويطوي الله السماوات والأرض كطي السجل للكتب وينادي

عز وجل لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد لموت الخلق أجمعين ثم يجيب الحق جل جلاله وتعالى سلطانه بقوله سبحانه ومحمده : ((لله الواحد القهار)) . قال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٧٧] وقال عز وجل : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا أَنَّا كُنَّا فَعَلِيلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] ، وقال تعالى : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ [١٠٥] يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿ ١٠٦ ﴾ الْيَوْمَ نُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿ ١٠٧ ﴾ وَأُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿ ١٠٨ ﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿ ١٠٩ ﴾ [غافر: ١٥- ١٨] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك أنا الجبار ، أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟)) . وفي حديث الصور أنه عز وجل إذا قبض أرواح جميع خلقه فلم يبق سواه وحده لا شريك له حينئذ يقول : ((لمن الملك اليوم ، قائلاً : لله الواحد القهار)) . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ :)) (إذا الشمس كورت ، وإذا السماء انفطرت ، وإذا السماء انشقت)) . صحيح الجامع .
وإنما كانت هذه السور الثلاث أخص بالقيامة لما فيها من انشقاق السماء وانفطارها وتكور الشمس وانكدار النجوم وتناثر الكواكب وخروج الخلق من القبور ونشر الصحف وقراءة الكتب وأخذها بالإيمان والشمائل كل حسب

عمله . قال تعالى: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ② وَإِذَا الْجِبَالُ
سُيِّرَتْ ③ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥
وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑦ وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُيِّتَتْ ⑧ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ⑨ وَإِذَا
الصُّحُفُ نُشِرَتْ ⑩ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ⑪ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ⑫ وَإِذَا الْجَنَّةُ
أُزْلِفَتْ ⑬ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ⑭ ﴾ [التكوير: ١-١٤] ، ﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ⑮
وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ⑯ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ⑰ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ⑱
عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ⑲ ﴾ [الانفطار: ١-٤] ، ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ⑳
وَأَذْنَتْ لِربِّهَا وَحُقَّتْ ㉑ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ㉒ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ㉓
وَأَذْنَتْ لِربِّهَا وَحُقَّتْ ㉔ يَتَأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ㉕
﴿ [الانشقاق: ١-٤] . وجاء في حديث الصور ((ويبدل الله الأرض غير الأرض
فيسطحها ويسطحها ويمدها مد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً))
. قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ㉖
يَتَخَلَّفُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ㉗ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ㉘ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي
نَسْفًا ㉙ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ㉚ لَا تَبْقَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ㉛
يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا
هَمْسًا ㉜ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفِيعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ㉝
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ㉞ * وَعَنَتِ الْوُجُوهُ
لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ㉟ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ㊱ ﴾ [طه: ١٦-٣٣] . وقال تعالى: ﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ
فَكَانَتْ سَرَابًا ㊲ ﴾ [النبا: ٢٤] . وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ
وَاحِدَةٌ ㊳ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ㊴ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ

الْوَاقِعَةُ ﴿٥﴾ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ﴿٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿٨﴾ ﴿الحاقة: ٣٣-٣٤﴾. وقال عز وجل: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٩﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿١٠﴾﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥]. وقال عز وجل: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ٤]. وقال عز وجل: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالُ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿١٢﴾ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿١٣﴾ وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿١٤﴾﴾ [الكهف: ٤٧-٤٨]. وقال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿١٦﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿١٧﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿١٨﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿١٩﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴿٢٠﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٢١﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٢٢﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ ﴿٢٣﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿٢٤﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٥﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿٢٦﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولِينَ ﴿٢٧﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [الواقعة: ٣١-٣٤]. وقال عز وجل: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٠﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَهِيلًا ﴿٣١﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿٣٢﴾ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْدًا وَبَيًّا ﴿٣٣﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿٣٤﴾ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿٣٥﴾ إِنَّ هَلْدِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٣٦﴾﴾ [المزمل: ٣٣-٣٤]. وقال عز وجل: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٣٧﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٣٨﴾ وَجِئَءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ

وَأَنْتَى لَهُ الذِّكْرَى ﴿١٣﴾ يَقُولُ يَلِيَّتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿١٤﴾ [الفجر: ١٣-١٤].
 وفي الحديث : أنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يوم ينفخ في
 الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لئناً ورفع لئناً . اللئثُ صفحة العنق . وأول من
 يسمعه رجل يلبط حوضه فيصعق ، ولا يسمعه أحد إلا صعق ، ثم يرسل الله مطراً
 كأنه الطل أو الظل فينبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام
 ينظرون)) . وروى البخاري رحمه الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن
 النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((ما بين النفختين أربعون)) . قالوا يا أبا
 هريرة : أربعون يوماً ؟ قال : أبيتُ ، قالوا أربعون شهراً ؟ قال : أبيت ، قالوا
 أربعون سنة ؟ قال : أبيت ، ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت
 البقل .)) (وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظم واحد وهو عَجْبُ الذنب منه
 يركب الخلق يوم القيامة)) . رواه البخاري ، وهذا العظم الصغير جداً الذي
 يعاد تكوين الإنسان منه موجود داخل العَصْصِ أسفل فقرة في الظهر تحت
 الحوض وما بين الإليتين في كل إنسان ، قال تعالى ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا
 نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [طه: ٥٥] . أي من الأرض وترابها
 خلق الله بني آدم ، وقال عز شأنه : ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا
 تُخْرَجُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥] . وقال جل شأنه : ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
 نَبَاتًا ﴾ ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ [نوح: ١٧ ، ١٨] ، وقال تعالى : ﴿
 وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ
 أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ
 وَجِئْنَا بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١٠﴾ وَوُفِّيَتْ
 كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿١١١﴾ [الزمر: ١١٠-١١١] ، وقال عز وجل :
 ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتَنَا ﴾ ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ ﴿ وَفُتِحَتْ

السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٦﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿١٧﴾ [النبأ: ١٦-١٧].
 وقال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿١٨﴾
 قَالُوا يَا نَوِيلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٩﴾
 إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٢٠﴾ فَأَلْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ
 نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢١﴾ [يس: ٢٠-٢١]. وقال عز
 وجل: ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُزِعَ مِنَ السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ
 اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٢٢﴾ [النمل: ٢٢].

وعن ذي القرنين و يأجوج ومأجوج والسد العظيم الذي طلبوه والذي بناه
 لهم شرق الأرض وبعد أن ذكر الله قصة ذي القرنين جاء على لسانه عن
 السد ودكّه وإخبار الله عز وجل عن القيامة والنفخ في الصور جاء في قول
 الله تعالى: ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ
 وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٢٣﴾ * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ
 فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٢٤﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿٢٥﴾ الَّذِينَ كَانَتْ
 أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿٢٦﴾ [الكهف: ٢٢-٢٦].

وبعد أن ينفخ إسرافيل في الصور النفخة الأخيرة نفخة البعث والنشور يخرج
 الناس من القبور ومن أي جزء كانوا فيه في بر أو بحر وحيثما هلكوا في
 أجواء الفضاء أو في أعماق البحار أو غُيِّبَت قبورهم في الأرض أو حُرقت
 أجسادهم وصارت رماداً ثم نُثرت على قمم الجبال أو في البحار كما يفعل
 بعض الكفار اليوم بموتاهم عندما يحرقونهم ويفرقون الرماد على الجبال
 والبحار ، أو أكلتهم الحيوانات المفترسة أو الطيور الجارحة فإن الله سوف
 يأتي بهم جميعاً ويعيدهم مرة أخرى ويجمع عظامهم المفتتة وأجسامهم البالية ،

بل أكثر من ذلك وهو بصمات أصابعهم التي كانوا يُعرفون بها في الدنيا حيث تختلف بَصْمَةُ كل شخص عن الآخر كما هو معروف لدى الباحثين في الأدلة الجنائية في الجرائم وغيرها سوف تُعاد مرة أخرى ، قال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ ﴾ [البقرة: ١٤٨]. وقال تعالى: ﴿ وَإِن مَّا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٤٨]. وقال عز وجل: ﴿ إِن كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ [مريم: ٦٣-٦٤]. وقال سبحانه: ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٧]. وكذلك الحال حشر جميع المخلوقات من بهائم وغيرها ، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨]. وقال عز وجل: ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [التكوير: ١٠]. وقال سبحانه: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٢١].

عن الحشر والقيامة / 2

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد : ففي صحيح مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة

فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة، وفيه أُخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة)). وقال صلى الله عليه وسلم : ((إن أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا فيه من الصلاة عليّ فإن صلاتكم معروضة عليّ)). وقال صلى الله عليه وسلم : ((إن أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه الصعقة وفيه النفخة)). وبعد أن تكون نفخة البعث والنشور يقوم الناس لرب العالمين وتنشق الأرض عنهم ، وأول من تنشق عنه رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأول من يكسى أبو الأنبياء وخليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام . قال تعالى : ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٢٢] ، وقال عز وجل : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ [يس: ٥١] ، وقال عز وجل : ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨] وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ [النبأ: ١٨] . ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ يُوفِضُونَ ﴾ [النبأ: ١٨] . ﴿ خَشِعَةً أَبْصُرُهُمْ تَرَاهُمْ ذَلَّةً ذَلِكُ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ [المعارج: ٢٢، ٢٣] . وقال عز شأنه : ﴿ وَاسْتَمِعَ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [الأنبياء: ١٠٢] . ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكُ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴾ [الأنبياء: ١٠٢] . ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِيهِمْ وَنُمِيتُهُمْ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴾ [الأنبياء: ١٠٢] . ﴿ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكُمْ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ [الأنبياء: ١٠٢] . ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ [الأنبياء: ١٠٢] . ﴿ وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [الأنبياء: ١٠٢] . ﴿ تَبْصِرَةٌ وَذِكْرٌ لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنبِئٍ ﴾ [الأنبياء: ١٠٢] ، وقال تعالى : ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴾ [المطففين: ٢٢] ، ﴿ [المطففين: ٢٢] .

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً ثم قرأ [كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين])) ، وعندما سمعت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً)) قالت : يا رسول الله الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض! قال : ((يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض)) . وفي الرواية الأخرى : ((شغل الناس عن ذلك ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه)) . ومعنى حفاة : لا أحذية لهم ، وعراة : لا ملابس تكسوهم وتستر عوراتهم وأجسامهم ، وغرلاً : غير محتونين . وقال صلى الله عليه وسلم : ((إن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل)) . رواه البخاري . ثم رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم النبيون .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من رفع رأسه فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أكان ممن أستثنى الله أم رفع رأسه قبلي ، ومن قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب)) .

أيها المسلمون : أكتفي بهذا القدر من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة حول الحشر والبعث والنشور لأنتقل في الخطب القادمة إن شاء الله للحديث عن أهوال يوم القيامة يوم الجزاء والحساب وما بعد ذلك اليوم العصيب عن الجنة والنار . نسأل الله الجنة ونعوذ به من النار .

﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ [الحج:١١، ١٢].

الشفاعة والحشر / 3

1420/5/23 هـ

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

أما بعد: فإننا في غفلة عن يوم القيامة يوم الحسرة والندامة، حيث يندم من كان محسناً كيف لم يزد من كسب الحسنات وذلك بفعل الصالحات، ويندم من كان مسيئاً حيث لم يتعد عما يغضب رب الأرض والسموات حيث تثقله السيئات بارتكابه المنهيات والمحرمات والموبقات ، قال تعالى :

﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَىٰ الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ ﴿١٨﴾ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٩﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿٢٠﴾ ﴾ [غافر:١٨، ١٩، ٢٠].

وقال عز وجل: ﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١٦﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿١٧﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنبياء:١٦-١٧]. وقال سبحانه وبحمده: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ [الحج:١١، ١٢].

لقد عدّ بعض العلماء ليوم القيامة يوم الجزاء والحساب خمسين اسماً ، وقد ورد بعض الأسماء عشرات المرات في كثير من آيات القرآن الكريم ، فهو يوم القيامة ويوم الفصل ويوم البعث ويوم الدين والحاقة

والقارعة والطامة والصاخة والغاشية والواقعة وغيرها من الأسماء لذلك اليوم العصيب الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين ، اليوم الذي تشخص فيه الأبصار يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار . قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿١١﴾ وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقِّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْوِلُنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ١١ ، ١٢] ، وقال عز وجل: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٤﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [مريم: ١١-١٦] . وقال عز شأنه: ((وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٣﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٤﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبِ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ ۖ أُولَٰئِكَ تَكُونُوا آقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُمْ مِّن زَوَالٍ ﴿٤٥﴾)) [إبراهيم: ٤٣-٤٥] .

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد)) وفي رواية: ((ليس فيها معلم لأحد)) . رواه البخاري ومسلم ، العفراء : البيضاء الذي بياضها ليس بالناصع ، والنقي : الخبز الأبيض ، والمعلم بفتح الميم : ما جعل علماً وعلامة للطريق والحدود . وقيل : الأثر ، ومعناه أنها لم توطأ من قبل حتى يكون فيها أثر أو علامة لأحد . وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة)) فقالت امرأة : يا رسول الله فكيف

يرى بعضنا بعضاً؟ فقال: ((إن الأبصار خاشعة)) . فرجع بصره إلى السماء ،فقالت: يا رسول الله ، ادع الله أن يستر عورتي ، قال: ((اللهم استر عورتها)) . وقد ورد حول هذا المعنى في حديث عائشة رضي الله عنها وفي غيره .

قال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعُنْشِيِّ ﴾ [الغاشية: ١٤] . وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴾ [النازعات: ١٤] .
 ﴿ تَبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴾ [الغاشية: ١٥] ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾ [الغاشية: ١٦] ﴿ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ﴾ [النازعات: ١٤] .
 روى البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى من حديث أنس بن مالك رضي الله عنهما أن رجلاً قال : يا رسول الله ، قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سُورُ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ١٧] .
 أيحشر الكافر على وجهه؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه؟)) . قال قتادة حين بلغه : بلى وعزّة ربّنا ، ونحن نقول بلى وعزّة ربّنا إنه على كل شيء قدير . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ يَعْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ مَكَانٍ يُسَاقُونَ إِلَىٰ سَجَنٍ فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ : بُوْلَسُ ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْبِيَارِ يُسَقَّوْنَ مِنْ عَصَاةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ)) . النسائي والترمذي .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ : ((يوم يقوم الناس لرب العالمين)) وقال: ((يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه)) . رواه البخاري ومسلم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل ، فتكون الناس على قدر أعمالهم في العرق ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه

، ومنهم من يكون إلى حَقْوَيْهِ ، ومنهم من يلجمه العرق إجماماً وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فِيهِ)) . رواه مسلم وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((يوماً كان مقداره خمسين ألف سنة)) . فقيل : ما أطول هذا اليوم ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخفَّ عليه من صلاة مكتوبة)) . رواه أحمد ، وابن حبان في صحيحه .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((تجتمعون يوم القيامة فيقال : أين فقراء هذه الأمة ومساكينها ؟ فيقومون ، فيقال لهم : ماذا عملتم ؟ فيقولون : ربنا ابتليتنا فصرنا ، وولّيت الأموال والسلطان غيرنا ، فيقول الله عز وجل : صدقتم ، قال : فيدخلون الجنة قبل الناس ، وتبقى شدة الحساب على ذوي الأموال والسلطان)) قالوا : فأين المؤمنون يومئذٍ؟ قال : ((توضع لهم كراسي من نور ويُظَلَّل عليهم الغمام ، ويكون ذلك اليوم أقصر على المؤمن من ساعة من نهار)) . رواه الطبراني وابن حبان . وفي هذا اليوم العصيب والموقف الرهيب يكون المقام المحمود في ذلك اليوم الموعود لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث الشفاعة العظمى عند رب العالمين للفصل في الجزاء والحساب ، وقد وردت أحاديث عدة حول الشفاعة العامة للخلق أجمعين لذلك الموقف وكذلك الشفاعة الخاصة بالمؤمنين والموحدين وغيرها من الشفاعات الخاصة ، ومنها : ما رواه الإمامان الجليلان البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى من حديث أنس بن مالك رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((كل نبي سأل سؤالاً . أو قال : لكل نبي دعوة قد دعاها لأمته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي)) . وفي رواية ابن عمر رضي الله عنهما : ((فأخّرت مسألتي)) . اختبأت دعوتي : أي ادّخرتها

واختزنتها. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أُعْطِيتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي : جَعَلْتِ لِي الْأَرْضَ طَهْرًا وَمَسْجِدًا ، وَأَحَلَّتْ لِي الْغَنَائِمَ وَلَمْ تَحِلَّ لِنَبِيِّ كَان قَبْلِي ، وَنَصَرْتِ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ عَلَى عَدْوِي ، وَبَعَثْتِ إِلَى كُلِّ أَحْمَرٍ وَأَسْوَدٍ ، وَأَعْطِيتِ الشَّفَاعَةَ ، وَهِيَ نَائِلَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا)) . رواه البزار ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : يا رسول الله ماذا رد ربك إليك في الشفاعة ؟ قال : ((والذي نفس محمد بيده لقد ظننت أنك أول من يسألني عن ذلك من أمتي لما رأيت من حرصك على العلم ، والذي نفس محمد بيده لما يَهْمَنِي مِنْ انْقِصَافِهِمْ . وفي رواية . انقضاضهم . على أبواب الجنة أهُمُّ عِنْدِي مِنْ تَمَامِ شِفَاعَتِي لَهُمْ ، وَشِفَاعَتِي لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ يَصَدِّقُ لِسَانَهُ قَلْبُهُ ، وَقَلَبَهُ لِسَانُهُ)) . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ [لقمان: ٣٠]

الشفاعة والحشر / 3

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا وحيبنا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فقد قال الله عز وجل لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم في محكم التنزيل في آي القرآن الكريم : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٦] ، والمقام المحمود يوم القيامة للرسول

محمد صلى الله عليه وسلم في شفاعته عليه الصلاة والسلام عند رب العالمين للجزاء والحساب عندما يتخلى أبونا آدم وأولوا العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام عن تلك الشفاعة العظمى ويكون شرفها لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وهي المسماة بالشفاعة العامة ، أما الخاصة فتكون له عليه الصلاة والسلام وللرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وللملائكة عليهم السلام وللشهداء ولمن يشاء الله عز وجل من المؤمنين قال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ [طه: ١٨] ، ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ [طه: ١٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُعْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم: ٢١] . وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [سبأ: ٢٢] . وقال عز وجل : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] . وروى البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ الذَّرَاعَ . وكانت تعجبه . فَنَهَسَ مِنْهَا حَسَةً ، وقال : ((أنا سيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، هل تدرون ممَّ ذاك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فَيُبْصِرُهُمُ النَّاطِرُ ، وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ ، وتدنو منهم الشمس فيبلغ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يَطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ ، فيقول النَّاسُ : أَلَا تَنْظُرُونَ . وفي رواية: أَلَا تَرَوْنَ . إلى ما أنتم فيه وإلى ما بلغكم؟ أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ ؟ فيقول بعض النَّاسِ لبعض : أبوكم آدم ، فيأتونه ، فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة أن يسجدوا لك ، وأسكنك الجنة ، أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ، أَلَا تَرَى

ما نحن فيه وما بلغنا ، فقال : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، وإنه نهبني عن الشجرة فعصيت ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوحاً ، فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سمّك الله عبداً شكوراً ، أَلَا ترى إلى ما نحن فيه ، أَلَا ترى إلى ما بَلَّغْنَا ، أَلَا تشفع لنا إلى ربك ؟ فيقول : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كان لي دعوة دعوت بها على قومي ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم ، فيأتون إبراهيم فيقولون : أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، أَلَا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله قد كُنتُ كذبت ثلاث كذبات فذكرها ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى ، فيأتون موسى فيقولون : يا موسى أنت رسول الله فَضَّلَكَ اللهُ برسالاته وبكلامه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ، أما ترى إلى ما نحن فيه . فيقول : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد قتلت نفساً لم أوامر بقتلها ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى عيسى ، فيأتون عيسى ، فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وكلمتَ الناس في المهد ، اشفع لنا عند ربك ، أَلَا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول عيسى : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذنباً ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتوني فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك أَلَا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فأنتقل تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله عليّ من محامده وحسن

الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي ، ثم يقال : يا محمد ، ارفع رأسك وسلّ تُعْطَهُ واشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فأرفع رأسي فأقول : أمّتي يارب ، أمّتي يا رب ، أمّتي يا رب ، فيقال يا محمد أَدْخِلْ من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب)) ثم قال ((والذي نفسي بيده إن ما بين المصرعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وَهَجْر أو كما بين مكة وبصرى)) . البخاري ومسلم ، وعن حذيفة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((يقول إبراهيم يوم القيامة يا ربّاه ، فيقول الرب جل وعلا : يا لَبَّيْكَاه فيقول إبراهيم : يارب حرّقت بنيّ ؛ فيقول أخرجوا من النار من كان في قلبه ذرّة . أو شعيرة . من إيمان)) . رواه ابن حبان في صحيحه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يُشَفِّعُ اللهُ تبارك وتعالى آدمَ يوم القيامة من ذريته في مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف)) الطبراني . وقال صلى الله عليه وسلم : ((لَيَدْخُلَنَّ الجنةَ بشفاعة رجلٍ من أمتي أكثرُ من بني تميم)) قلنا: سواك يا رسول الله ؟ قال: ((سواي)) . ابن حبان وابن ماجه . وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((خيرت بين الشفاعة أو يدخل نصف أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى ، أما إنها ليست للمؤمنين المتقدمين ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين)) . أحمد والطبراني وابن ماجه . وبقيت أحاديث في شفاعة الشهداء لذويهم والملائكة وغير ذلك مما دلّت عليها الأحاديث والتي لا تتسع الخطبة لذكرها ، وأهمُّ من ذلك رحمة رب العالمين وأرحم الراحمين الله لا إله إلا هو الغفور الرحيم . اللهم ارحمنا واغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أنت أعلم به منا، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وآله وصحبه .

الجزاء والحساب يوم القيامة / 4

1420/5/30 هـ

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فلا يزال الحديث موصولاً بسابقه ومرتباً به ولا يمكن الانتقال من موضوع فيه إلى موضوع دون التعرض له بشيء مما ورد حوله ، ولن أوفيه حقه في الاستعراض مهما بلغت واجتهدت في خطب للجمعة زمنها محدود ، والوفاء واستعراض مثل هذا الموضوع متعذر لأسباب متعددة . ولكن ما لا يُدرك كلُّه لا يُترك جلُّه ، وإلا فيوم القيامة يوم الجزاء والحساب يجب أن لا يغيب عنا في أي لحظة لأن الخوف من ذلك اليوم يورث التقوى والإحسان الذي هو أعلى مراتب الإسلام ، وقد وصف الله المؤمنين المتقين بصفات متعددة ومنها الخوف من ذلك اليوم ، ولذلك فهم مستعدون ويعدون العدة له خوفاً من الله وعقابه وطمعاً في رحمة الله وثوابه وحباً لله جلّ وعلا ، فهم المتقون حقاً كما قال الله عنهم : ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ ④ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ⑤ [النور: ٢٧، ٢٨] ، وقال سبحانه وحمده: ﴿ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ ⑥ [الإنسان: ٧] ، ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ ⑦ فَوَقَلَّهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ⑧ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ⑨ [الإنسان: ١٠-١١] وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ

مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿١٦٦﴾
 ﴿الرعد: ١٦٦﴾. وقال جل جلاله : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ
 الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ
 مُحْدِثًا ﴿١٦٧﴾﴾ [الإسراء: ١٦٧] وقال تعالى : ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ
 رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الأنعام: ١٦٨] ،
 المؤمنون يخافون من مشهد وأهوال ذلك اليوم العظيم الذي تشخص فيه
 الأبصار وتكون الحناجر مكظومة وتتقلب فيه القلوب والأبصار ، يوم تبيض
 وجوه وتسود وجوه. إن آيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله
 عليه وسلم حول هذا الموضوع كثيرة ، نأخذ قطافاً منها ففيها الذكرى التي
 تنفعنا جميعاً في الدنيا والآخرة إن شاء الله تعالى ، قال تعالى : ﴿يَوْمَ هُمْ
 بَرْزُونَ لَا يُخْفَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦٩﴾ أَلْيَوْمَ
 تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧٠﴾
 وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَىٰ الْحَنَاجِرِ كَظِيمٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا
 شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٧١﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٧٢﴾﴾ [غافر: ١٦٩-١٧٢] . قال
 تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٣﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ
 يَأْتُونََنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ
 الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧٥﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا
 يُرْجَعُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [مريم: ١٧٣-١٧٦] . ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ
 شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴿١٧٧﴾﴾ [
 الأنبياء: ١٧٧] . ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ
 الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿١٧٨﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَىٰ اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ لَا لَهُ
 الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأنعام: ١٧٧] ، وقال عز شأنه : ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ

اللَّهُ مُخْلِيفٌ وَعَدِيهٌ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿١٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ
وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي
الْأَصْفَادِ ﴿١٩﴾ سَرَابِلُهُمْ مِّنْ فَطْرَانٍ وَتَعَشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴿٢٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ
نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ
وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٢﴾ [إبراهيم: ٢٧-٢٤] ،
﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [آل عمران: ١٨] وقال تعالى
﴿ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [النور: ٦٤] . والآيات بهذا الخصوص متعددة ﴿ وَكُلُّ
شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴾ ﴿ فَذُوقُوا فَلَنْ نُّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ [النور: ٦٤] إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا
﴿ [النبا: ٦٣-٦٢] ، ﴿ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَمْنَهُ لِمَن تَرَبَّصُّهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾ ﴿ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾
﴿ [الإسراء: ٦٣-٦٢] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء: ٤١] ﴿ وَوَضِعَ
الْكِتَابَ فَنَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا
يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ
أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٨] ، ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ
ظُلْمًا ﴾ ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾
﴿ [طه: ١١١، ١١٢] ، ﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَا أَيُّكُمْ مِّنِّي
هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ
مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ
كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ ﴿ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ ﴾
﴿ [طه: ١١٣-١١٤] . ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ
ءَامِنُونَ ﴾ ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا

﴿ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٤، ٨٥]. ﴿ تِلْكَ أَلْدَارُ الْأَخِرَّةُ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [٨٦] مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الفصل: ٨٦، ٨٧]، ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٦] ﴿ وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [١٧] وَ تَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِئَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [١٨] هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [١٩] فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ [٢٠] وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَاستَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الجن: ٢١] وَ تَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ [٢٢] وَ تَرَى لَهُمْ مَعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنَ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْأَخْسَرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّثْقِمٍ ﴾ [٢٣] وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ [٢٤] أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴾ [الشورى: ٢٥] ﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [٢٦] تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [٢٧] ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [الشورى: ٢٨]، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِيَ

ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٤﴾ [فصلت: ٤٤]، ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٤٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَقَالُوا لِمَ لِي جُلُودِهِمْ لَمْ نَشْهَدْنَا عَلَيْهَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤٨﴾ وَذَلِكَ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٥٠﴾ * وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْحَ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٥١﴾ [فصلت: ٥١-٥٥].

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَاقْتَدُوا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٥٦﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥٧﴾ [الزمر: ٥٦، ٥٧] ، ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٨﴾ فَالْيَوْمَ لَا تظَلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٩﴾ إِنْ أَصْحَبَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَنَكِهُونَ ﴿٦٠﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِئُونَ ﴿٦١﴾ لَهُمْ فِيهَا فَنَكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٦٢﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٦٣﴾ وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٦٤﴾ * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىٰءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٥﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٦﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هَلِدِهِمْ جَهَنَّمَ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٨﴾ أَصَلَّوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٩﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ

أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى
مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَبَقُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿١٢﴾ وَمَنْ نَعْمِرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ
أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ ﴿١٤﴾
لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٥﴾ ﴿يس: ٥١-٥٢﴾ ، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ
لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٦﴾
﴿فاطر: ١٦﴾ ، ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ
تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُتَعِنُونَ عَنَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهَدَيْتَنَاكُمْ
سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴿١٧﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ
الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ
مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا
بِمُصْرِحِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ
الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيُّهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿١٩﴾
﴿إبراهيم: ٦٢﴾ ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ
لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿٢٠﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدَّدٍ ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا
تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿٢٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَعُوا فِي النَّارِ
لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿٢٣﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا
شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿٢٤﴾ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ
فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ ﴿٢٥﴾ فَلَا
تَكُ فِي مَرِيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَتُولًا مِمَّا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاءَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا
لَمَوْفُونَ بِمَا نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿٢٦﴾ ﴿هود: ٦٣-٦٤﴾ ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي
الْأَلْبَابِ ﴿٢٧﴾ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلنَّفْسِ

قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٢٦﴾ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا
مُّتَشَبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ
وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ
مِنْ هَادٍ ﴿١٢٧﴾ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا
كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿١٢٨﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَاْتَلَهُمْ الْعَذَابُ مِن حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١٢٩﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا
يَعْلَمُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴿الزمر: ١٢٦-١٣٠﴾ ، ﴿يُبَصِّرُونَهُمْ يَوْمَ الْمَجْرَمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ
يَوْمِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١٢٦﴾ وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢٧﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُسْوِيهِ ﴿١٢٨﴾ وَمَن فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٢٩﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَلظَىٰ ﴿١٣٠﴾ نَزَاعَةٌ لِلشَّوَىٰ ﴿١٢٦﴾ تَدْعُوا مَن أَدْبَرَ
وَتَوَلَّىٰ ﴿١٢٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٢٨﴾ ﴿المعارج: ١٢٦-١٣٠﴾ ، ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ ﴿١٢٦﴾ يَوْمَ يَفِرُّ
الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿١٢٧﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿١٢٨﴾ وَصَحْبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿١٢٩﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمِذٍ
شَأْنٌ يُعْنِيهِ ﴿١٣٠﴾ وَجُوهٌ يَوْمِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿١٢٦﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿١٢٧﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمِذٍ
عَلِيهَا غَبْرَةٌ ﴿١٢٨﴾ تَرَهَقَهَا فَتْرَةٌ ﴿١٢٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفَجْرَةُ ﴿١٣٠﴾ ﴿عبس: ١٢٦-١٣٠﴾ . ﴿
فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢٦﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿١٢٧﴾ وَبُرْزَتْ
الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿١٢٨﴾ فَأَمَّا مَن طَعَىٰ ﴿١٢٩﴾ وَعَاقِرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿١٣٠﴾ فَإِنَّ
الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ
﴿١٢٧﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿١٢٨﴾ ﴿النازعات: ١٢٦-١٣٠﴾ ، ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ
أَمَامَهُ ﴿١٢٦﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿١٢٧﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿١٢٨﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿١٢٩﴾
وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿١٣٠﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُجُ ﴿١٢٦﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١٢٧﴾
إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢٨﴾ يُنَبِّئُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٢٩﴾ بَلِ
الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٣٠﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٢٦﴾ ﴿القيامة: ١٢٦-١٣٠﴾ ، ﴿كُلُّ
نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿١٢٦﴾ ﴿المدثر: ١٢٦﴾ ، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿١٢٧﴾

﴿ فاطر: ١٨ ﴾ ، ﴿ أَرَفَتِ الْأَرْفَةَ ﴾ ﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ ﴿ أَقْمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجَّبُونَ ﴾ ﴿ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَتَّبِعُونَ ﴾ ﴿ وَأَنْتُمْ سَلِمْدُونَ ﴾ ﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوا ﴾ ﴿ [النجم: ٥٧-٥٨] . ذكرتُ آيات القرآن الكريم للذكرى والموعظة المناسبة للموضوع حول هذا اليوم العظيم امتثالاً لقول الله عز وجل : ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ ﴿ [ق: ١٧] . وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ [الذاريات: ٥٥] .

عن الجزاء والحساب / 4

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى أحمده عز وجل وأشكره وأثني عليه الخير كله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فإن البلاغة الموجودة في آيات القرآن الكريم وفي أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والبيان الواضح للمقصود من أهم الأسباب التي جعلتني أترك التقديم لأي منها وأكتفي بذكرها فقط لأن فيها الشفاء والهدى والرحمة والوعد والوعيد وكل ما يشفي ويكفي .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴾ ﴿ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴾ ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴾ ﴿ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴾ ﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴾ ﴿ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴾ ﴿ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ ﴿ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ ﴿ أَصَلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ [الطور: ١٧-٢١] ، ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَذَا مَا أقرءُ وَأُ

كِتَابِيَّةٌ ﴿١﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلِقٌ حِسَابِيَّةٌ ﴿٢﴾ فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٣﴾ فِي جَنَّةٍ
عَالِيَةٍ ﴿٤﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٥﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ
الْخَالِيَةِ ﴿٦﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلِيَّتَنِي لِمَ أُوتِ كِتَابِيَّةٌ ﴿٧﴾
وَلِمَ أَدْرَمَ مَا حِسَابِيَّةٌ ﴿٨﴾ يَلِيَّتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٩﴾ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿١٠﴾ هَلَكَ
عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿١١﴾ خُدُوهُ فَعُلُوهُ ﴿١٢﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿١٣﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا
سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿١٤﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿١٥﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى
طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٦﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿١٧﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿١٨﴾
لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَلِطُونَ ﴿١٩﴾ ﴿الحاقة: ١٧-٢٤﴾ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٢٠﴾
فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٢١﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٢٢﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿٢٣﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿٢٤﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿٢٥﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي
أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ ﴿٢٧﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿٢٨﴾
[الانشقاق: ٢٧-٢٨]، ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ
الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَكَابًا ﴿٣٠﴾
إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلِيَّتَنِي
كُنْتُ ثَرَابًا ﴿٣١﴾ [النبا: ٢٨-٤١]. في ذلك اليوم يتمنى الكافر أنه كان بهيمة
وحيواناً لكي يكون تراباً بعد الجزاء والحساب لئلا يدخل النار لأنها تكون
تراباً بعد القصاص منها لبعضها بعضاً .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لتؤدن
الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء)). رواه
مسلم والترمذي. وقال صلى الله عليه وسلم: ((يُفْتَصُّ لِلخَلْقِ بَعْضُهُمْ مِنْ
بَعْضٍ حَتَّى لِلجَمَاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ، وَحَتَّى لِلذَّرَّةِ مِنَ الذَّرَّةِ)) رواه أحمد ورواه رواية
الصحيح. وقال عليه الصلاة والسلام: ((ليختصمن كل شيء يوم القيامة حتى

الشاتان فيما انتطحتا)) رواه أحمد بإسناد حسن وأبو يعلى . وقال صلى الله عليه وسلم: ((من ضرب مملوكه سوطاً ظلماً اقتص منه يوم القيامة)) رواه البزار والطبراني بإسناد حسن . وقال صلى الله عليه وسلم : ((يحشر الله العباد يوم القيامة ، أو قال : الناس عراة غرلاً جُهماً)) . قال: قلنا وما جُهماً ؟ قال : ((ليس معهم شيء ، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بُعد كما يسمعه من قُرب : أنا الديان ، أنا الملك ، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه ، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه حتى اللطمة)) . قال : قلنا كيف وإنما تأتي عراة غرلاً جُهماً ؟ قال : ((الحسنات والسيئات)) رواه أحمد بإسناد حسن . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((أتدرون من المفلس؟)) قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال ((إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار)) . رواه مسلم وغيره . وأيضاً روى الإمام مسلم رحمه الله من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال : ((هل تدرون مم أضحك ؟)) قلنا: الله ورسوله أعلم، قال : ((من مخاطبة العبد ربه ، فيقول : يا رب ألم تجرني من الظلم ؟ فيقول : بلى ، فيقول : إني لا أجزى اليوم على نفسي شاهداً إلا مني، فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ، والكرام الكاتبين شهدوا ، قال : فيختم على فيه ويقول لأركانه: انطقي ، فتتطق بأعماله ،

ثم يخلي بينه وبين الكلام ، فيقول : بُعْدًا لَكِنَّ وَسُخْفًا ، فعنكَنْ كنت أناضل)) .
 أي أجادل وأخاصم وأدافع ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قرأ رسول
 الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ قال : ((
 أتدرون ما أخبارها؟)) قالوا: الله ورسوله أعلم ، قال : ((فإن أخبارها أن
 تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها ، تقول عمل كذا وكذا)) . رواه
 ابن حبان في صحيحه . وروى البخاري ومسلم رحمهما الله من حديث
 عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((من نوقش
 الحساب عذب)) فقلت : أليس يقول الله : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾
 ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ وَيُنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿ ﴾ [الانشقاق: ٧-١٠] .
 فقال : ((إنما ذلك العرض ، وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك)) . وأيضاً
 روى البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى من حديث أم المؤمنين عائشة رضي
 الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها كانت تقول : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : ((سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا الْجَنَّةَ
 عَمَلُهُ)) . قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ((ولا أنا إلا أن يتغمديني الله
 برحمته)) . وللموضوع بقية في خطبة قادمة إن شاء الله تعالى . وصلى الله
 وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله .

الجزء والحساب / 5

1420/6/7هـ

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور
 أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي

له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً .

أما بعد : فلا زلنا مع سلسلة الاستعداد ليوم المعاد ومع الجزاء والحساب الذي نؤمن به، ولكن أعداءنا المتربصين بنا يعملون على إبعادنا وإشغالنا عن الاستعداد له و محاسبة أنفسنا ؛ وعدو كلِّ منا شياطينُ الإنسِ والجنِّ والكفارُ وهوى النفس الأمارة بالسوء وحبُّ الدنيا وطولُ الأمل ، ونعلم جميعاً بأن أعمالنا صغیرها وكبیرها محصية علينا فيما تأتي ونذر، ويتعجب الناس اليوم من صناعة البشر في المخترعات الحديثة التي علمهم الله إياها وهداهم إليها لتقوم بها حياتهم وتزداد عليهم الحجج والبراهين ، قال تعالى:

﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥] ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [طه: ٥١]. فأكثر الناس من المسلمين والكفار يندهشون وينبهرون من تلك المخترعات ولم يتفكروا في عظمة الله عز وجل وقدرته وأنه جل وعلا هو الذي أعطاهم ذلك وأقدرهم عليه وعلمهم إياه وهداهم إليه ، مع أن جميع البشر من أولهم إلى آخرهم عاجزون عن أن يأتوا ويُخضِرُوا من العدم ذرةً واحدة من ذلك الذي أعطاهم الله إياه وسخره لهم في علومهم واستخرجوه من هذه الأرض . إذاً فالبشر لا يستطيعون أن يوجدوا ذرة واحدة من مخترعاتهم الحديثة التي بلغت مليارات الأطنان على وجه الأرض وفي الفضاء ، بل هي من الأرض جمعوها بعد أن هداهم الله إليها وسخرها لهم ، فَفَرَّقَ بين الإتيان بشيء من العدم وخلقِه ، وبين التجميع المبني على تعليم الله وتسخيره للبشر وهدايتهم إليه ، فليتنبه المسلمون من عدم التفكير الواعي أو التشويش المضلل ومن الفكر المنحرف ، وعليهم أن يَعُوا ويعرفوا إسلامهم حق المعرفة ويعملوا بما فيه . قال تعالى: ﴿

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦١﴾ [الصفات: ١٦١] ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٦٢﴾ [الجنائية: ١٦٢] ، ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٣﴾ [النحل: ١٦٣] ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةَ وَبَاطِنَةً ﴿١٦٤﴾ [لقمان: ١٦٤] . ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٦٥﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿١٦٦﴾ [يس: ١٦٦ ، ١٦٥] .

أعود للقول بأن من المخترعات الحديثة التسجيل بالصوت والصورة أو بأحدهما والنقل عبر الفضاء سواء منه المباشر أو المحتفظ به منذ ساعات أو عشرات السنين ، ويتعجبون عندما تُعرض عليهم صورة شخص وأفعاله وأعماله في الصغر ثم الصبا والشباب ثم الشيخوخة وفي حالات هو يرتضيها ولم تسجل عليه في الخفاء ، وربما عرضت على الناس بعد موته بسنين طويلة ، فكيف بالشخص لو سجل عليه أو صوّر في حالات لا يرضى أن يطلع عليه فيها أحد من البشر ؟ بل قد يستحيي هو من نفسه لو يراها مرة ثانية إذا كانت من الأمور الحقيرة في نظره ؟ وكيف إذا كانت من الأشياء المهينة له والذنوب التي أخفاها عن أعين الناس ؟ إن الأمر لا شك عظيم ، ومع أن البشر يندهشون في هذه الأيام لخاصية الحاسبات الآلية مع عظم حجمها وتكاليفها الباهظة وسرعة تلفها ولكن الاستغراب يصيبهم في الأجزاء الصغيرة التي تحتفظ بالمعلومات الكثيرة بالكتابة أو الصوت والصورة أو بإحدهما، ويندهشون من كيفية النقل المباشر بالصوت والصورة للأشخاص عبر الهاتف وداخل غرف العمليات والاستشارات الطبية التي تُجرى على بعد آلاف الكيلومترات ، وإعادتها ولو بعد سنين طويلة ، وكذلك مما هو محفوظ أو متبادل في الشبكة العنكبوتية شبكة المعلومات

المسماة بالإنترنت ، يتعجبون من ذلك ولم يفكروا في الكرام الكاتبين الذين يحصون على كلِّ شخص كلَّ صغيرة وكبيرة حتى الوسوسة والهـم بالحسنة والسيئة التي سوف يجدها كلُّ منا في كتاب يلقاه منشوراً يقرؤه بنفسه ولو لم يكن قارئاً ولا كاتباً ، وعند إنكار الشخص لأي شيء من أعماله فسوف يقوم عليه الشهود من نفسه ومن الأرض التي كان قد عمل عليها ذلك العمل محتفظة به لآلاف السنين حتى يوم القيامة ، ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤١﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٤٢﴾﴾ [الزلزلة: ٤١، ٤٢] . ويتشـدق بعض الناس اليوم بما وصل إليه العلم من أنه بالإمكان أخذ الصورة لظل الشخص في المكان الذي كان فيه بعد ساعة، أو التسجيل بالصوت والصورة على بعد عشرات الأمتار وغير ذلك من الأمور التي من المفترض أن تقربه إلى الله تعالى بدلاً من الإعراض عنه وعن أوامره ونواهيـه . ولنستمع ونفقه هذه الآيات والأحاديث التالية. قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿٢﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الانفطار: ١-٣] وقال عز وجل : ﴿ أَفَعَيْنَا بِالْأَوَّلِ بَلَّ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلْمَا تَوْسُوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَخَنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [ق: ١٥-١٧] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية: ١٨ ، ١٩] ، ﴿ وَإِن تَبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٤٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤٤] ، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٢٤٥﴾ وَمَا مِنْ غَآيِبَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤٦﴾﴾ [النمل: ٢٤٥، ٢٤٦] ، ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿٢٤٧﴾﴾ [غافر: ٢٤٧] ، ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوْرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٤﴾ يَعْلَمُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٥﴾
[التغابن: ٢٤، ٢٥] ، ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ
فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٦﴾ [إبراهيم: ٢٦] . ﴿ إِنَّ تَكْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ
فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٢٧﴾
﴿ [لقمان: ٢٧] ، ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا
يَرَهُ ﴿٢٩﴾ [الزلزلة: ٢٧، ٢٨] ، وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ
مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ
نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ [آل عمران: ٣٠] . ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ
تُجَدِّدُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٣١﴾ [النحل: ٣١]
، ﴿ وَكُلٌّ إِلَىٰ ذُنُوبِهِمْ لَدُونَهُ مَرْسُومًا عَنِ اللَّهِ وَمَا يُظْلَمُونَ مِنْ شَيْءٍ مِّنْ ظُلْمٍ
مِّنْ شَيْءٍ ﴿٣٢﴾ [الأنعام: ٣٢] ، ﴿ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿٣٣﴾ [الإسراء: ٣٣، ٣٤] ، ﴿
وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا
الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا
يُظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٣٤﴾ [الكهف: ٣٤] ، ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٣٥﴾
﴿ [النبأ: ٣٥] ، ﴿ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٦﴾
[يس: ٣٦] ، ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ
كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٣٧﴾ [الأنبياء: ٣٧] ،
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا
﴿٣٨﴾ [النساء: ٣٨] ، ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٣٩﴾ [النساء: ٣٩] ،
﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ
وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿٤٠﴾ [النساء: ٤٠] . ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ

فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١٧﴾ [طه: ١٧] ، ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨﴾
 ﴿ [فصلت: ٤١] . ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٩﴾ وَمَنْ خَفَّتْ
 مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٢٠﴾ [المؤمنون: ١٧، ١٨] ،
 ﴿ أَلْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ أَلْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾
 ﴿ [غافر: ١٧] ، وعند الإنكار لما عمله أو قاله الكافر أو المنافق والفاسق
 الذي يشيع على المسلمين ما ليس فيهم ويؤذيهم بما يشينهم ويشوه سمعتهم
 ويحب إشاعة الفاحشة فيهم ويبهتهم ويفتري الكذب عليهم يقام عليه
 الشهود من نفسه ومن غيره ومن الأرض التي عمل عليها جريمته وسوف
 يأخذ المظلوم حقه منه يوم القيامة ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ
 الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾
 يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ
 يُوقِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٤﴾ [النور: ٢٢-٢٤] .
 يرمون : أي يقذفون العفيفات بالزنا ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ
 الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا
 تَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ [النور: ٢٥] . ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَسَبُوا
 فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٦﴾ [الأحزاب: ٥٨] ، ﴿ أَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ
 وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢٧﴾ [يس: ٢٧] ، ﴿
 حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
 ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا لِمَ لَجُّودِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ
 وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ
 سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا
 تَعْمَلُونَ ﴿٣٠﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْنَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ

الْخَلْسِرِينَ ﴿٣٢﴾ [فصلت: ٣٢-٣٣] ، ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ ﴿ [الإسراء: ٣٤] ، ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلِنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ [الحجر: ٣٥ ، ٣٦] ، ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَتُولَاءٍ شَهِيدًا ﴾ ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَدِّعُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ ﴿ [النساء: ٣٧ ، ٣٨] ، ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَتُولَاءٍ ﴾ ﴿ [النحل: ٣٩] ، ﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ﴿ [يونس: ٤٠] ، ﴿ يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنْ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ ﴿ [النساء: ٤١] ، ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ ﴿ [النساء: ٤٢ ، ٤٣] ، ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ ﴿ [محمد: ٤٤] ، ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ ﴿ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴾ ﴿ [القيامة: ٤٥ ، ٤٦] .

وفي آخر الحديث الذي رواه الإمام مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: في الثالث يقول الله تعالى : ((أي فل . أي فلان . ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأدرك ترأس وتربع ؟ فيقول : بلى ، يا رب ، فيقول: أظننت أنك ملاقي ؟ فيقول: أي رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وصدقته ، وبني بخير ما استطاع ، فيقول: ها هنا إذا ، ثم يقول الآن : نبعت شاهداً عليك ،

فيتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد عليّ ؟ ، ويُحْتَمُّ عليّ فيه ، ويقال لفضله : انطقي ، فينطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله ، وذلك ليعذر من نفسه ، وذلك المنافق ، وذلك الذي يسخط الله عليه)) . قال أبو هريرة رضي الله عنه مما رواه عنه ابن حبان في صحيحه ، قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ قال : ((أتدرون ما أخبارها ؟)) قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ((فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها ، تقول عمل كذا وكذا في يوم كذا وكذا ، فذلك أخبارها)) . رواه ابن حبان ، والترمذي بنحوه ، وفي الحديث القدسي الذي رواه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه تبارك وتعالى : ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه)) . ولننظر إلى لطف الله بنا ورحمته إيانا بني آدم لضعفنا وعجزنا كيف تُدَوِّنُ علينا الحسنات بمضاعفتها في الأجر إلى أضعاف كثيرة والسيئات بمثلها فقط بل يَـمُحُّوْهَا وفوق ذلك يبدلها حسنات إذا تاب العبد من تلك السيئات وأقلع عنها ، والأحاديث كثيرة وأكتفي بواحد فقط في صحيح الإمامين الجليلين البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((إن الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بين ذلك في كتابه ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، فَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضَعْفٍ إِلَى أضعاف كثيرة ، ومن هم بسيئة فلم يعملها كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللهِ إِلَّا هَالِكٌ)) .

الجزء والحساب / 5

الخطبة الثانية

الحمد لله الحكم العدل الملك الحق المبين أحمدته عز وجل وأشكره وأثني عليه الخير كله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة حق وصدق أرجو بها النجاة يوم نلقاه وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وآله وصحبه .
أما بعد : ففي ذلك اليوم العصيب تنقطع علائق الأنساب والافتخار بها، فكل إنسان مهتم بنفسه ولا يهمله غيره بل يفرّ منه ولو كان أحب الناس عنده وأقرب قريب إليه ، وتذهب الشهامة والنخوة والعصبية والحمية الجاهلية ومناصرة الظلمة في الدنيا بالباطل على أصحاب الحقوق المساكين، كل ذلك يذهب ويتخلى بعضهم عن بعض حتى ولو بحسنة واحدة يعطيه إياها أو يحمل عنه سيئة ، وفرق هنا بين أن يحمل عنه أو يحمل معه ومثله ، فأما الحمل عنه فلا يمكن ، وأما الحمل معه ومثله فذلك وارد لإضلاله إياه فهو دعاه إلى الضلالة فيحمل وزره ووزر من أضله إلى يوم القيامة ، كما أن الذي يدعو إلى الهدى له أجره وأجر من عمل بذلك إلى يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ ﴿١٥٠﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿١٥١﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿١٥٢﴾ وَصَحْبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿١٥٣﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُعْنِيهِ ﴿١٥٤﴾﴾ [عبس: ١٤٧-١٥٤] ، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٥٥﴾﴾ [لقمان: ١٥٥] ، وقال تعالى ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ

عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٨١﴾
 ﴿البقرة: ١٨١﴾ ، ﴿يُبصرونهم يومئذ المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه ﴿١٨٢﴾
 وصاحبه وأخيه ﴿١٨٣﴾ وفصيلته التي أتت ثوبه ﴿١٨٤﴾ ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه ﴿١٨٥﴾
 كلاً إنَّها لظلى ﴿١٨٦﴾ نزاعة للشوى ﴿١٨٧﴾ تدعوا من أدبر وتولى ﴿١٨٨﴾ وجمع فأوعى ﴿١٨٩﴾
 ﴿المعارج: ١٨٩﴾ ، وقال عز وجل: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة
 إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى إنما تنذر الذين يخشون ربهم
 بالغيب وأقاموا الصلوة ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير ﴿١٩٠﴾
 وما يستوى الأعمى والبصير ﴿١٩١﴾ ولا الظلمات ولا النور ﴿١٩٢﴾﴾ [فاطر: ١٨١-١٩٢] ، ﴿
 ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا
 ساء ما يزرون ﴿١٩٣﴾﴾ [النحل: ١٩٣] ، ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا
 سبيلنا ولنحمل خطيبتكم وما هم بحملين من خطيبتهم من شيء إنهم
 لكذبون ﴿١٩٤﴾ وليحمل أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة
 عما كانوا يفترون ﴿١٩٥﴾﴾ [العنكبوت: ١٩٤، ١٩٥] ، قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: ((إنه يكون للوالدين على ولدهما دين ، فإذا كان يوم القيامة
 يتعلقان به ، فيقول : أنا ولدكما ، فيؤذنان - أو يتمنئان - لو كان أكثر من
 ذلك)). وقال عكرمة : يلقي الرجل زوجته فيقول لها: أي بعل كنت لك ؟
 فتقول : نعم البعل كنت ، وتثني بخير ما استطاعت ، فيقول لها : فيإني
 أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهبها لي لعلني أنجو مما ترين ، فتقول له :

ما أيسر ما طلبت ولكن لا أطيق أن أعطيك شيئاً أتخوف مثل الذي تخاف ، قال : وإن الرجل ليلقى ابنه فيعلق به فيقول: أي والد كنت لك؟ فيثني بخير ، فيقول له: يا بني إني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعلي أنجو بها مما ترى ، فيقول ولده : يا أبت ما أيسر ما طلبت ولكني أتخوف مثل الذي تتخوف فلا أستطيع أن أعطيك شيئاً ، وقال صلى الله عليه وسلم : ((من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)) . وللموضوع بقية إن شاء الله تعالى .

بقية عن الجزاء والحساب / 6

1420/ 6/ 14 هـ

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

أما بعد : فإن الناس قد أخذتهم الدهشة والعجب مما وصلوا إليه مما علمهم الله إِيَّاه وسحَّره لهم عز وجل من تقنيات حديثة مَكَّنَتْهُمْ من تخزين المعلومات وتبادلها واسترجاعها واستخراجها ومعالجتها عبر آلات مصنوعة من مخلوقات الله التي أودعها في هذه الأرض ، ووجه الاستغراب يأتيهم من ناحية استخراج النتائج والبيانات ومعالجة المعلومات بعد إدخالها والتعرف على المعلومات على بعد آلاف الكيلومترات ، ولم يعلموا أنه بالإمكان التزوير في تلك المعلومات والبهتان والكذب والتدليس والحذف والنقص

والزيادة وشَتَّى المغالطات الممكنة ، ويتفكر الناس في تلك الأجهزة ويعطونها هالةً من عدم الخطأ ، بل هي في نظرهم أعلى من ذلك ، مع أنهم هم الذين يودعون فيها تلك المعلومات المشتملة على المعلومات الخاطئة والصحيحة والمدلّسة والمزوّرة والمحدوفة لمن أراد الحذف أو الزيادة والنقصان . وكم يحصل من هذا على علم وعلى غير علم من المسؤولين ، لأن بعض الذين يعملون في تلك الحاسبات من ضعاف النفوس يفقدون الأمانة فيُدخلون بيانات ومعلومات لمن أرادوا ترشيحه وتوظيفه أو نجاحه في مسابقة أو شهادة أياً كانت أو نقله كما هو الحاصل في الحركة السنوية لنقل المعلمين والمعلمات لأن الذين يطلبون ذلك عشرات الآلاف من الجنسين ، وفي المقابل يُتعدّون من أرادوا لإحلال غيره مكانه ممن يريدون ، وهذا هو عين الخيانة والتزوير والغش والتدليس والكذب الذي يغفل عنه كثير من الناس اليوم لحدثة هذه الأجهزة في استعمالاتها وعدم وجود الرقابة والمتابعة والمطابقة من قبل المسؤولين في أي جهة كانت لما يُكتب باليد أو ما يُودع في أجهزة الحاسب ، ولغفلة الناس وثقتهم المفرطة بهذه الأجهزة ظناً منهم أن الأوراق تَدْخُلُهَا كما هي ، وبعد ذلك يتم الفرز ، ولم يعلموا الحقيقة الغائبة عن الأذهان مع عدم المراقبة والمتابعة التي سوف تزداد عواقبها الوخيمة وأثرها السيئ على الناس وسوءات فاعليها مع مرور الأيام ، وأمام هذه المعلومات البسيطة فيما يدور في عالم اليوم ودهشتهم واستغرابهم من هذه الأجهزة ومعالجة المعلومات بعد إدخالها لم يتفكر المسلمون في الكرام الكاتبين الذين يُحْصُونَ عليهم ويكتبون كلَّ صغيرة وكبيرة وأنه لا يمكن فيها النقص والزيادة بقليل أو كثير حتى الممات إلا ما كان من زيادةٍ في العمل الصالح الذي لا ينقطع بل يجري ويستمرُّ ثوابه لابن آدم بعد موته، وبذلك ورد الدليل على استمرار الأجر

والحسنة للشخص إلى يوم القيامة كما ورد في الشهيد ، والذي ينفق ماله في سبيل الله ، والثلاث الواردة في الحديث عندما ينقطع عمل الميت إلا منها ، وكذلك أجر الدعوة للهدى ، وفي المقابل استمرار السيئات وأوزار الدعوة إلى الضلال ، ويكون أيضاً المَحْوُ والحَذْفُ لرب العالمين الذي ستر على ابن آدم ذنوبه ويمحوها عنه بِمَنِّهِ وكرمه ورحمته عز وجل . قال تعالى : ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ مَا يُرِيدُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد: ٣٩] . ولا وجه للمشابهة والمقارنة بين آلات البشر وإحصاءاتهم في الأجهزة وبالأيدي مما يدخلونه هم فيها وبين ما يستنسخه الكرام الكاتبون من أعمال بني آدم والدقة في ذلك ، وإنما هو التقريب لأذهانهم لكي يعلموا الدقة في مثاقيل الدر وسرعة الحساب يوم القيامة ، تعالى الله علواً كبيراً عما يعمله البشر أو يتفوهون به أو يتخيلونه أو يتصورونه بل هو أعلى من ذلك وأجل سبحانه وتعالى كما قال عز وجل عن نفسه : ﴿ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦] . ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [آل عمران: ١٠١] ، المائدة: 4 ، إبراهيم: 51 ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١٧] ، في ذلك اليوم العظيم يعلم البشر حقارتهم وضآلة ما وصلوا إليه وما به يفتخرون ويتشددون وبأنوفهم يشمخون ولأعناقهم يلوون . فليتق الله المسلمون ويحاسبوا أنفسهم قبل يوم الحساب يوم تنشر الصحف وتوزن الأعمال ويُلزم كل إنسان بعمله ويُؤتى كتابه إما باليمين أو الشمال أو من وراء الظهر بالشمال أيضاً ويرى سبيله إما إلى الجنة أو إلى النار ، على كل مسلم أن يستعد ليوم المعاد الذي سوف يُسأل فيه ويُنبأ بما قدّم وأخّر ، ولن تنفعه المعاذير والكذب والبهتان الذي كان يفعله مع الخلق في الحياة الدنيا ، كل ما عمله سوف يجده يوم القيامة في كتاب يلقاه منشوراً . قال تعالى : ﴿

وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْسِنَهُ طَبِيرُهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْشُورًا ﴿١٢﴾ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٣﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤] ، ﴿ يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَ قَدَمٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾ [القيامة: ١٣-١٥] . عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال : عن عمره فيما أفناه ؟ وعن شبابه فيما أبلاه ؟ وفي رواية . عن جسمه فيما أبلاه ؟ . وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ؟ وعن علمه ماذا عمل به ؟)) رواه البزار والطبراني . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لو أن رجلاً يخرّ على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرماً في مرضاة الله عز وجل لحقره يوم القيامة)) الطبراني وأحمد . وفي آخر الرواية الأخرى: ((ولَوْدَّ أَنَّهُ رُدِّ إِلَى الدُّنْيَا كَيْمَا يَزِدَادَ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ)) رواه أحمد . فالحسنات التي هي سبب لدخول الجنات وإنقاذ من النيران بفضل الله ورحمته هي ثروة الإنسان ورأس ماله ، فإذا كانت عليه مظالم للعباد فإنهم يأخذون من حسناته بقدر المظالم والغيبة والنميمة والبهتان وغيرها ، وإن لم يكن له حسنات أو فَنِيَتْ حسناته فإنه يُؤْخَذُ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ وَتُطْرَحُ عَلَيْهِ مَعَ سَيِّئَاتِهِ وَيُطْرَحُ فِي النَّارِ . نعوذ بالله من ذلك ، فعلى المسلم أن يستغلَّ حياته وَيَتَحَلَّلَ مِنْ مَظَالِمِ الْعِبَادِ فِي أَيِّ شَيْءٍ كَانَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي زَمَنِ الْمَهْلَةِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ الْمَوْتُ وَيَصْبِحَ مُرْتَهَنًا بِعَمَلِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَيْثُ لَا يَوْجَدُ إِلَّا الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ . روى البخاري رحمه الله تعالى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلل منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل

عليه)). وفي صحيح مسلم رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((أتدرون من المفلس؟)) قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : ((إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فَيُعْطَى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه فطرح في النار)). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من مات وعليه دينار أو درهم قضى من حسناته ، وليس ثم دينار ولا درهم)) . وفي صحيح مسلم رحمه الله من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة)) . وتكون البَدْءَةُ يوم القيامة بالقصاص والحساب في الدماء وفيما بين العباد من المظالم والحقوق الأخرى ، أما عمل الإنسان المسلم في عباداته فأول ما يُبدأ فيه بالسؤال عن الصلاة من حيث أعماله هو ، ولا تعارض بين الأحاديث فهذا في محاسبة العبد على أعماله الصالحة وعباداته مثل الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها مما يتعلق به وعبادته الخاصة به فأول ما يبدأ فيها بالصلاة ، أما في تعامل الإنسان مع الآخرين وحقوقهم وظلمهم ولكسب السيئات عموماً فأول ما يُقضى فيه هو في الدماء ، والنصوص واضحة جلية ولكن الأفهام السقيمة لا تفهمها ولا تستوعب المراد منها ، روى البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء)) ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ،

فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر ، فإن انتقص من فريضته شيئاً ، قال الرب تبارك وتعالى : انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل به ما انتقص من الفريضة ، ثم يكون سائر عمله على ذلك)) . فهذا محمول على ما يتعلّق بالعبادة الخاصة بالمسلم ، والحديث الأول على ما يتعلق بمعاملات الخلق فيما بينهم ، وقد جمع النسائي رحمه الله بين الخبرين في روايته من حديث عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه ، ولفظه : ((أول ما يُحاسب العبد عليه صلاته ، وأول ما يُقضى بين الناس في الدماء)). وبهذا يزول اللبس والإشكال المحتمل عند بعض الناس مع أنه واضح للعيان والله الحمد والمنة . فعلى المسلم أن يتخلص من المظالم ومن الغدر والخيانة ويخفف عن نفسه الأثقال لأن العقبة كَأَدَأءُ لا يستطيع صعودها ، ولنستمع إلى بعض ما ورد عن نبينا وحبينا ورسولنا محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم . قال صلى الله عليه وسلم : ((إن أمامكم عقبة كَثُوداً لا يجوزها المثقلون)). وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يُرفع لكل غادرٍ لواءٌ ، فيقال : هذه غَدْرَةُ فلان ابن فلان)). رواه البخاري ومسلم . وقال صلى الله عليه وسلم : ((لكل غادر لواء عند استتِه يوم القيامة)). رواه مسلم ، وأيضاً في صحيح مسلم رحمه الله من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره ، ألا ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامة)). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول وعظّمه وعظّم أمره، ثم قال : ((لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة وعلى رقبته بعير له رغاء ، يقول : يا رسول الله أغثنِي ، فأقول : لا أملك لك شيئاً قد

أبلغتكم . ولا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة وعلى رقبته فرس له حمحة ، فيقول : يا رسول الله أغثنى ، فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتكم . لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء ، فيقول : يا رسول الله أغثنى ، فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتكم ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة وعلى رقبته نفس لها صياح ، فيقول : يا رسول الله أغثنى ، فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتكم . لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة وعلى رأسه رقاع تخفق .. لا ألفين أحدكم ... على رقبته صامت . أي الذهب والفضة .)) . قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَلَّ مَنِ يَعْلَلٌ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٥٦] . وقال صلى الله عليه وسلم : ((من ولي من أمور المسلمين شيئاً فاحتجب دون خلتهم وحاجتهم وفقهرهم وفاقنتهم ، احتجب الله عنه يوم القيامة دون خلته وحاجته وفاقنته وفقره)) . والخلة ، هي الحاجة ، والفاقة : الفقر ، وهذه من المترادفات في المعنى . وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((إن الله يديني المؤمن فيضع عليه كفه ويستره ، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول : نعم أي رب ، حتى إذا قرره بذنوبه ، ورأى في نفسه أنه هلك ، قال سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى كتاب حسناته ، وأما الكافرون والمنافقون فيقول الأشهاد: ﴿ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ٥٨] .

الحساب / 6 الجسر والورود على النار

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمدده سبحانه وأشكره وأثني عليه الخير كله وأشهد أن لا إله إلا

الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله .

أما بعد : فإن جهنم سوداء مظلمة كما ورد بذلك الخبر عن سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم ، وما دون النار ظلام دامس ، والجسر مضروب على متن جهنم يمشي عليه المؤمنون على قدر أعمالهم حتى يجتازوه ويدخلوا الجنة ، منهم من يمر كالبرق وكمّر الطير وكأجاويد الخيل وكأشد الرجال جرياً ، ومن يزحزح عن النار فهو من الفائزين حقاً. وشعار الأنبياء والرسل والمؤمنين رب سلّم سلّم لكيلا تزل قدم مؤمن فيقع في نار جهنم ، ويعطى المؤمن نوراً ويدعو الله عز وجل بأن يُنمّ عليه ذلك النور لكي يرى الجسر في الظلام ويمر عليه وينجيه من نار جهنم ، والمنافقون يطفأ نورهم ويقولون للمؤمنين انتظرونا نقتبس من نوركم حتى ننجو ، وألم نكن معكم نصلي ونصوم ونزكي ونحج ، ولكن لا فائدة من هذا الاحتجاج ، أما الكافرون فيوردون إلى النار وروداً ويلقون فيها وفي دركاتهما المختلفة حسب أعمالهم ومنازلهم فيها . ولنستمع إلى الآيات والأحاديث التالية ففيها الذكرى والموعظة . قال تعالى : ﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَن زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٧٥] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزَى اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحریم: ١١] . وقال عز وجل : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتِ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٨﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٩﴾ فَأَلْيَوْمَ لَا يُؤَخِّدُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَّتُكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَانِكُمْ وَرَبُّسَ الْمَصِيرِ ﴿٢٠﴾ ﴿الحديد: ١٧-٢٠﴾ ، وقال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٢١﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٢٣﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٢٤﴾ ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾ [مريم: ٢١-٢٥] ، فورد المؤمن على الجسر المضروب على متن جهنم إنما هو تحلة للقسم وتكون عليهم برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم عليه السلام ، ولكي ينقى على قدر الذنوب من يقع فيها من كتب الله له الخروج منها، ورد عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم: ((إن الله تعالى يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سترأ منه على عباده ، وأما عند الصراط فإن الله تعالى يعطي كل مؤمن نوراً وكل منافق نوراً ، فإذا استوتوا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات ، فقال المنافقون : انظرونا نقتبس من نوركم، وقال المؤمنون : ربنا أتمم لنا نورنا فلا يذكر عند ذلك أحدٌ أحداً)). وفي آخر الحديث الطويل الذي رواه مسلم رحمه الله من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ((... فيمر أولكم كالبرق ، قال : قلت بأبي وأمي أي شيء كالبرق؟ قال : ألم تتروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفه عين؟ ثم كمر الطير وشد الرجال _ أي جريهم وسرعتهم فيه _ تجري بهم

أعمالهم ، ونبياكم قائم على الصراط يقول : ربّ سلّم سلّم حتى تعجز أعمال العباد ، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً ، قال : وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به ، فمخدوش ناج ، ومكدوش في النار . وفي رواية بالسّين مكدوس . ، والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعين خريفاً)) . وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنّها قالت : ذكرت النار فبكيت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ما بيك ؟)) قلت : ذكرت النار فبكيت ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : ((أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحدٌ أحداً : عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل ؟ وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم وراء ظهره ؟ وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم حتى يجوز)) . وفي رواية : ((عند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم حافناه كلاليب كثيرة وحسك كثيرة يحبس الله بها من يشاء من خلقه حتى يعلم أينجو أم لا ؟)) رواه أبو داود .

الجنة ونعيمها / 1

1407/6/15هـ

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جعل الجنة لعباده المؤمنين نزلاً ، ويسّرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها فلم يتخذوا سواها شغلاً ، وسهّل لهم طرقها فسلكوا السبيل الموصلة إليها ذللاً ، وجعل ميعاد دخولها يوم القدوم إليه ، وأودعها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا .

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هديُّ محمد صلى الله عليه وسلم ، وشَرُّ الأمور محدثاتها ، وكلَّ محدثة بدعةٌ .
أيها المؤمنون : إن الحديث عن الجنة شيقٌ ومحبَّبٌ إلى النفوس المؤمنة ، الجنة تلك الأمنية الغالية التي يسعى إليها الساعون من المؤمنين على مر العصور ، الجنة التي كانت في قلوب السلف الصالح شعلة تحركهم لضرب أعلى أمثلة البطولة في الجهاد والتضحية ، الجنة تلك الغاية الكريمة التي تَرْتُونَا إليها العيون الحاملة ، وتهفوا إليها الأرواح والنفوس المؤمنة في كل زمان ومكان يستعذبون العذاب من أجل الحصول عليها . إنها أعظم مرغوب عند المؤمن ومحبوب بعد محبة الله جل وعلا ومحبة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ودخولها والانتهاء إليها أمل يتراءى له في رحلة العمر التي تستغرق حياته كلها . وما أكثر ما كانت حافزاً إلى الخير والحق مهما كان في الطريق من المخاطر والعقبات والأشواك ، بل لو كان فيها الموت المحقق ، لقد كان هذا أيام النبي صلى الله عليه وسلم كما أخبر أنس رضي الله عنه قال : انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر ، وجاء المشركون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا يقدم من أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه)) . فدنا المشركون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض)) . قال عُمَيْرُ بن الحمام الأنصاري رضي الله عنه : يا رسول الله : جنة عرضها السماوات والأرض ؟ قال : ((نعم)) . قال : بخٍ بخٍ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ما يملك على قولك بخٍ بخٍ ؟)) قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها !! قال : ((فإنك من أهلها)) . فأخرج تمرات من قرْنِه ، فجعل يأكل منهن ، ثم قال : لئن حبيت حتى آكل تمراتي هذه إنها

لحياة طويلة!! فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قُتل رضي الله عنه .
فيا أيها المؤمنون : إن الجنة هي دار المتقين ، دار الذين .
أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، دار جناحها
تجري من تحتها الأنهار، دار قصورها لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، طينها
- وقيل ملاطها - المسك الأذفر - الجيّد غاية الجودة - وحصباؤها اللؤلؤ
والياقوت ، وتربتها الزعفران ، وخيامها اللؤلؤ المجوف ، هي نور يتلأأ ،
وريحانة تَهتز ، وفاكهة وخضرة ، فيها الزوجات الخيرات الحسان ، فيها العباد
المنعمون الذين يأكلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون بل يخرج ذلك
منهم مسكاً عندما يكون منهم جُشاء ، فيها المنعمون الذين يضحكون ولا
يبكون ، ويقىمون ولا يظعنون ، ويحيون ولا يموتون ، فيها الوجوه المسفرة
الضاحكة المستبشرة ، فيها الجمال المبين والحوار العين ، فيها النعيم الدائم ،
فيها المزيد حيث يُرفع الحجاب فينظر الفائزون إلى وجه العزيز الوهاب ، فيها
ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . نتناول الحديث
عن الجنة وسعتها وأبوابها وأنهارها وخدمها ومطاعمها ومشاربها وعن أهلها
وعن سائر ألوان النعيم فيها من القرآن العظيم ومن حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم . ورد عن عرضها وريحها قول الله عز وجل : ﴿ وَسَارِعُوا
إِلَىٰ مَعْرِفَةِٰ مِن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢] وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من قتل نفساً معاهدة
بغير حقها لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام)) . رواه ابن
حبان في صحيحه . وللجنة ثمانية أبواب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((من أنفق زوجين في سبيل الله من ماله
نودي من أبواب الجنة يا عبد الله : هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دُعِيَ

من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة)). فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ؛ ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال: ((نعم وأرجو أن تكون منهم)) . البخاري واللفظ له، ومسلم، رحمهما الله تعالى .

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((في الجنة ثمانية أبواب ، باب منها يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل غيرهم)). وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((ما منكم من أحد يتوضأ فيبالغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء)) هكذا وردت في الحديث مُوضَّحَةً الْعَدَدِ وَمُفَسَّرَةً للقرآن حيث وردت جملة في قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَأَدْخَلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٢]. وهذه الأبواب في غاية الوسع والكبر، وإن ما بين المصراعين مسيرة أربعين سنة ومع ذلك فسوف تكتظ وتزدحم بأفواج الداخلين إليها، وحلقت أبوابها من ياقوت أحمر ، وهي قائمة على صفائح من ذهب . وقد روى الإمام مسلم رحمه الله من حديث خالد بن عمير قال : خطبنا عتبة بن غزوان رضي الله عنه . إلى أن قال . ولقد ذُكِرَ لنا: ((أن مصراعين من مصاريع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام)) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((والذي

نفسى بيده إن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو هجر ومكة)) رواه البخاري ومسلم وابن ماجه مختصراً إلا أنه قال: ((أو كما بين مكة وبُصْرَى)). وقال صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن أهل الجنة: ((وينتهون إلى باب الجنة فإذا حلَّقَهُ من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب)). وعند باب الجنة شجرة عظيمة ينبع من أصلها عينان ، خُصِّصَتْ إحداهما لشراب الداخلين ، والثانية لتطهيرهم ، فإذا شربوا من الأولى جرت في وجوههم نضرة النعيم فلا يبأسون أبداً ، وإذا تَوَضَّعُوا من الثانية لم تشعث أشعارهم أبداً ، قال تعالى : ﴿ وَسَقَلْنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [الإنسان: ١٧]. وفي الحديث الطويل المروي عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه بأنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ((يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً)) ومما جاء فيه : ((وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عينان ، فإذا شربوا من أحدهما جرت في وجوههم بنضرة النعيم ، وإذا توضعوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم أبداً)). إلى آخر الحديث الذي رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي وغيرهما ودخول الجنة يكون زمراً ويتفاوتون في حسن هيئتهم وجمال وجوههم لتفاوت أعمالهم في الدنيا في كمياتها وكيفياتها ويكونون جرداً مرداً بيضاً مكحلين أبناء ثلاثٍ وثلاثين سنة ، الطول ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على أشد كوكب دريٍّ في السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يتفلون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة ، أزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء)). وفي آخر الرواية الثانية: ((لكل واحد منهم زوجتان يُرى مُخُّ سَوْقِيهِمَا من وراء

اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب [رجل] واحد ، يسبحون الله بكرة وعشياً)). رواه البخاري ومسلم واللفظ لهما والترمذي وابن ماجه، رحمهم الله جميعاً. وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يدخل أهل الجنة جرذاً مردأً بيضاً جعاداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين ، وهم على خلق آدم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع)) . رواه أحمد والطبراني والبيهقي وابن أبي الدنيا. ويُعطى الواحد منهم قوة مائة رجل في الجماع ، وأفندتهم في الرقة والخوف والهيبه مثل أفندة الطير ، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يدخل الجنة أقوام أفندتهم مثل أفندة الطير)) . وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ((يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع)) قيل : يا رسول الله أو يطيق ذلك ؟ قال : ((يعطى قوة مائة)) . وعن زيد ابن أرقم رضي الله عنه قال : جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ قال : ((نعم ، والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع)) إلى آخر الحديث الذي رواه أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم. وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يأكل أهل الجنة ويشربون ، ولا يمتخطون ، ولا يتغوطون ، ولا يبولون ، طعامهم ذلك جُشَاءً كريح المسك ، يُلهمون التسييح والتكبير كما تلهمون النَّفَسَ)) . رواه مسلم وأبو داود. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ، ولا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه ، في الجنة مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر)) . رواه مسلم .

وتستقبل الملائكة وفود الرحمن عند دخولهم إلى دار السلام ، إلى جنات النعيم ، وأول المستقبليين هو رضوان خازن الجنان ، ثم الملائكة الموكلون بنعيم الجنة وأهلها . قال تعالى : ﴿ وَتَلَقَّيْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] . ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٢] . وقال تعالى : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾ [سورة البقرة: ٣٢] ﴿ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَىٰ الدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٣ ، ٢٤] .

الجنة ونعيمها / 1

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، أحمده سبحانه وأشكره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فأورد بعض الأحاديث ولو أن إيرادها بكاملها أفضل وأكمل لأن الإطالة لا تناسب المقام، وعلى المسلم أن يراجع التفسير والأحاديث ليزداد شوقاً إلى الجنة، ولن يصل إليها إلا بعد بذل السبب بالأعمال الصالحة والتقرب بذلك إلى الله جل جلاله محبةً وطاعةً له وامتنالاً لأمره وأمر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ورغبةً فيما عنده سبحانه ومحمده، ومع بذل المسلم السبب وحبه لله ورسوله وخشيته وخوفه من الله ومن أليم عقابه ورجائه وطمعه في ثوابه فلن يدخل الجنة إلا أن يتغمده الله برحمته ، وسوف

تكون خطبة أخرى بل خطب إن شاء الله لإكمال ما تبقى من هذا الإيجاز الذي لم يكن في الإمكان الابتعاد عنه نسأل الله القبول وحسن الخاتمة ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۗ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَلَهُمُ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۗ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ۗ ﴾ [الإنسان: ٢٢-٢٣] ، وفي الحديث الطويل الذي ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم عن آخر رجل يدخل الجنة فقال: ((حتى يمر الذي يعطى نوره على ظهر قدميه يجبو على وجهه ويديه ورجليه ، تخرد يد وتعلق يد ، وتخرد رجل وتعلق رجل ، وتصيب جوانبه النار ، فلا يزال كذلك حتى يخلص ، فإذا خلص وقف عليها فقال : الحمد لله الذي أعطاني ما لم يعط أحداً إذ نجاني منها بعد إذ رأيتها ، قال : فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل ، فيعود إليه ربح أهل الجنة وألوانهم ، فيرى ما في الجنة من خلل الباب ، فيقول: رب أدخلني الجنة ، فيقول له : أتسأل الجنة وقد نجيتك من النار؟ فيقول : رب اجعل بيني وبينها حجاباً لا أسمع حسيستها . أي بينه وبين النار . ، قال : فيدخل الجنة ويرى أو يرفع له منزل أمام ذلك كأن ما هو فيه إليه حلم ، فيقول : رب أعطني ذلك المنزل ، فيقول له : لعلك إن أعطيتك تسأل غيره ، فيقول : لا وعزتك لا أسألك غيره ، وأي منزل أحسن منه ، فيعطاه فينزله ، ويرى أمام ذلك منزلاً كأن ما هو فيه إليه حلم ، قال : رب أعطني ذلك المنزل ، فيقول الله تبارك وتعالى له: فلعلك إن أعطيتك تسأل غيره ، فيقول : لا وعزتك يا رب ، وأي منزل أحسن منه ؟ فيعطاه فينزله ثم يسكت ، فيقول الله جلّ ذكره : مالك لا تسأل ؟ فيقول : رب قد سألتك حتى استحيتك وأقسمت حتى استحيتك ، فيقول الله جلّ ذكره : ألم ترَضَ أن أعطيك مثل الدنيا منذ

خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة أضعافه، فيقول : أتَهزأ بي وأنت رب العزة ؟ فيضحك الرب تبارك وتعالى من قوله ، فيقول الرب جلّ ذكره : لا ولكني على ذلك قادر ، سلّ ، فيقول : ألحقني بالناس ، فيقول إلحق بالناس، فينطلق يرمل في الجنة ، حتى إذا دنا من الناس رُفِع له قصر من درة فيختر ساجداً ، فيقال له : ارفع رأسك مالك ؟ فيقول: رأيت ربي ، أو تراءى لي ربي، فيقال له ارفع رأسك إنما هو منزل من منازلك ، ثم يلقي رجلاً فيتهيأ للسجود له ، فيقال له: مه ؟ فيقول : رأيت أنك ملك من الملائكة ، فيقول له : إنما أنا خازن من خزانك ، وعبد من عبيدك تحت يديّ ألف قَهْرَمَانٍ على ما أنا عليه ، فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر، وهو درة مجوفة ، سقائفها وأبوابها وأغلقها ومفاتيحها منها ، تستقبله جوهرة خضراء مبطنة بجمراء ، فيها سبعون باباً ، كل باب يفضي إلى جوهرة خضراء مبطنة ، كل جوهرة تفضي إلى جوهرة على غير لون الأخرى ، في كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف ، أذناهن حوراء عيناء عليها سبعون حلة يُرى مُخُّ ساقها من وراء حللها ، كبدها مرآته ، وكبده مرآتها ، إذا أعرض عنها إعراضة ازدادت في عينه سبعين ضعفاً، فيقال له: أشرف فيشرفُ ، فيقال له : ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصرك ((. الحديث بطوله رواه ابن أبي الدنيا والطبراني والحاكم، وقال الحاكم : صحيح الإسناد وهو في مسلم بنحوه باختصار عنه. وقال صلى الله عليه وسلم : ((إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرّي الغابر في الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم)) قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ، قال : ((بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ((.رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى ، ومصداق ذلك من القرآن

الكريم قوله تعالى : ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو

الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿ [الحديد: ١٠] ﴾ وما أخفاه الله عنا من نعيم الجنة

شيء عظيم لا تدركه عقول البشر ولا تصل إلى كنهه أفهامهم وإنما هو
التقريب إلى أذهانهم عن بعض ما ألفوه واعتادوه ورأوه في الدنيا ، وإلا
فالمخفي عنهم أعظم كما قال تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن

قُرَّةٍ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ [السجدة: ١٧] ﴾ ، والباء هنا سببية أي

بسبب أعمالهم الصالحة كما وردت في عدة آيات من القرآن الكريم ، ولا
منافاة بينها وبين دخول الجنة برحمة الله وإنما هي الأسباب لدخول الجنة أو
العكس من ذلك في أسباب دخول النار ، وكما أسلفت في الخطبة السابقة
بأن الأسباب للدارين لا بد من بياهما إن شاء الله تعالى في خطب قادمة .

ورد في صحيح البخاري رحمه الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال
: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((قال الله عز وجل : أعددت لعبادي

الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فاقروا إن
شتمتم : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةٍ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

﴿ [السجدة: ١٧] ﴾ ورواه الإمام مسلم رحمه الله عن سهل بن سعد الساعدي

رضي الله عنه قال : شهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً
وصف فيه الجنة حتى انتهى ، ثم قال صلى الله عليه وسلم في آخر حديثه

((فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٦ ، ١٧] : وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ.

تكملة عن الجنة / 2

1407/ 6/ 29 هـ

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .
أما بعد : فلا زال الحديث عن الجنة متصلاً بسابقه نسأل الله أن يجعلنا من أهلها كما نسأله تعالى أن يجيرنا من النار إنه سميع مجيب وهو على كل شيء قدير وبالإجابة جدير . ولقد كان الكلام في الجمعة الماضية عن الجنة وأبوابها وقصورها وسعتها واستقبال أهل الجنة وتفاضلهم وصفتهم ، والآن أكمل إن شاء الله بعضاً مما تبقى فيما ورد عن نعيمها . فعن خيامها وغرفها: روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً ، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً)) . رواه البخاري ومسلم ، والترمذي إلا أنه قال: ((عرضها ستون ميلاً)) وهو رواية لهما، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها ،

وباطنها من ظاهرها)) فقال أبو مالك الأشعري : لمن هي يا رسول الله ؟ قال : ((لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات قائماً والناس نيام)) . رواه الطبراني والحاكم وقال : صحيح على شرطهما . ورواه أحمد وابن حبان في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري إلا أنه قال : ((أعدها الله لمن أطعم الطعام ، وأفشى السلام ، وصلى بالليل والناس نيام)) . وعن أنهار الجنة روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((الكوثر نهر في الجنة : حافته من ذهب ، ومجره على الدرِّ والياقوت ، تربته أطيب من المسك ، وماؤه أحلى من العسل ، وأبيض من الثلج)) . رواه ابن ماجة والترمذي ، وقال حديث حسن صحيح . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر ؟ قال : ((ذاك نهر أعطانيه الله . يعني في الجنة . أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل فيه طير أعناقها كأعناق الجُرِّ)) قال عمر : إن هذه لناعمة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أَكَلْتَهَا أَنْعَمُ مِنْهَا)) . حديث حسن رواه الترمذي . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۗ ﴾ [الكوثر: ٤٤] ، وقد ورد قول الله تعالى في سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن الأنهار الأربعة التي هي أصل كل أنهار الجنة بأنها أنهار الماء غير الآسن أي الماء الصافي الذي لا كدر فيه وغير متغير الرائحة ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه بل في غاية البياض والحلاوة والدسومة ، وأنهار من خمر لذة للشاربين أي ليست كريهة الطعم والرائحة كخمر الدنيا ولا تذهب بالعقل ولا تغيبه ، بل حسنة المنظر والطعم ، قال الله جل جلاله : ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ۗ ﴾ [الصافات: ٤٧] ، ﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ ۗ ﴾ [الواقعة: ١٦] ، ﴿ وَأَنْهَرُ مِنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ ﴾ [محمد: ١٥] : أي وهي في غاية الصفاء

وحسن اللون والطعم والريح ، قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد: ٤٥] . وعن شجر الجنة : قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام لا يقطعها)) . رواه البخاري ومسلم والترمذي . وعن البراء بن عازب رضي الله عنه في تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَذُلَّتْ فُطُوفُهَا تَذَلِيلًا ﴾ [الإنسان: ٤٤] قال : ((إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياماً وقعوداً ومضطجعين)) . رواه البيهقي وغيره موقوفاً بإسناد حسن ، وأهل الجنة يأكلون ويشربون ومع ذلك لا يتغوَّطون ولا يبولون ولا يمتخطون بل يكون طعامهم ذلك جشاء كريح المسك ولهم في الجنة ما يشتهون وما تتوق له وتتمناه أنفسهم . قال تعالى : ﴿ يَنْعِبَادُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [الذِّكْرِ: ١٧] . ﴿ أَلَمْ نَكُنْ مِنْكُمْ نَارًا وَآزْوَاجَكُمْ تَحْبُرُونَ ﴾ [الذِّكْرِ: ١٨] . ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الذِّكْرِ: ١٩] . ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الذِّكْرِ: ٢٠] . ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [الذِّكْرِ: ٢١] . ﴿ [الزخرف: ٤٨-٤٩] ، وقال سبحانه وحمده : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴾ [الذِّكْرِ: ٢٢] . ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأُرَائِكِ مُتَكِنُونَ ﴾ [الذِّكْرِ: ٢٣] . ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴾ [الذِّكْرِ: ٢٤] . ﴿ سَلَّمَ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴾ [يس: ٥٨-٥٩] ، وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يأكل أهل الجنة ويشربون ، ولا يمتخطون ، ولا يتغوَّطون ، ولا يبولون ، طعامهم ذلك جشاء كريح

المسك ، يُلهمون التسبيح والتكبير كما تُلهمون النَّفَسَ)). رواه مسلم وأبو داود. وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ ((قال : نعم ، والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع)). قال : فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس في الجنة أذى ، قال : ((تكون حاجة أحدهم رشحاً فيفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمربطنه)). رواه أحمد والنسائي ، ورواته محتج بهم في الصحيح . نعم إن الرجال والنساء من أهل الجنة يأكلون ويشربون ولكن شَتَّانَ بين نعيم الجنة الذي لا يَنْقُذ ولا ينقطع من فترة لأخرى وبين الحال الموجود في الدنيا ، والفرق شاسع بين فواكه الجنة ونعيمها الآخر من الأكل والشرب الذي يختلف في اللذة والطعم والوصف عن متاع الدنيا ، فلا يوجد في الدنيا إلا بعض الأسماء فقط من العنب والنخل والرمان والسدرِ المخضودِ المقطوعِ شوْكُهُ، والطلح المنضود الذي فُسِّرَ بالموز وغير ذلك من أنواع الفاكهة التي ذكرت جملة في عدة آيات من القرآن وتفصيلاً في بعضها ، ومن المشروبات الماء والعسل والخمر واللبن ، أضف إلى ذلك النعيم بالأكل والشرب منها والتلذذ بها من غير تعب ولا نصب ولا انقطاع ولا مِنَّةَ فيها بأنَّها تخرج من غير بول ولا غائط ولا نواتج أخرى وإخراج وإفراز من عرقٍ نتن الرائحة ولا صمغ ولا بصاق ولا مخاط بل رشح وعرق يخرج كأطيب وأفضل ریح مسك وجد عل وجه الأرض .

أيها المؤمنون : إذا كان الإخراج والإفراز مستقندر من الرجل في هذه الدنيا فإن ذلك أشدُّ استقذاراً منه في نساء أهل الدنيا اللائي هن أعظم فتنة على الرجال من أي فتنة أخرى ، فهن يحملن بين جنوبهن البول والغائط

ويتخلَّصنَ منه ومن دم الحيض والنفاس والعرق والمخاط والبصاق والصمغ بما خلقهن الله عليه ، ولا إرادة لهن في ذلك ، ومع ذلك بذاءة اللسان والمكر والخداع والكيد وغير ذلك مما نعلمه جميعاً ، وليس هذا خاصاً بمن دون الرجال بل الجميع مشتركون فيه ما عدا الحيض والنفاس أو ما يسمى بالدماء الطبيعية ، فالبول والغائط والمخاط والبصاق والصمغ والعرق موجود في الذكور والإناث من أهل الدنيا في المسلم والكافر في الكبير والصغير والغني والفقير والملك والمملوك والوزير والأمير والمأمور والصانع والتاجر والطبيب والمريض والعالم والجاهل ، وأوردت ذلك للتقريب بين الحياة مع نساء الدنيا وبين النعيم مع الحور العين في الجنة ، وأهمس في آذان الذين يسعون وراء الحرام وربما وقع أحدهم في دماء المرأة وظهر أثر البرص عليه بين الناس بسبب الشهوة العارمة لكليهما وقذارتهما ، فهل يفيق الغافلون ويتوبون إلى الله عز وجل ؟ فالله يقبل توبة التائبين ، وإنا لندرجوا لهم التوبة وللجميع الثبات على الإيمان حتى الممات . عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((لعدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ، ولقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ أَوْ مَوْضِعُ قَيْدِهِ . يعني سوطه . من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض ملأت ما بينهما رجماً ، ولأضاءت ما بينهما ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها)). رواه البخاري ومسلم ، والطبراني مختصراً بإسناد جيد إلا أنه قال : ((ولتاجها على رأسها خير من الدنيا وما فيها)) .التصيفُ : الخمار .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والتي تليها على أضوا كوكبٍ دريٍّ في السماء ، ولكل امرئٍ منهم زوجتان اثنتان يُرى مُخُّ سَوْقِيهِمَا من وراء

اللحم ، وما في الجنة أعزب)) . رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى ، وورد عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : قلت يا رسول الله : أخبرني عن قول الله عز وجل : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ قال : ((حور : بيض ، عين : ضخام ، شُفْرُ الحوراء بمنزلة جناح النسر)) والمراد بالشفر : جفن العين ، قلت يا رسول الله : فأخبرني عن قول الله عز وجل : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ . قال : ((صفاؤهن كصفاء الدر الذي في الأصداف الذي لا تمسه الأيدي)) قلت يا رسول الله : فأخبرني عن قول الله عز وجل : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ ؟ قال : ((خيرات الأخلاق حسان الوجوه)) قلت يا رسول الله : فأخبرني عن قول الله عز وجل : ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ ؟ قال : ((رقتهن كرقعة الجلد الذي في داخل البيضة مما يلي القشر)) . قلت يا رسول الله : فأخبرني عن قول الله عز وجل : ﴿ عُرْبًا أترَابًا ﴾ ؟ قال : ((هن اللواتي قُبِضْنَ في دار الدنيا عجائز رُصِصًا شَمِطًا خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى ، عرباً متعشقات متحبيبات ، أتراباً على ميلاد واحد)) . قلت يا رسول الله : أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين ؟ قال : ((نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة)) قلت يا رسول الله : وَبِمَ ذاك ؟ قال : ((بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله عز وجل ، ألبس الله عز وجل وجوههن النور ، وأجسادهن الحرير ، بيض الألوان ، خضر الثياب ، صفر الحلبي ، مجامرهن الدر ، وأمشاطهن الذهب ، يَقْلُنَ : ألا نحن الخالدات فلا نموت أبداً ، ألا ونحن الناعمات فلا تَبْأَسُ أبداً ، ألا ونحن المقيمات فلا نَظَعُنُ أبداً ، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً ، طوبى لمن كنا له وكان لنا)) قلت يا رسول الله : المرأة منا تتزوج الزوجين والثلاثة والأربعة في الدنيا ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها منهم ؟ قال : ((يا أم سلمة إنها تُخَيَّرُ فتختار

أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا ، فتقول : أي رب إن هذا كان أحسنهم معي خلقاً في دار الدنيا فَرَوِّجْنِيهِ ، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة)). رواه الطبراني في الكبير والأوسط. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات سمعها أحد قط ، إن مما يغنين به ، نحن الخيرات الحسان ، أزواج قوم كرام ، ينظرون بِقَرَّةٍ أَعْيَان ، وإن مما يغنين به ، نحن الخالدات فلا تُمْتَنَّهُ ، نحن الآمنات فلا نَحْفُنَّهُ ، نحن المقيمات فلا نَظْعَنَّهُ)). رواه الطبراني في الصغير والأوسط ، ورواهما رواية الصحيح .

وورد في عدد من المؤمن الواحد عدة روايات ، منها : له زوجتان ، ومنها : اثنتان وسبعون ، وأربع وسبعون ، ومائة عذراء ، ولا منافاة في ذلك ولا غرابة فبذلك وردت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرواية الزوجتين كما ورد في الحديث السابق ذكره ، ومن روايات المائة ما ورد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قيل يا رسول الله : هل نصل إلى نساءنا في الجنة ؟ فقال : ((إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء)) . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع)) قيل يا رسول الله أو يطيق ذلك ؟ قال : ((يعطى قوة مائة)) . وقد يكون ذلك حسب تفاوت الدرجات بين أهل الجنة ، وقد تكون الزوجة أو الزوجتان من نساء الدنيا والبقية من الحور العين في الجنة ، والله أعلم بذلك ، فعلينا الإيمان والتصديق في هذا وفي غيره من أمور الغيب لأن عقولنا وأفهامنا وإدراكنا أقل من ذلك وأعجز مما نتصوره ونتخيله ، فالإيمان والتصديق واجب بكل ما ورد في القرآن الكريم وفي صحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والحق الذي لا مَرِيَّةَ فيه ولا شَكَّ عند أي

مؤمن أن الجنة كما ذكر الله عنها وذكر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

نعيم الجنة / 2

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي جعل جنات الفردوس نزلاً لعباده المؤمنين ونوع لهم الأعمال الصالحة ليتخذوا منها إلى تلك الجنات سبلاً وأسباباً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، أحمده جل وعلا وأشكره ، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً .

أما بعد : ففي الجنة النعيم المقيم والخير العميم والفضل من الله الرحمن الرحيم، فيها الأسرّة المرتفعة التي توحى بالنظافة والطهارة ، والأكواب المصفوفة المهيأة للشراب والتي لا تحتاج إلى طلب أو إعداد ، والوسائد والحشايا للاتكاء في ارتياح ، والبسط والسجاجيد المبتوثة هنا وهناك للزينة والراحة سواء ، هذا وغيره مما ذُكر من النعيم والمناعم التي وردت في كتاب الله تعالى أو سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم مما يرى الناس لأسمائها أشباهاً في الأرض عندما تُذكرُ هذه الأشياء إنما هو لتقريبها لمدارك أهل الأرض ، أما حقيقتها وحقيقة المتاع بها فذلك موكول إلى الله العزيز الحكيم قيوم السماوات والأرض وإلى علمه جل جلاله وتعالى سلطانه فهو الذي أحاط بكل شيء علماً وهو الذي خلقها وخلق جميع الخلائق وأوجدها من العدم سبحانه وبحمده لا إله إلا هو اللطيف الخبير. عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهبُّ ريح الشمال ، فتحثو في وجوههم

وثياهم فيزدادون حسناً وجمالاً فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً ، فتقول لهم أهلهم : والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً ، فيقولون : وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً)). رواه مسلم رحمه الله. وأعظم كرامة في الجنة النظر إلى وجه الله العزيز الكريم ذي العزة والجبروت ، عن صهيب ابن سنان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؛ قال : فَيُكشَفُ الحجابُ ، فما أعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾)). رواه مسلم والترمذي والنسائي ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن ناساً قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟)) قالوا : لا يا رسول الله ، قال : ((هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟)) قالوا : لا ، قال : ((فإنكم ترونه كذلك)) فذكر الحديث بطوله ، رواه البخاري ومسلم .

وَقَدْ فَسَّرَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ بالنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى ، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن أفضل أهل الجنة منزلة من ينظر إلى وجه الله تعالى كل يوم مرتين)). رواه ابن الدنيا مختصراً ، وقد قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الله عز وجل : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٦٧﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ عند قال عليه الصلاة والسلام : ((وأكرم أهل الجنة على الله من ينظر إلى وجه الله عز وجل غدوة وعشية)). رواه أحمد والترمذي . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة

: يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ؟ فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً)). رواه البخاري ومسلم والترمذي رحمهم الله تعالى . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((قال الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرأوا إن شئتم : ((فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) [السجدة: ١٧]. رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه رحمهم الله تعالى .

فيا أيها المؤمنون : المسارعة المسارعة والمنافسة المنافسة والبدارَ البدارَ بالتقرب إلى الله عز وجل ومحبهته تعالى واتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فيما أمر به والابتعاد عما نهى عنه وزجر ، والخوفَ الخوفَ من الله تعالى ومن أليم عقابه، والرجاءَ الرجاءَ في الله سبحانه وتعالى وما عنده من الأجر العظيم والثواب الكبير والمغفرة والرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء ، نسأل الله أن يدخلنا فيها ، كما أن علينا ألا نأمن مكر الله وغضبه . عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه جل وعلا أنه قال : ((وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين ، إذا خافني في الدنيا أمّنته يوم القيامة ، وإذا أمنني في الدنيا أخففته في الآخرة)). رواه ابن حبان في صحيحه . فعلينا الأخذ بالأسباب وهي الأعمال الصالحة والبعد عن كل ما يسخط الله عز وجل ومع ذلك نرجوا رحمة الله عز وجل لأن الأعمال الصالحة أسباب

لدخول الجنة التي لن يدخلها أحد بعمله ، أي مقابل العمل الصالح وثمناً لها وإنما هي الأسباب التي أُمِرنا بفعلها والأخذ بها ، وإلا فرحمة الله هي فوق ذلك ومُنْتَهى وكرمه على عباده ، فبَاءُ الْعِوَضِ غَيْرُ بَاءِ السَّبَبِ التي وردت في الآيات والأحاديث فليتنبه كل مسلم لهذا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله.

النَّار / 1

1406/ 7/25 هـ

الخطبة الأولى

الحمد لله القائل : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحریم: ٥١] ، أحمدته تعالى وأشكره وأثني عليه الخير كله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله قد حذر أمته من النار وأمرهم باتقائها ، فمما قاله : ((اتقوا النار ولو بشق تمرة أو بكلمة طيبة)) . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومتبعي هديه وسلم تسليماً .

أما بعد: فعلينا معشر المسلمين المؤمنين أن نتقي الله تعالى ونتقي النار التي أعدت للكافرين ، نتقيها بطاعة الله وطاعة رسوله بامتثال الأوامر واجتناب النواهي فإنه لا نجاة لنا من النار إلا بذلك بعد رحمة الله ورضاه ، وعلينا أن نتقي النار فإنها دار البوار والبؤس والشقاء والعذاب الشديد ، دار من لا يؤمن بالله واليوم الآخر ، ساكنوها شرار خلق الله من الشياطين وأتباعهم . قال الله تعالى : ﴿ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴾ [١٤٤] لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ١٤٤ ، ١٤٥] . دار فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف وغيرهم من طغاة الخلق وفجارهم ، طعام أهلها الزقوم وهو شجر خبيث مُرّ الطعم

والمذاق كريبه المنظر لا يسمن ولا يغني من جوع ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية: ((اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم ، فكيف بمن يكون طعامه ؟)). رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه إلا أنه قال : ((فكيف بمن ليس له طعام غيره)) ورواه الحاكم أيضاً إلا أنه قال فيه: فقال: ((والذي نفسي بيده لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الأرض لأفسدت . أو قال: لأمرت . على أهل الأرض معاشهم ، فكيف بمن يكون طعامه ؟)) وقال: صحيح الإسناد ، ذلك طعامهم إذا جاعوا ، فإذا أكلوا منه التهبت أكبادهم عطشاً ، فيستغيثون ويطلبون الماء فيأتيهم الماء البالغ نهاية الحرارة يشوي وجوههم حتى يتساقط عنها اللحم. قال تعالى: ﴿ وَإِنْ يَسْتَعِثُّوْا يُعَاثُوْا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوْهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ١٨]. فإذا شربوه على كُزّه وضرورة وهو كالمهل أي كالنوع السائل من القطران عندها تتقطع أمعاؤهم وتغلي منه بطونهم وتمزق جلودهم ، فهو كالمهل المتخلف بعد القطران في حرارته وكالصيد والقيح في ننتبه ورائحته وخبثه ، يضطر شاربه إلى شرابه اضطراراً ، قال الله جل جلاله في وصف ذلك الماء والشراب وحال المعذب به في نار جهنم :

﴿ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ۖ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ۗ ﴾ [إبراهيم: ١٧] ، وقال تعالى : ﴿ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۖ كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ ۗ ﴾ [الدخان: ٤٤] ، [٤٥] .

أما لباس أهل النار فلباس الشر والعار ، قطعت لهم ثياب من نار ﴿ سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ وَتَغَشَّىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴾ [إبراهيم: ٤٤] . فلا يقيهم هذا

اللباس حرّ جهنم وإنما يزيد لها اشتعالاً وحرارة ، ولا يستطيعون أن يقوا به وهج النار وحرّها عن وجوههم بل يأتيهم كذلك الماء البالغ نهايته في الحرارة الشديدة ويصب من فوق رؤوسهم ليصهر ويذيب ما في بطونهم والجلود ، قال الله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٦﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿١٧﴾ وَلَهُمْ مَقْلَعٌ مِّنْ حَدِيدٍ ﴿١٨﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٩﴾﴾ [الحج: ١٦- ١٩].

أيها المؤمنون: إن الحديث عن دار البوار والخسران المبين ليس كالحديث عن دار النعيم الأبدي عن دار الأبرار ، لأن النفس تنبسط وتفرح وتنشرح عند سماع النعيم وترتاح له وتلذ وتطلع إليه ، أما عند سماع الشقاء فإنها تقشعر وترتاع منه وترهبه وتخافه .

وإن آيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وافية الشرح والبيان حول ذلك وغيره ، فيجدر بكل مؤمن أن يتأمل ويتمعن ويتدبر كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليعيش بين الخوف والرجاء ومحبة الله جل جلاله والطمع في رحمته سبحانه ، يخاف عقاب الله ويرجو رحمته ، يخاف من النار ويطمع في الجنة . نسأل الله الجنة ونعوذ به من النار . وأستعرض بعض الآيات والأحاديث الواردة بقصد الذكرى والاعتاظ فإن الذكرى تنفع المؤمنين . فدار البوار ذات دركات ، كل دركة تحت الأخرى حتى نهايتها وهي سبع تتفاوت في شدتها وعذابها ، أخفها عذاباً أعلاها ، وأشدّها عذاباً أسفلها ، ولكل دركة إسمها الخاص ، وبإها الخاص ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٧﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحجر: ١٧، ١٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي

الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴿ [النساء: ٧٤] ، وقد وردت أسماء دركات دار البوار في القرآن الكريم مفرقة في عدة سور فأسمائها : نار جهنم ، لظى ، الحطمة ، السعير ، سقر ، الجحيم ، الهاوية . اللهم أجرتنا منها واصرف عنا عذابها. ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿ [٧٤] إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿ [الفرقان: ١٦] ، [١٧] ، يؤتى بأهل النار يساقون إليها أفواجاً متتابعة فوجاً بعد آخر وزمراً متداركة زمرة بعد أخرى وقد برزت لهم كما قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴿ [الزمر: ١٦] ، وما إن تراهم من مكان بعيد إلا سمعوا لها تغيظاً وزفيراً كما قال تعالى: ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿ [الفرق: ١٦] ،

﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَبَسَ الْمَصِيرُ ﴿ [١٦] إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ﴿ [٧] تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿ [٨] قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿ [١] وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿ [١] فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿ [١] [الملك: ١٦] ، ثم يخرج منها عنق يَلْتَهُمْ من شاء الله أن يلتهمهم من أهل الموقف من الجبارين والمشركين ، وقد جاء هذا واضحاً في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: ((يخرج عنق من النار يوم القيامة ، له عينان تبصران ، وأذنان تسمعان ، ولسان ينطق يقول : إني وُكِّلْتُ بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر ، وبالمصورين)) .

وتساق تلك الزمر إلى جهنم حتى إذا وصلوها وجدوا أبوابها مغلقة ، ففتحت لهم ، ويدفعون إليها دفعاً كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿ [٢] هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ ﴿ [٢] أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿

﴿ ٥٥ ﴾ أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾
 ﴿الطور: ٥٥-٥٦﴾، ثم يُلقون منها في أماكن ضيقة وهم مقيدون في الأصفاد
 مكبلون بالسلاسل والأغلال كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا
 مُقْرَنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿٥٦﴾ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا
 ﴿٥٧﴾ [الفرقان: ٥٦] . وقال تعالى: ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ
 ﴿٥٨﴾ سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٩﴾ [إبراهيم: ٥٦، ٥٧]، وما إن
 تستقر تلك الجماعات الهالكة والزمر الخاسرة في جهنم بعد أن ألقوا فيها
 مهانين حقيرين ذليلين حتى ينزل بهم عذاب نفساني أليم مُهين ، ذلك هو
 عذاب التوبيخ والتفريع والتأنيب الذي يلقونه من ملائكة العذاب الموكلين
 بهم مثل قولهم: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٦٠﴾ [الملك: ٦٠] ، ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
 يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴿٦١﴾ [الزمر: ٦١] ، ﴿ هَذِهِ
 النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٦٣﴾ أَصْلَوْهَا
 فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٤﴾ [الطور: ٥٦-٥٧] ،
 ﴿ فَذُوقُوا فَلَئِن زِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٦٥﴾ [النبأ: ٦٥] ، كل هذا التوبيخ والتفريع
 والتأنيب جاء بيانه في كتاب الله عز وجل ، والذي ذُكِرَ هنا قليل من كثير
 فعلينا بتلاوة القرآن الكريم وتدبره وعدم اتخاذ سماعه وتلاوته طرباً لا يجاوز
 الحناجر ولا يصل إلى القلوب فما أنزل لهذا ؛ إنما أنزل للتدبر والتفكير
 والعمل والتطبيق ، قال تعالى : ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ
 وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٦٦﴾ [ص: ٦٦] ، وأما عن تلاوم أهلها فيكفينا
 أن نصغي إلى بعض الآيات القرآنية لنعرف عن ذلك شيئاً يسيراً . لقد أخبر
 عنهم عز وجل بقوله : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتٌ أُحْتُهَا حَتَّىٰ إِذَا آدَارَكُوا فِيهَا
 جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِنَاهُمْ لِيُؤْخِرُوا رُبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصْلُونَا فَنَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ

قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ وَقَالَتْ أُولَئِهِمْ لِأَخْرَجْنَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿١٩﴾ [الأعراف: ١٨، ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لَئِن كُنَّا نَدْرِكُكُمْ مِنَ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْلَالِ فِيهِ أَغْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ [سبأ: ٢٠-٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٤﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٥﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ ﴿٢٦﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٢٨﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٢٩﴾ [الصافات: ٢٣-٢٩].

عن النار / 1

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه أحمده تعالى وأشكره وأستغفره وأتوب إليه وأثني عليه الخير كله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً.

أما بعد : فإن من أغرب ما يُعرف عن أهل النار من أحوال في غاية العجب أن يخطب فيهم إبليس خطبة من أبلغ الخطب وأفصحها وأشدّها أثراً ووقعاً في نفوس سامعيها . فيزيدهم في كربهم وطول محزهم وشدة إبلاسهم وإفلاسهم ، وذلك لما يكسبهم خطابه من الندامة والحسرة القاتلة حيث كان

يغرهم ويخدعهم في الدنيا ثم يتخلى عنهم ويرد اللوم عليهم باستجابتهم له ، فعليهم أن يلوموا أنفسهم بسبب استجابة دعوته لهم ، ولنستمع إلى تلك الخطبة كما وردت في القرآن الكريم: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٢٤﴾ [إبراهيم: ١٢٤] . فأهل النار في عذاب مستمر لا يُفتر عنهم كلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلوداً غيرها حتى يحسوا ويدوقوا العذاب ، فيكون التبديل والعذاب في الجلد لأنه منطقة الإحساس بالألم والحرارة والبرودة وغيرها ، وهذه إحدى المعجزات لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم التي تدل على صدق رسالته وأنه لم يأت بشيء من عند نفسه مهما كان صغيراً ودقيقاً في أعين الناس فهو يخبر بأشياء لا يعلم ولا يعرف عنها أصلاً أي معلومات سابقة إلا بما أوحى الله إليه ، فالعلم بأن الجلد هو منطقة الإحساس بالألم لم يكتشف إلا في هذا العصر مع أن حقيقة الإخبار عنه موجودة في القرآن الكريم منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة ، قال تعالى: ﴿ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٥٦﴾ [الزخرف: ٥٦] ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥١﴾ [النساء: ٥١] ، ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابِ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ ﴿١٤﴾ [السجدة: ١٤] ، يُنوع عليهم العذاب فلا يستريحون فيقولون ﴿ لِنَحْزَنَ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّنَا يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿١١﴾ [غافر: ١١] ، فهم لا يطمعون في التخفيف الدائم ولا في الانقطاع ساعة من العذاب وإنما يسألون أن يخفف

عنهم يوماً واحداً من العذاب ، ولكن لا تجيبهم الملائكة إلا بالتوبيخ والتَّهْكُم تقول لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [غافر: ٤٤] ؛ أي بالأدلة الواضحات فيقولون ﴿بَلَىٰ﴾ [غافر: ٤٤] فتقول الملائكة: ﴿فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٤٥] فلن يستجاب لهم لأنهم لم يستجيبوا للرسول وأتباعهم حين دعواهم إلى الله وعبادته في الدنيا ، وحينئذ يتمنون الموت من شدة العذاب فيقولون: ﴿يَمْلِكُ﴾ [الزخرف: ٧٧] ، وهو خازن النار ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رِثْكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] . أي يطلبون أن يهلكهم ويميتهم فيقول لهم مالك ﴿إِنَّكُمْ مَلَائِكَةٌ﴾ [الزخرف: ٧٧] ويقال لهم ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٨] ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [ص: ٧٤] لا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رِثْكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَلَائِكَةٌ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٨﴾ [الزخرف: ٧٤-٧٨] ، ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٧٧] ، يتوجهون إلى رب العالمين ذي العظمة والجلال والعدل الفعال لما يريد فيقولون: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ [ص: ٧٦] رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿٧٧﴾ [المؤمنون: ٧٧] ، ﴿فَيَقُولُ لَهُمْ أَحْكُمَ الْحَاكِمِينَ: ﴿أَخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [ص: ٧٨] إِنَّهُمْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿٧٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿٨٠﴾ [المؤمنون: ٧٨-٨٠] .

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 ((إن أهون أهل النار عذاباً رجل في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما

يغلي المرجل بالقمقم)) .رواه البخاري ، ومسلم ولفظه : ((إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً)). وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((يؤتى بأهمل الدنيا من أهل النار فيصبغ في النار صبغة ، ثم يقال له : يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط ؟ هل مرّ بك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله يا رب ما مرّ بي نعيم قط ولم أر خيراً قط ، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة ، فيقال له : يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط ؟ هل مرّ بك من شدة قط ؟ فيقول : لا والله يا رب ما مرّ بي بؤس قط ، ولا رأيت شدة قط)).رواه مسلم.لنرى كيف نسي كل نعيم الدنيا الذي مرّ به حينما غُمس في النار غمسة واحدة فكيف به وهو مخلد فيها أبداً ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿١٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلْيَةً وَلَا نَصِيرًا ﴿١٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿١٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿١٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿١٨﴾ [الأحزاب: ١٤-١٨] .

أيها المسلمون: أكتفي بما أشرت إليه من أحوال أهل النار، وأستعرض في خطبة قادمة إن شاء الله تعالى ما أمكن من أوصافها وأوصاف أهلها وطعامهم . نسأل الله تعالى أن يجيرنا منها.

تكملة عن النار

أوصافها وأوصاف أهلها وطعامهم وشرابهم /2

1406/8/9هـ

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

أما بعد : فقد سبق الحديث عن بعض أحوال أهل النار ، وفي هذه الخطبة إن شاء الله تعالى أذكر ما أمكن من بعض أوصافها وأوصاف أهلها وطعامهم وشرابهم . نسأل الله تعالى أن يجيرنا منها ويجير جميع المؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات ، إِنَّ حَرَّ نارِ جهنم لَشِدَّتِهِ يَصْهَرُ كل ما يُلقى فيه ، وإن الاستعار والتأجج في جهنم يزداد باستمرار، قال الله تعالى: ﴿ مَا أُولَئِهِمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء: ٤٧] . وإلتام الفائدة أورد الآية من أولها ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِمْ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَا أُولَئِهِمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء: ٤٧] ، وقال تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ [النجم: ٥٥] ، وقال تعالى: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ [المؤمنون: ٤٤] . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ناركم هذه التي يوقد بنو آدم جزءً من سبعين جزءاً من حر جهنم)) قالوا : والله إن كانت لكافية يا رسول الله قال: ((إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها)) . وأما لونها فهو أشد سواداً من القار . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أترونها . نار جهنم . حمراء

كناركم هذه ؟ هي أسود من القار)). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء كالليل المظلم)). وفي رواية ((فهي سوداء مظلمة لا يضيئ لها)). رواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي ، وفي صحيح مسلم رحمه الله من رواية أبي هريرة رضي الله عنه عن عمقها وبعد قعرها أنه قال: كنا مع الرسول صلى الله عليه وسلم إذ سمعنا وجبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أتدرون ما هذا ؟)) قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : ((هذا حجر أرسله الله في جهنم منذ سبعين خريفاً ، فالآن حين انتهى إلى قعرها)). والويل في قوله تعالى : ﴿ وَيَلُكِّمُ الْمُظْفِفِينَ ﴾ [المطففين: ١١] ، ﴿ وَيَلُكِّمُ لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [إبراهيم: ١٢]. ورد تفسيره بأنه وادٍ في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره . ولقد جاء بيان السلاسل والأغلال والكبول والأنكال جاء بيان ذلك في عدة سور من القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِّلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾ [الإنسان: ١٢] ، ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴾ [طعاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا] [المزمل: ١٣] ، وقال تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [١٤] إِذِ الْأَغْلَالُ فِي حَيْثُ أَغْنَقَتْهُمْ وَأَلْسَلُ يُسْحَبُونَ ﴾ [غافر: ١٥] ، وقوله تعالى : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوه ﴾ [١٦] ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلُّوه ﴾ [١٧] ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ [١٨] إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴾ [١٩] وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾ [٢٠] فَلَيْسَ لَهُ يَوْمَ هَلْهَنَا حَمِيمٌ ﴾ [٢١] وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غَسَلِينَ ﴾ [٢٢] لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ [٢٣] [الحاقة: ٢٤] ، ولقد فسر زيادة العذاب في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ [النحل: ٢٥] فُسِّرَتْ زيادة العذاب بأنها عقارب تلسعهم ، العقرب كالبعلة الموكفة ، وورد

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: ((إن في النار حيات كأمثال أعناق البخت تلسع إحداهن اللسعة فيجد حرَّها سبعين خريفاً، وإن في النار عقارب كأمثال البغال الموكفة تلسع إحداهن اللسعة فيجد حَمَوَّهَا أربعين سنة)) رواه أحمد والطبراني وابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال صحيح الإسناد. إن لأهل النار مطاعم كثيرة ومشارب، إذ الطعام والشراب من لوازم الحياة، وأهل النار أحياء فيها لا يموتون إذ لو ماتوا لاستراحوا من العناء والعذاب، ولكنهم لا يموتون كما قال تعالى: ﴿ كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ٢٤]. ويسألون الموت ويطلبونه ولكن لا يستجاب لهم، جاء طلبهم في القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَلَائِكَةٌ ﴾ [الزخرف: ٧٧]. وقد أخبر تعالى عن عدم موتهم بقوله: ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر: ٣٦]، ومن طعام أهل النار الزقوم وهو ثمرة يخرج من شجرة تنبت في أصل الجحيم، مذاقه مُرٌّ شديد المرارة، يغص به في الحلق فلا يسوغ ولا ينزل إلا بالماء الحميم، ومن خواصه أنه يغلي في البطن غليان الماء والمهل الذي هو أشد حرارة ومرارة وحنظلاً لها من الماء، قال تعالى: ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ ﴾ [١٧] إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٢٠﴾ فَإِنَّهُمْ لَأَكَلُونَ مِنْهَا فَمَا لُتُونِ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٢٢﴾ [الصفات: ١٧-٢٢] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ﴿١٧﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿١٨﴾ كَأَلْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿١٩﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٢٠﴾ [الدخان: ٤٣-٤٤] ومن طعامهم أيضاً: الغسلين وهو ما تجمع من عصارة أهل النار من قيح وصيد وعرق، وما يخرج من فروج الزناة وما يسيل من لعاب شاربي الخمر في الدنيا

والمغتائبين والكذابين وقائلي الباطل وشاهدي الزور . ورد ذكر الغسلين في قوله تعالى : ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴾ [٢٥] وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٢٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٢٧﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٧]، ومن طعامهم أيضاً: الضريع وهو شَوْكٌ مُرٌّ مُتَنَاهٍ ۖ فِي الْمَرَاةِ يَنْشَبُ فِي الْحَلْقِ يَسِيغُهُ الْآكِلُ بِالْحَمِيمِ فَهُوَ لَا يَسْمَنُ آكَلَهُ وَلَا يَغْنِيهِ مِنْ جُوعٍ ، قال تعالى : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿١﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴾ [الغاشية: ١، ٢] . ومن بعض مشارب أهل النار الحميم وهو ماء حار يجري من عين آنية ، بمعنى أن درجة حرارة الماء فيها قد انتهت إلى ما لا مزيد عليها أبداً، ومن خواص الحميم أنه يُصهر به ما في بطونهم والجلود ويقطع أمعاءهم . قال تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ عَائِنَةٍ ﴿٥﴾ ﴾ [الغاشية: ١-٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد: ٤١] ، ﴿ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿٦﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج: ١٧، ٢٠] . ومن شراهم كذلك ماء الصديد وهو ماءٌ كَدِرٌ يحوي كميات من الصديد يَعْصُ بِهِ شَارِبُهُ حَتَّى لَا يَكَادُ يَسِيغُهُ وَيَعَانِي مِنْهُ آلاماً لَا يَعْلَمُ مَدَاهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، قال عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١﴾ مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿٢﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿٣﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٥-١٧] . ومن الشراب أيضاً ماء شبيه بالمهل إذا أدناه أحدهم من فمه ليشربه شَوَتْ حرارته جلدة وجهه ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ يَسْتَعِثُّوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿١﴾ ﴾ [الكهف: ١٦] ، ومن الآيات التي تجمع بين الطعام والأكل من شجر الزقوم حتى تمتلئ بطونهم والشراب من الماء البالغ نهاية الحرارة الذي يشربون منه ولا يَزَوُّونَ بل يزيدهم عطشاً كالنِّبَاقِ العِطَاشِ التي

لا ترتوي أبداً لإصابتها بذلك المرض، ولذلك سُمِّيَتْ بِأَهْمِيمٍ ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿١٤١﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٤٢﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكذِّبُونَ ﴿١٤٣﴾ لَأَكَلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّن زُقُومٍ ﴿١٤٤﴾ فَمَا لَثُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿١٤٥﴾ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿١٤٦﴾ فَشَرِبُونَ شَرْبَ الْهَيْمِ ﴿١٤٧﴾ هَذَا نُزِّلَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٤٨﴾ [الواقعة: ١٤١-١٤٨] ، ومن شراهم أيضاً ماء من نهر الغوطة وهو ماء متجمع مما يسيل من فروج الزواني من النساء ، عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الخمر ، وقاطع الرحم ، وعاق والديه)) وفي رواية: . ومصدق بالسحر . ومن مات مدمن الخمر سقاه الله جل وعلا من نهر الغوطة)) قيل وما نهر الغوطة ؟ قال: ((نهر يجري من فروج المومسات يؤدي أهل النار ربحُ فروجهن)). . رواه أحمد وابن حبان في صحيحه ، والحاكم وقال صحيح الإسناد . وفي رواية أخرى بإسناد حسن لأحمد ، وصحيحة لابن حبان: ((كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال)) قيل يا رسول الله : وما طينة الخبال ؟ قال : ((صديد أهل النار)). أحمد ((عصارة أهل النار، عين يجري منها القيح والدم)) . ابن حبان ، وإنَّ تَفَاوُتَ الْعَذَابِ بَيْنَ أَهْلِ النَّارِ فِي دَارِ الْبَوَارِ ثَابِتٌ مَّقْطُوعٌ بِهِ ، وَهُوَ تَابِعٌ لَتَفَاوُتِ أَعْمَالِهِمْ وَمَا كَسَبُوا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنْ أَهْوَنَ أَهْلُ النَّارِ عَذَاباً أَبُو طَالِبٍ ، وَهُوَ مَنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْهِ مِنْهُمَا دِمَاغَهُ)) . رواه مسلم رحمه الله ، وَحُقِّفَ عَذَابُ أَبِي طَالِبٍ إِلَىٰ هَذِهِ الدَّرَجَةِ مِنْ أَجْلِ مَا قَدَّمَ مِنْ خِدْمَاتٍ لِلْإِسْلَامِ مِثْلَةَ فِي شَخْصِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَنْ النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنْ أَهْوَنَ أَهْلُ النَّارِ عَذَاباً رَجُلٌ فِي أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغَهُ كَمَا

يغلي المرجل بالقمقم)) . رواه البخاري ، ومسلم ، ولفظه: ((إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهوئهم عذاباً)) . وعن سمرة ابن جندب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم تأخذه النار إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته ، ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه ، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته)) . أيها المسلمون : مَنْ مِنَّا يستطيع أن يتحمل اللهب المتصاعد من عود الثقب من الكبريت ، بل من منا يستطيع أكثر من ذلك يعرض يده أو رجله أو أي جزء من جسمه لأفران البتوجاز أو المخابز أو أي نار أخرى أو يستطيع أن يسكب على جسمه ماءً حاراً من السَّحَّان أو ماءً مغلياً على النار، فإذا كنا لا نستطيع ذلك ولن نستطيع لأن أجسامنا لن تقوى على النار، فعلينا أن نعمل على إبعاد أنفسنا وأهلينا ومن وُلِّينَا أَمْرَهُ عن نار الآخرة كما قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُرْءَانُ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿١٠١﴾ [التحريم: ١٠١] .

عن النار / 2

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فالعويل والبكاء من لوازم معاناة المخاوف والآلام ومقاساة الشدائد والأهوال ، وأهل دار البوار وسكانها لا يرحون يتجرعون الغصص ويتذوقون مَرَّ العذاب ، حزنهم دائم ، وعذابهم لا ينقطع ولا يخف ، ومن هنا لا

يُستغرب منهم البكاء والعيول ، ولا يُستنكر عليهم الصياح والنواح فهم يتضاغون فيها ويصطرخون ، يدعون بالويل والحسرة والثبور . قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٢] ، أي هلاكاً حيث يدعون على أنفسهم بالهلاك فيقال لهم : ﴿ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢٤] وقال تعالى : ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ [فاطر: ٢٧] ، وقال تعالى : ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٤] ، فأما الَّذِينَ شَقُوا فِيهِ النَّارَ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿ خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود: ١٠٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتَ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴾ [الزمر: ٥١] ، ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلِيَّتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ ﴿ يَلِيَّتَنِي لِيَتَّخِذَ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ ﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٨] . عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((يا أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا ، فإن أهل النار يبيكون في النار حتى تسيل دموعهم في خدودهم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع ، فيسيل . يعني الدم . فيقرح العيون)) . ابن ماجة وأبو يعلى والحاكم . وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : إن أهل النار يدعون مالكا . أي خازن جهنم . فلا يجيبهم أربعين عاماً ثم يقول إنكم ماكنون ، ثم يدعون ربهم فيقولون : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا عُدْنَا فَإِنَّا

ظَلِمُونَ ﴿١٧﴾ [المؤمنون: ١٧] ، فلا يجيبهم مثل الدنيا ثم يقول ﴿أَحْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا ﴿١٨﴾﴾ [المؤمنون: ١٨] ، ثم ييأس القوم فما هو إلا الزفير والشهيق ، تشبه أصواتهم أصوات الحمير ، أولها شهيق وآخرها زفير ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءآيَتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَحْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا ﴿١٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوَكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿٢٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿٢١﴾ [المؤمنون: ١٧-٢١] ، وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٦﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٨﴾ وَنَادُوا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مِّنْكَثُوتٍ ﴿٧٩﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِن أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٨٠﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٨١﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٢﴾ [الزخرف: ٧٦-٨٢] ، وقال تعالى : ﴿ فَأَلْدِينِ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿٨١﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٨٢﴾ وَلَهُمْ مَقْلَعٌ مِّن حديدٍ ﴿٨٣﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٨٤﴾ [الحج: ٨١-٨٤] .

فيا أيها المسلمون : لتتذكر هذه الأيام بمناسبة الامتحانات الدنيوية للأولاد ذكورا وإناثاً ، لتتذكر كيف الإعداد والاهتمام من أجل امتحانات دنيوية ومن أجل الحصول على النجاح والفوز كيف يكون الاستعداد من قبل الآباء

والأمهات والأولاد ذكوراً وإناثاً؟ فما بالناس ولماذا لا نعد العدة في فترة الامتحان والاختبار الطويلة في زمن المهلة وهي عمر كل إنسان منا في هذه الحياة الدنيا سواء طال عمره أو قصر؟ وهي مدة كافية لأداء الامتحان من أجل الفوز بالجنة والنجاة من النار. فعلياً أن نغتنم الفرصة والمهلة التي أعطانا الله إياها في هذه الحياة الدنيا وعلينا أن نتبها ونفوق من غفلتنا ونتذكر ونمعن النظر ونتأمل ونحن نتلو كتاب الله أو تتلى علينا آياته، ولنتذكر الموت ويوم الجزاء والحساب ولنتذكر الجنة والنار، نقرأ الآيات المشتملة على النعيم الدائم في الجنة وأوصاف ذلك جملة وتفصيلاً فيما ورد في القرآن الكريم وفي أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك ما ورد عن النار في القرآن الكريم والسنة النبوية. علينا أن نتأمل ونتفكر ونتعظ ونفرق بين النعيم الدائم في الجنة وبين اللذة العاجلة في الحياة الدنيا، اللذة المحرمة التي يرى صاحبها أنه استمتع بها لدقائق ولحظات لا تطول وتعقبها ساعات الحسرة والندامة في الدنيا قبل الآخرة، وإلى أي مدى تستمر معه تلك النشوة والفرح بارتكاب ذلك المحرم، لو تدبر وتأمل ذلك المسكين حاله وأفاق من غفلته لأدرك الفرق الشاسع الذي لا مقارنة ولا تقارب معه بين هذا النتن والعفن وبين النعيم الأبدي السرمدي، ولو علم عواقب اتّباعه للشهوات وارتكاب المحرمات في الدنيا لو علم مصيره في الآخرة إن مات على ذلك ما هو العقاب الذي سيجرّه على نفسه لا يتعد وانزجر وكف نفسه عن إعطائها شهواتها وما تميل إليه وأجمها بزمام التقوى وحبسها عما يوردها المهالك وسجنها. خاصة عندما يزين له الشهوة شياطين الإنس والجن. في سجن لا أغلال فيه ولا آصار، بل هو تقرب إلى الحي القيوم بكف النفس عن المعاصي والآثام لنيل الرضا والفوز بالجنات والبعد عن

النيران ، يتذكر دائماً أن الحياة الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ويفعل الأسباب المنجية له من الهلاك والخسران طاعة لله ومحبة ويطمع في رحمة الله ويرجوها ويخاف من عقاب الله ويدعو الله تعالى بحسن الخاتمة والفوز بالجنة والنجاة من النار ﴿ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ ﴾ [الرعد: ٢٠] ، ﴿ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعٌ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] . أكتفي بما ذكر عن النار وإن كان لها أسباب لا بد من ذكرها في خطب لاحقة إن أمكن ذلك إن شاء الله تعالى وبإذنه عز وجل .

التخويف من النار

1405/2/16هـ

الخطبة الأولى

الحمد لله ذي العز المجيد والبطش الشديد ، المبديء المعيد ، الفعال لما يريد ، المنتقم ممن عصاه بالنار بعد الإنذار بها والوعيد ، المكرم لمن خافه واتقاه بدار لهم فيها من كل خير مزيد، فسبحان من قسم خلقه قسمين وجعلهم فريقين ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ [هود: ٦٤] ، ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦] . أحمدده سبحانه وأشكره ، ونعمه بالشكر تدوم وتزيد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الداعي إلى التوحيد ، المحذر للعصاة من نار تلظى بدوام الوعيد، المبشر للمؤمنين بدار لا ينفذ نعيمها ولا يبيد ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فإن الله خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه ويخشوه ويخافوه ، ونصب لهم الأدلة الدالة على عظمته وكبريائه ليهابوه ويخافوه خوف الإجلال ، ووصف لهم شدة عذابه ودار عقابه التي أعدها لمن عصاه ليتقوه بصالح الأعمال ، ولهذا كرر سبحانه وتعالى في كتابه ذكر النار وما أعده فيها لأعدائه من العذاب والنكال وما احتوت عليه من الزقوم والضريع والحميم والسلاسل

والأغلال وغير ذلك مما فيها من العظام والأحوال ، ودعا عباده بذلك إلى خشيته وتقواه ، والمسارة إلى امتثال ما يأمر به ويحبه و يرضاه واجتناب ما ينهى عنه ويكرهه ويأباه ، فعلينا أن نتأمل ونتدبر ما ورد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، وينبغي لنا أن نتعرف على سيرة السلف الصالح من أهل العلم والإيمان من الصحابة والتابعين ونتأمل علم أحوالهم وما كانوا عليه من الخوف والخشية والإخبات ، ونعلم أن ذلك هو الذي رقاهم إلى تلك الأحوال الشريفة والمقامات الرفيعة من شدة الاجتهاد في الطاعات والانكفاف عن دقائق الأعمال المكروهة فضلاً عن المحرمات ، ولهذا قال بعض السلف : خوف الله عز وجل حجب قلوب الخائفين عن زهرة الدنيا وعوارض الشبهات . قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿١٠١﴾ [التحريم:١٠١]. وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢] ، وقال تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿١٠٣﴾ [الليل:١٠٣] وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَنْعَبُدُونِ ﴿١٠٤﴾ [الزمر: ١٠٤].

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اتقوا النار)) قال وأشاح ثم قال ((اتقوا النار)) ثم أعرض وأشاح ثلاثاً حتى ظننا أنه ينظر إليها ثم قال: ((اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة)) .رواه البخاري ومسلم . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً ، فجعلت الدواب والفراس يَقَعْنَ فِيهَا فَأَنَا آخِذٌ بِجُحْرِكُمْ عَنِ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهَا)) .رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى . وعنه رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١٠٦﴾ [الشعراء:١٠٦] دعا رسول الله

صلى الله عليه وسلم قريشاً فاجتمعوا فعمَّ وخصَّ فقال: ((يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فياني لا أملك لكم من الله شيئاً)) . رواه مسلم واللفظ له ، والبخاري والترمذي، والنسائي بنحوه ، وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يقول: ((أنذرتكم النار ، أنذرتكم النار ، حتى لو أن رجلاً كان بالسوق لسمعته من مقامي هذا ، حتى وقعت خمبصة كانت على عاتقه عند رجليه)) . رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم . فيجب على المسلم أن يكون خائفاً من النار مستعيذاً بالله منها ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [الذِّينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ] رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿ [آل عمران: ١٩١-١٩٢] . وقال تعالى: ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ [الإسراء: ٥٧] ، وقال عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴾ [المعارج: ٢٧] ، وقال سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم: ٤] . وقال تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [٥] قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُّشْفِقِينَ ﴿ فَمَنْ رَبُّ اللَّهِ عَلَيْنَا وَوَقَلْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴾ [الطور: ٢٥-٢٦] . ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يستعيد من النار ويأمر بذلك في الصلاة وغيرها ، فعن أنس رضي الله عنه قال: كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: ((ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)) . رواه البخاري . وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل : ((كيف تقول في الصلاة ؟)) قال: أَتَشْهَدُ ثُمَّ أَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ

الجنة وأعوذ بك من النار، أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((حولها ندندن)).

وورد أيضاً أنه لما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم:٣١] ، تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فخرّ فتى مغشياً فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على فؤاده فإذا هو يتحرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يا فتى قل : لا إله إلا الله)) فقالها ، فبشّره بالجنة . فقال أصحابه يا رسول الله أمرنّا بئينا ؟ فقال : ((أو ما سمعتم قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعَبَدَ ﴾ [إبراهيم : ٣٠].

وقال يزيد بن حوشب : ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبد العزيز كأنّ النار لم تُخلق إلا لهما . وورد أيضاً من حديث أبي بكر بن عيَّاش قال صليت خلف الفضيل بن عياض صلاة المغرب وإلى جانبي ابنه عليّ ، فقرأ الفضيل : ﴿ أَلْهَيْكُمْ التَّكَاثُرُ ﴾ [التكاثر:٣] ، فلما بلغ ﴿ لَتَرُونَ آلَ جَحِيمٍ ﴾ [التكاثر:٤] سقط علي مغشياً عليه وبقي الفضيل لا يقدر يجاوز الآية ثم صلى بنا صلاة خائف . قال ثم رابطت علياً فما أفاق إلا في منتصف الليل . وقال ابن أبي ذئب : حدثني من شهد عمر بن عبد العزيز - وهو أمير المدينة - أنه قرأ عنده رجل : ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَبِيحًا مُّقْرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ [الفرقان:٣٣] ، فبكى عمر حتى غلبه البكاء وعلا نحيجه ، فقام من مجلسه ودخل بيته وتفرق الناس ، فعلمنا أن نعرف من أحوال السلف الصالح رضي الله عنهم الكثير بعد تكرار كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم رزقوا الخوف من الله والخشية والإنابة الصادقة ، وحتى تتغير حالنا التي نشكوها إلى الله حيث لا نجد من يُدَكِّرُنَا بالله لنرجع ونتوب إلى الله من ذنوبنا التي حالت بيننا وبين طاعة ربنا والتقرب إليه والابتعاد عما

حرمه علينا لِنَنْجُوا من النار .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع)) . وعن ابن عباس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((عينان لا تمسهما النار : عين بكت في جوف الليل من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله عز وجل)) . وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((ما من عبد مؤمن يخرج من عينه دموع ولو كانت مثل رأس الذباب من خشية الله ثم تصيب شيئاً من حرّ وجهه إلا حرمه الله على النار)) .

التخويف من النار

الخطبة الثانية

الحمد لله يوفق الطائعين ويذل العاصين ويتوب عليهم إذا تابوا وأنابوا .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وآله .
أما بعد : فقد ورد في قصة الإسراء والمعراج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أُتِيَ بفرس يجعل كل خطوة منه أقصى بصره فسار وسار معه جبريل عليه السلام ، فأتى على قوم يزعمون في يوم ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان . فقال : يا جبريل من هؤلاء؟ قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه . ثم أتى على قوم تُرضخ رؤوسهم بالصخر كلما رُضخت عادت كما كانت ، ولا يُفْتَرُّ عنهم من ذلك شيء ، قال : يا جبريل من هؤلاء؟ قال : هؤلاء الذين تناقلت رؤوسهم عن الصلاة ، ثم أتى على قوم على أذبارهم رقاع وعلى أقبالهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام إلى الضريع والزقوم ورضف جهنم ، قال : من هؤلاء يا جبريل؟ قال :

هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد. ثم أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يريد أن يزيد عليها. قال: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا رجل من أمتك عليه أمانة الناس لا يستطيع أداءها وهو يريد أن يزيد عليها. ثم أتى على قوم تُقرض شفاههم وألسنتهم بمقاريض من حديد، كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتّر عنهم من ذلك شيء. قال: يا جبريل ما هؤلاء؟ قال: خطباء الفتنة. ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم، فيريد الثور أن يدخل من حيث خرج فلا يستطيع، قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة فيندم عليها فيريد أن يردّها فلا يستطيع، ثم أتى على وادٍ فوجد ريحاً طيبة ووجد ربح مسك مع صوت. فقال: ما هذا؟ قال: صوت الجنة تقول: يا رب ائني بأهلي وبما وعدتني، فقد كثر غرسي وحريري وسندسي وإستبرقي وعبقريني ومرجاني وفضتي وذهبي وأكوابي وصحافي وأباريقي وفواكهي وعسلي ومائي ولبني وخمري، ائني بما وعدتني. قال: لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة، ومن آمن بي وبرسلي وعمل صالحاً ولم يشرك بي شيئاً ولم يتخذ من دوني أنداداً فهو آمن. ومن سألتني أعطيته، ومن أقرضني جزيته، ومن توكل عليّ كفيته، إني أنا الله لا إله إلا أنا لا حُلف لميعادي، قد أفلح المؤمنون، تبارك أحسن الخالقين. فقالت: قد رضيت. ثم أتى على وادٍ فسمع صوتاً منكراً فقال: يا جبريل ما هذا الصوت؟ قال: هذا صوت جهنم. تقول: يا رب ائني بأهلي وبما وعدتني، فقد كثرت سلاسلي وأغلامي وسعيري وحميمي وغساقني وغسليني وقد بعد قعري واشتد حري ائني بما وعدتني، قال: لك كل مشرك ومشركة، وخبيث وخبيثة وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب. قالت: رضيت ((.

نعيم الجنة وعذاب النار من القرآن الكريم

1420/7/20هـ

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فإن أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

أيها المسلمون : مما لا شك فيه لدى كل مؤمن بأن القرآن العظيم خير واعظ يوعظ به على الإطلاق متى تم فهمه ووصول نوره إلى القلوب فهو حياتها لا منازع في ذلك ، ومن بعده كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْوَحِيُّ الْيُوحَىٰ ﴾ [النجم:١]، ومن هذا المنطلق فسوف يكون التذكير بالقرآن الكريم في هذه الخطبة لعل موعظته تصل إلى القلوب ولكي يعلم المسلم الفارق بين نعيم الجنة وعذاب النار ليكون على بينة من أمره ، وأنه لا مقارنة بين متاع الدنيا ونعيم الآخرة ولا بين ابتلاءات الدنيا وفتنها وعذاب النار ، ولن أقتصر على مكان الشاهد فقط وإنما أذكر الآيات كاملة لبلاغتها وليصل أثرها ووقعها على النفوس لأنها أبلغ من الخطب والمواعظ ولأنه قلَّ ما تخلو سورة من ذكر الجنة والنار والفريقين أيضاً ، قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق:٢٠]، وقال عز وجل: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الإسراء:١٠٤]، ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ

يَجْعَلُ لَهُ عِوَجًا ﴿١٠١﴾ قِيَمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿١٠٢﴾ مَثَكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿١٠٣﴾ ﴿الكهف: ١٠١-١٠٣﴾. ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿١٠٥﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَآئِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الكهف: ١٠٤-١٠٦]. ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٨﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١١٠﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا ءَايَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١١٢﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١١٣﴾﴾ [الكهف: ١٠٧-١١٣]. ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّوهُمْ الْمَلَكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْفَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١٤﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿١١٥﴾ * وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿١١٦﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْرِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿١١٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّوهُمْ الْمَلَكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ

يُظْلِمُونَ ﴿١٦٦﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٦٧﴾ [النحل: ١٦٦-١٦٧]، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ
ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٦٨﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ
﴿١٦٩﴾ يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٧٠﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ
شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٧١﴾ خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٧٢﴾ * وَأَمَّا الَّذِينَ
سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ
عَطَاءً غَيْرَ مَجْدُودٍ ﴿١٧٣﴾ [هود: ١٧٢-١٧٣]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَأَطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَابِتِنَا غَافِلُونَ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ مَا وَلَّهُمْ
النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ
رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٧٦﴾ دَعَوْهُمْ فِيهَا
سُبْحٰنَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
﴿١٧٧﴾ [يونس: ١٧٦-١٧٧]، ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ
الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿١٧٨﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ
جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿١٧٩﴾ [التوبة: ١٧٧]،
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٨٠﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ
وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٨١﴾ [التوبة: ١٧٨، ١٧٩]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ
حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿١٨٢﴾ لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ

مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٌ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿١٤١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤٣﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿١٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿١٤٦﴾ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٧﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَعْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٤٨﴾ أَهْتُولَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿١٤٩﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَأَلْيَوْمَ نَنسَلُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِبَايِتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُوهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴿الأعراف: ١٤١-١٥٢﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِبَايِتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٣﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿١٥٤﴾﴾ [النساء: ٥٦، ٥٧] ، ﴿

خَلِيدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣٧﴾ وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٣٨﴾ [النساء: ٣٧، ٣٨]، ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٣٩﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٤٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴿٤١﴾ [طه: ٤٠-٤١] ، ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٤٢﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَمُونَ شَيْئًا ﴿٤٣﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴿٤٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٤٥﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٤٦﴾ [مريم: ٤٤-٤٦] . ﴿ هَذَا نَحْنُ خَصَمَانِ أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿٤٧﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٤٨﴾ وَلَهُمْ مَقْلَعٌ مِنْ حديدٍ ﴿٤٩﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٥١﴾ وَهُدُوءًا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوءًا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴿٥٢﴾ [الحج: ٥٠-٥٢] ، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا ﴿٥٣﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿٥٤﴾ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿٥٥﴾ وَإِذَا أَلْفَوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مَقْرِنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿٥٦﴾ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿٥٧﴾ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخَالِدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿٥٨﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَتْ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُورًا ﴿٥٩﴾ [الفرقان: ٥٣-٥٩] ، ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ

أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣١﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٢﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٣﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٤﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٥﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٦﴾ ﴿فاطر: ٣١-٣٦﴾ ، وقال تعالى : ﴿ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَانِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاصِلُهُمْ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الصافات: ٣٧-٤٩] ، إلى أن قال عز وجل : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٥١﴾ أذَلِكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٥٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٥٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ ﴿٥٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُلُونَ مِنْهَا فَمَا لَئُونٌ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ﴿٥٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرَجِعَهُمْ لِآلِ الْجَحِيمِ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الصافات: ٤٩-٥٨] ، ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٩﴾ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمْ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابِ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكَذِّبُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١١٠﴾
 ﴿السجدة: ١١٠-١١١﴾، ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا لَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴿١١١﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَا مَتَّعْنَاهُ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [القصص: ١١٠، ١١١]، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام: ١١٣] ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿١١٤﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿١١٥﴾ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١١٦﴾﴾ [ص: ١١٦-١١٧]، ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [الأنعام: ١١٦، ١١٧]؛

نعيم الجنة وعذاب النار

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى أحمده عز وجل وأشكره وأثني عليه الخير كله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد : فإن القصد من إيراد الآيات القرآنية السابقة واللاحقة على مسامعكم هو إيقاظ القلوب وتحريكها وتذكيرها لتختار طريق السعادة الأبدية وتسعى إليه بفعل الأسباب الموصلة إليه المتمثلة في الأعمال

الصالحة، وتبتعد عن طريق الشقاء الأبدي بترك الذنوب والمعاصي ، قال تعالى: ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَكَابٍ ﴾ ﴿١١﴾ جَنَّتِ عَدْنٍ مُفْتَحَةً لَهُمْ الْأَبْوَابُ ﴿١٢﴾ مُتَّكِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿١٣﴾ * وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْظَّرْفِ أَمْرَأَتٌ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٤﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿١٥﴾ هَذَا وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ لَشَرَّ مَكَابٍ ﴿١٦﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا فَمَيَّسَ الْمِهَادُ ﴿١٧﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴿١٨﴾ وَءَاخِرُ مِنْ سُكْلِهِمْ أَزْوَاجٌ ﴿١٩﴾ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٢٠﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَيَقْسُ الْقَرَارُ ﴿٢١﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴿ص: ١١-١٢﴾ ، ﴿ الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿٢٣﴾ يَنْعَبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٢٤﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٢٦﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ لَكُمْ فِيهَا فَلَكَهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٣٠﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَلِكُوثُونَ ﴿٣٣﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْ آتَانَا مَبْرُومُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سُرُّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٣٦﴾ ﴿الزخرف: ١٧-١٨﴾ ، ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿٣٧﴾ يَوْمَ لَا يُعْنَى مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٣٩﴾ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ﴿٤٠﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤١﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٢﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٣﴾ خَذُوهُ فَاَعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٥﴾ ذُوقِ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٦﴾ إِنَّ هَذَا مَا

كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿١٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿١٤١﴾ فِي جَنَّةٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ
 سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿١٤٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿١٤٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا
 بِكُلِّ فَلَكَهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿١٤٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعْنَا لَهُمْ
 عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٤٦﴾ فَضَلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٤٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ
 بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٤٨﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿١٤٩﴾ ﴿الدخان: ١٤٠-١٤٩﴾، ﴿
 أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٥٠﴾ مَثَلُ
 الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ
 طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّن خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّن عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ
 الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَن هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ
 ﴿١٥١﴾﴾ [محمد: ١٥١، ١٥٢]، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿١٥٣﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿١٥٤﴾ يَوْمَ تَمُورُ
 السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿١٥٥﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٥٦﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥٧﴾ الَّذِينَ هُمْ
 فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٥٨﴾ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٥٩﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ
 بِهَا تُكذِّبُونَ ﴿١٦٠﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٦١﴾ أَصَلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا
 تُصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦٢﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّةٍ وَنَعِيمٍ
 ﴿١٦٣﴾ فَلَكَهِينَ بِمَاءٍ اتَّسَلَهُمْ رِثَهُمْ وَوَقَّعْنَا لَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٦٤﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا
 هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦٥﴾ مُتَّكِعِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿١٦٦﴾
 وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ آَلَحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ
 عَمَلِهِمْ مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿١٦٧﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَلَكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا
 يَشْتَهُونَ ﴿١٦٨﴾ يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأَسَا لًا لَّغَوْفِهَا وَلَا تَأْتِيهِمُ ﴿١٦٩﴾ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ
 عِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿١٧٠﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٧١﴾
 قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿١٧٢﴾ فَمَنْ آَلَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ
 السَّمُومِ ﴿١٧٣﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿١٧٤﴾ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ
 بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿١٧٥﴾﴾ [الطور: ١٦٠-١٧٥]، ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ

فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ
ذَنْبِهِمُ أَنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿١٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٠﴾ يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ
بِسِمَّتِهِمْ فَيُؤَخِّدُ بِالنَّوْصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٢١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٢﴾
هَلْدِهِمْ جَهَنَّمَ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٢٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ
﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ﴿٢٦﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٢٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٩﴾
فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٣٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَنَكْهَةٍ
زَوْجَانِ ﴿٣٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٣﴾ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ
أَسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٣٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٥﴾ فِيهِنَّ قَلْصِرَاتُ
الْظَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ أَنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٧﴾
كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٣٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٩﴾ هَلْ جَزَاءُ
الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٤٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤١﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٌ
﴿٤٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٣﴾ مُدْهَامَاتٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ فِيهِمَا
فَنَكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٥٠﴾
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ أَنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيِّ حِسَانٍ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٥٨﴾ ﴿الرحمن: ٧٧-٧٨﴾، ﴿إِذَا
وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا
﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾
فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ
الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾

ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٤﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَّقِلِينَ ﴿١٥﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٦﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿١٧﴾ لَا يَصُدُّعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ ﴿١٨﴾ وَفَلَكَهَةٌ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿١٩﴾ وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٠﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢١﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكْنُونِ ﴿٢٢﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٥﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٦﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٧﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٢٩﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣٠﴾ وَفَلَكَهَةٌ كَثِيرَةٌ ﴿٣١﴾ لَا تَمْقُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ ﴿٣٢﴾ وَفُرُشٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ﴿٣٤﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٥﴾ عُرْبًا أَتْرَابًا ﴿٣٦﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٧﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٣٩﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤٠﴾ فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤١﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٢﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٣﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٤﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٦﴾ أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوْلُونَ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِبْرَاهِيمَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٨﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٤٩﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَهْلُهَا الضَّالُّونَ الْمُكْذِبُونَ ﴿٥٠﴾ لِأَكْلُونِ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ ﴿٥١﴾ فَمَا لَثُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٢﴾ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنْ الْحَمِيمِ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُوا شَرِبَ الْهَيْمِ ﴿٥٤﴾ هَذَا نَزَلَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٥﴾ ﴿الواقعة: ١٠٠-١٠١﴾

﴿٥٦﴾. والآيات من سورة الإنسان من بدايتها إلى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿الإنسان: ١٠٠﴾. والآيات من سورة المطففين عن الفجار والأبرار ، وفي سورة الانفطار ، وفي سورة الغاشية من أولها حتى نهاية الآية ﴿وَزَرَّابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿الغاشية: ١٠٠﴾. قال الله جل جلاله: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَرثُهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتْعَةٌ

الْعُرُورِ ﴿٤١﴾ سَابِقُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤٢﴾ [الحديد: ٤١، ٤٢]، والآيات كثيرة ولكني اقتصر على التي تعطي صورة أوضح لنعيم الجنة أو عذاب النار أكثر من غيرها . أسأل الله أن ينفعنا جميعاً بما فيها وفي القرآن كاملاً وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

التفكر في الإنسان وخلقها / 1

الخطبة الأولى 1417/6/27 هـ ، 1423/5/30 هـ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد : فإن الله عز وجل قد دعا الناس مؤمنهم وكافرهم إلى التدبر والتفكر في خلقهم ومبدئهم ونشأتهم وما هو عليه حالهم من الآيات العظيمة التي يتمتعون بها وهم عنها غافلون في حياتهم الدنيا، وبعدها الحياة البرزخية ثم القيامة وحسابها والدار الآخرة إما إلى الجنة أو إلى النار.

دعا الله عز وجل عباده للتفكر في الآيات التي في أنفسهم كما دعاهم إلى غيرها ليؤمن الكافر ويصدق ويشهد بوحدانية الله سبحانه وتعالى وليزداد المؤمن إيماناً على إيمانه بوحدانية الله وصفات كماله ونعوت جلاله وعموم قدرته وعلمه وكمال حكمته ورحمته وإحسانه وبرّه ولطفه وعدله ورضاه

وغيظه وثوابه وعقابه لا إله إلا هو الحي القيوم الرحمن الرحيم ذو الجلال والإكرام . لقد ندبنا الله عز وجل إلى التفكير في خلق الإنسان والنظر في ذلك في مواضع عدة من كتابه الكريم فقال تعالى: ((فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥٠﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٥١﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٥٢﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٥٣﴾)) (الطارق: 5-8). وقال سبحانه: ((وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٦١﴾)) (الذاريات: 20 ، 21) وقال تعالى: ((قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿٧٤﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿٧٥﴾ مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿٧٦﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٧٧﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٧٨﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٧٩﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٨٠﴾)) . [عبس: 17-23]. وقال عز وجل: ((يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿١٥﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿١٦﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿١٧﴾)) (الانفطار: 6-8). وقال عز وجل: ((لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿١﴾)) . [التين: 14]. ((أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ ﴿٢٠﴾)) [الروم : 8]. والآيات الأخرى التي توضح مراحل تكوين هذا الإنسان الضعيف في أطواره المتتابعة من عمره وأمام عظمة الله وقدرته وضعفه البشري الملازم له ، ولكنه جبار عنيده متكبر متغطرس إذا لم يستقر الإيمان في قلبه ويذل ويخضع لربه وخالقه سبحانه ، مع أن الله سبحانه وتعالى سخر لهذا الإنسان الضعيف ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه عز وجل لخدمة هذا الكائن البشري ليعبد الله وحده ، قال تعالى: ((وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۗ إِنَّ فِي ذٰلِكَ

لَا يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ [الجاثية: 13]. وقال عز وجل: ((الْمَرْ تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾)). [لقمان: 20]. وسوف يكون لنا وقفات إن شاء الله تعالى مع التفكير في ذلك التسخير وتلك النعم التي لن نستطيع حصرها ولا عدّها ولكن من أجل زيادة الإيمان وارتباط المؤمن بالله عز وجل ولترتفع نفسه وهمتّه إلى درجة اليقين والإحسان حتى يكون أشد مراقبة لله تعالى فيما يأتي ويذر، ويحاسب نفسه خاصة هذا الزمن الذي تكالب فيه الأعداء علينا من داخل أنفسنا وملذاتنا وشهواتنا ومطامعنا إلى جانب شياطين الإنس والجن وأعداء ديننا من جميع ملل الكفر ونحلّه .

إن الله عز وجل دعا العباد جميعاً للتفكير والنظر في خلقهم ومطاعمهم ومشاربهم وفي خلق السماوات والأرض وما بينهما من آيات عظيمة ليهتدي من الكفار من أراد الله له الهداية و يزداد المؤمن إيماناً، قال تعالى: ((قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْأَيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾)). [يونس: 101]. وقال عز وجل : ((سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾)). [فصلت: 53]. إن تكرار ذكر النطفة والعلقة والمضغة والتراب في القرآن الكريم ليست لمجرد تعريفنا بهذا فقط ، بل للدعوة إلى النظر والتفكير والتعقل في مبدإ خلق الإنسان ونشأته وحياته وآخرته إلى العظام البالية في قبره وإعادة نشأته مرة أخرى بكل مكوناته وجميع أعضائه وأشلائه وأجزائه، بل أدقّ من ذلك كله

تسوية البنان لكل إنسان وإعادته كما كان وهو علم في حد ذاته ، علم البصمات الذي بَكَر المتخصصين فيه وَيَبْهَرُ عقول الآخرين من عامة الناس حيث اختلاف البشر عن بعضهم بعضاً في البصمات ، كل هذا وغيره لم يُذكر في القرآن لنمرّ عليها مرور الكرام كما يقال وتتلوها تلاوة عابرة بل للتدبر والتفكر، قال تعالى: ((اُنْحَسِبُ الْاِنْسَانُ اَلَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٤٠﴾ بَلَى قَدْرَيْنَ عَلَيَّ اَنْ اُنْسَوِيَ بَنَانَهُ ﴿٤١﴾)) [القيامة: 3، 4]. ومروراً بهذه الروح التي يقف البشر من أولهم إلى آخرهم مهما أوتوا من العلوم عاجزين عن وصفها وماهيتها وماذا يذهب منها في النوم وغيره. قال تعالى: ((وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ اِلَّا قَلِيلاً ﴿١٥٦﴾)) [الإسراء: 85]. وقال عز وجل وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ اِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١٧٦﴾)) [الروم: 23]. قال تعالى: ((كَتَبْنَا نُزْلَنا لَكَ اِيَّاكَ مُبْرَكًا لِيَذَّبَ رُؤَا اِيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ اُولُوا الْاَلْبَابِ ﴿١٧٦﴾)) [ص: 29]. وقال عز وجل: ((اَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ ﴿١٧٦﴾)) [النساء: 82]. وقال سبحانه ومحمده: ((اَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ اِنَّ اَمْرًا عَلَيَّ قُلُوبٍ اَقْفَالُهَا ﴿١٧٦﴾)) [محمد: 24].

فلننظر الآن بعين البصيرة إلى النطفة التي هي جزء من قطرة من ماء مهين دافق ضعيف مُسْتَقْدَر لو مَرَّت عليه ساعة من الزمن وتعرض للهواء الخارجي لفسد وتغير كل شيء فيه ، لو تفكرنا ببساطة متناهية كيفية بداية هذا الخلق العجيب دون الخوض في التفاصيل العلمية الحديثة القديمة في آنٍ واحدٍ ، حديثة في اكتشافها، قديمة في معلوماتها لوجودها في القرآن الكريم

والسنة النبوية الشريفة ، ولكنَّ عقولنا القاصرة التي لا تدرك كثيراً مما نراه ونشاهده قد تقف أحياناً بنا إلى إنكار حقائق واضحة للعيان ، والإنسان عدو لما يجهل ، وما أكثر جهلنا مع كثرة انتشار العلم وفُشُوِّ القلم والكتابة . لذلك ينبغي ألا نملَّ ونسأَمَ من الجمل الاعتراضية أو العبارات التوضيحية التي تأتي في المكان الذي أراه مناسباً للمقام وإن كان لا يناسب استغراق الذهن والتفكير وانسياقه حول تناسق الموضوع ، لذا أعود للقول بأن علينا أن ننظر في تلك النطفة من الماء المهين المستقدر الخارج من بين الصلب والترائب المودع في القرار المكين في الظلمات الثلاث بعد التخليق وكيف انقادت تلك النطفة لقدرة الله مطيعة لمشيئته مذلة الانقياد على ضيق طرقها واختلاف مجاريها وطول مسافتها مع أننا نراها قصيرة ولكنها تبلغ آلاف الأمتار وليس عشرات أو مئات الأمتار حتى وصلت إلى رحم الأنثى واستقرت بعد أن ساقها رب العزة والجلال إلى مستقرها ومستودعها بقدرته عز وجل ومشيئته وإرادته بعد أن اجتمع الذكر والأنثى وقادتهما الشهوة التي كانت السبب في الجمع بين المَاءَيْنِ ليتم تخليق الولد وتكوينه. لننظر إلى تلك النطفة التي تحمل الصفات الوراثية للوالدين أو لأحدهما أو للقرابة وكيف يحمل الشبه من عظام ولحم وشعر وجلد وأنف وعين وأصابع وأطراف مختلفة، بل حتى في المشي والجلوس والانحناء والكلام والتفكير والمنطق والصوت من حيث الحدة والغلظة واللين والشدة والقوة والسمع وقوته أو ضعفه والبصر وقربه وبعده ، بل العواطف والانفعالات المتعددة كيف يحملها ذلك الجُرِّيُّ البسيطُ الذي لا يُرى بالعين المجردة وإنما تُرى منه الأجزاء

المجتمعة. علينا أن نتفكر فيها ونتدبر ونتأمل قدرة الله وعظمته سبحانه وتعالى، وأترك التفاصيل لحينها إن شاء الله بعد استكمال المهم في هذا الموقف. قال تعالى: ((أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٦٦﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٦٧﴾ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٦٨﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعَمَ الْقَدِيرُونَ ﴿٦٩﴾ وَيَلُومُنَا لَمَّا كَذَبْتُمْ ﴿٧٠﴾)) (المرسلات 20-24). وقال تعالى: ((ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢٠﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ﴿٢١﴾ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴿٢٤﴾ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴿٢٥﴾ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾)) (السجدة 6-9). وقال عز وجل: ((أُنْحَسِبُ الْإِنْسَانَ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٦٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْتَىٰ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٦٨﴾ فَعَجَلَ مِنْهُ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٦٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ تَخْتِىَ أَلْمُوتَىٰ ﴿٧٠﴾)) (القيامة 36-40). وقال سبحانه: ((فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٣٧﴾ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٣٨﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٣٩﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٤٠﴾ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿٤١﴾)) (الطارق 5-10). وقال تعالى: ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٣٦﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣٧﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴿١٣٨﴾ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٣٩﴾)) (المؤمنون 12-14). وقال عز وجل: ((يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴿١﴾ وَنُقَرِّئُ الْأَرْحَامَ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴿٢﴾ وَمِنْكُمْ مَن يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ

مَنْ يُرِدْ إِلَىٰ أَدْنَىٰ أَلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنْبِتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥٠﴾ [الحج : 5] .

التفكير في الإنسان وخلقها / 1

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً .
أما بعد: فإن العلماء في القديم والحديث ألفوا مؤلفات تتكون من مئات المجلدات حول الإنسان وخلقها وتكوينه، وقد جاءت موجزة مختصرة في القرآن الكريم شاهدة على وحدانية الله تعالى وعظيم قدرته ودقيق صنعه وخلقها وجمال إبداعه وتكوينه لهذا الإنسان ولجميع المخلوقات، فسبحانه من إله عظيم رؤوف رحيم ، نسأل الله أن يدخلنا في رحمته ويجنبنا غضبه ومقته وعقابه .

ولو أن المسلم تتبع الآيات القرآنية المتعلقة بخلق الإنسان وتدبرها ووعاها بعد قراءة تفسيرها في الكتب الموثوقة إلى جانب الأحاديث الصحيحة وتدبر ووعى واتعظ لكانت له أكبر موعظة تقوده إلى مرضاة ربه وثواب الدار الآخرة، وكانت له عبادة ورفعة في درجاته حيث أنها علامات واضحات منه وفيه ويتقلب في نعمها ليل نهار وهو عنها غافل ولم يقدر الذي منحه إياها وأنعم بها عليه وتفضل العزيز الغفار ذو الجلال والإكرام، قال تعالى: ((يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَمَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٧٠﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧١﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ

مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴿٨﴾ [الانفطار: 6، 8]، وقال عز وجل: ((هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۗ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾)) [آل عمران: 6]. وقال تعالى: ((خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ ۗ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾)) [التغابن: 3، 4]. وقال تعالى: ((وَاللَّيْلِ وَالزَّيْتُونَ ﴿٦﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٦﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٦﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٦﴾)) [التين 1-4]. وقال تعالى: ((هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْعًا مَّذْكُورًا ﴿٦﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٦﴾)) [الإنسان: 1، 2]. وقال تعالى: ((خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً ۚ أَزْوَاجًا يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۗ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآتَىٰ تُصْرَفُونَ)) [الزمر: 6]. وقال تعالى: ((اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۗ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٦﴾)) [التغابن: 6]. وقال تعالى: ((اللَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ﴿٦﴾ سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿٦﴾ لَهُ مَعْقِبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۗ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿٦﴾)) [الرعد: 8-11]. وسوف يكون لنا وقفات مع هذه الآيات إن شاء الله تعالى وخاصة مع الذين يسعون في الأرض فساداً ليل نهار ويحسبون أن الله غافل عنهم مادام الناس

غير مطلعين عليهم وعلى شرورهم وفسادهم وهتك الأعراض فهم ماضون في شرهم وانحرافهم ولكن الله لهم بالمرصاد .

قال تعالى: ((يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)) [النساء:1]. وفي سورة الروم آيات عديدة ومترابطة كما هو الحال في القرآن الكريم لمن وعاه وتدبره : قال الله تعالى: ((أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ)) أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظَلِّمَهُمُ اللَّهُ لِيُظَلِّمَهُمْ وَلٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظَلِّمُونَ)) [الروم: 8، 9]. ثم تأتي هذه الآية التالية بعد آية من هاتين الآيتين: ((اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)) [الروم:11]. ويمضي سياق الآيات للتذكير والموعظة وإيقاظ الغافلين إلى أن قال تعالى: ((وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بِبَشَرٍ تَنْتَشِرُونَ)) وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)) وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ السِّنِّيَّةِ وَالْوَالِدَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعٰلَمِينَ)) وَمِنْ ءَايَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَآبَتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ)) وَمِنْ ءَايَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يَعْقِلُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ۗ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢١﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ كُلٌّ لَّهُ قَدِيدُونَ ﴿٢٢﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۗ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٣﴾ [الروم: 20-27]. العالم غير العالم ، فتح اللام غير كسرهما فلننظر إلى الربط في بداية الآية بين خلق السماوات والأرض واختلاف الألسنة والألوان من أول الآيات إلى آخرها واختلاف لهجاتهم ولغاتهم وألوانهم وكيف تكون الإعادة في النهاية وقد تكررت في مرتين في بداية التذكير والأمر بالتفكير في مخلوقات الله وفي آخر هذه الآيات ولكنه في البداية قال تعالى: ((الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون)). وفي النهاية: ((هو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه)). ولماذا ذكرت كلمة للعالمين في آخر الآية، فهي أكبر موعظة لنا لو تدبرنا وتفكرنا، وكذلك النوم من أكبر الآيات الدالة على وحدانية الله وعظمته سبحانه وتعالى . أيها المسلمون: أكتفي بالآيات السابقة في هذه الخطبة لبحث كل إنسان بنفسه في تفسيرها وما دلت عليه ويتفكر في الآيات العظيمة في شخصه، ومن لم يستطع فيقف بتفكيره المحدود للتعرف على بداية خلقه وتكوينه في رحم أمه والأطوار التي مرّ بها إلى أن صار على حاله الراهنة، وكم هي نعم الله عليه التي يتقلب فيها بالليل والنهار، ولا يحسب أنه جرم صغير فقط مع أنه إلى المخلوقات غيره ما هو إلا ذرة في هذا الكون الفسيح الذي سخره الله له ولغيره من بني آدم، ولكنه مع ذلك تنطوي فيه الآيات العجيبة الدقيقة التي ينبغي لنا أن نعيها لنحاسب أنفسنا ونراقب الله تعالى ونزداد منه خوفاً وإليه

طمعاً ورجاء وتقرباً. وتزعم أنك جرم أصغر وفيك انطوى العالم الأكبر. وفي الخطبة القادمة إن شاء الله تعالى يتم استعراض ما يتيسر حول هذا الموضوع للوصول للغرض المطلوب والهدف المقصود بإذن الله تعالى. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا وحبيبنا محمد وآله.

التفكر في الإنسان وخلقته / 2

1417/7/4هـ

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً .

أما بعد : فلا زال الحديث موصولاً بسابقه حول التفكير والنظر والتأمل في خلق الإنسان والآيات العجيبة العظيمة الدالة على وحدانية الله وقدرته وعظيم خلقه ودقته وإحكامه وإحاطة علمه بكل شيء وعظيم لطفه وبره وإحسانه وإكرامه لهذا المخلوق الضعيف العاجز ، هذا الإنسان المتكبر المتغترس أمام نفسه وأقرانه وشيطانه وشهواته ونزواته ، فمتى أنعم هذا المخلوق الضعيف النظرَ وأمَّعَنهُ وتأمل وتفكر في كثير من المخلوقات ومنها نفسه فإنه يدرك حقائق وأشياء لا يدركها مع غفلته وسهوه وهوه ومرحه وفرحه وتقلباته المعيشية الدنيوية.

أيها المسلمون : وأتجاوز مرحلة التخليق الأولى والثانية لظروف المتكلم والسامع والموقف وأنتقل إلى المرحلة والطور الذي يليها. قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿٢٢﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٢، ٢٣]. وأقف عند الآية الأولى لأنها الهدف المقصود والمنشود في النهاية من وراء هذه السلسلة من

الخطب والمواعظ ، ولذلك يدور الكلام حولها وما في معناها بأي أسلوب يوصل إلى المطلوب ، وضَعُوا خطوطاً تحتها واستفهامات وعلامات كثيرة حولها إلى حين الوصول إليها وإلى غيرها من النصوص القرآنية المؤدية للغرض المطلوب بإذن الله تعالى ، والآية هي قول الله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ ﴿١﴾ أما الآية التي تليها فمترٌ ببعض معانيها من خلال هذه الخطب وهي قول الله تعالى : ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ ﴿٢﴾. أي طوراً بعد آخر ومرحلة بعد مرحلة من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى العظام واللحم والهيكلة المتكامل ثم الخلق الكامل ومنها الظلمات الثلاث التي وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنى تُصْرَفُونَ ﴾ ﴿الزمر:١﴾. ثم تأتي الآيات الأخرى بعد هذه الآية مباشرة وأرجو أن تتأملوها جيداً وتفقهوا عندها كثيراً حتى نصل إليها إن شاء الله تعالى إذا كان لنا في الحياة بقية وفي الوصول إليها مقدر . قال تعالى : ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ ﴿٣﴾ * وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوَ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٤﴾ أَمَّنْ هُوَ قَلْبُكَ عِندَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥﴾ قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٦﴾ ﴿الزمر:١٦﴾

أذكر بهذه الآيات الكريمة التي تحمل المواعظ البليغة وأعود إلى القرار المكين

وإلى الظلمات الثلاث للتذكير ببعض ما ورد فيها لوضع النقاط على الحروف كما يقال ولفتح الأبواب ولتفكير ذُؤو الأبواب وَيَقِفُوا عَلَى مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ وَالْأَقْوَالِ الْمَأْثُورَةِ وَالتَّفْسِيرَاتِ الْمُوثُوقَةِ وَالْعِلْمِ الصَّحِيحِ مِنَ الْحَقَائِقِ الْوَاضِحَةِ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٩٦﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٩٧﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٩٦-١٩٨] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠١﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢٠٢﴾ إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٠٣﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَيَلُومُ الْيَوْمَئِذٍ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [المرسلات: ١٩٦-٢٠٥] ، لَقَدْ هَيَّأَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْحَامَ الْأَمْهَاتِ لِتَكُونَ قَرَارًا مَكِينًا مَزُودًا بِمَا تَحْتَاجُهُ النَّفْسُ الْبَشَرِيَّةُ مِنْذُ دُخُولِهَا وَهِيَ نُطْفَةٌ إِلَى مَرُورِهَا بِمَرَاكِلِهَا الْمُخْتَلِفَةِ وَأَطْوَارِهَا الْمُتَعَدِّدَةِ حَتَّى خُرُوجِهَا مِنْ تِلْكَ الْأَرْحَامِ ، فَفِي تِلْكَ الظُّلُمَاتِ الثَّلَاثِ ظُلْمَةُ الْبَطْنِ الَّذِي تَسْتَقِرُّ فِيهِ الرَّحِمُ ، وَظُلْمَةُ الرَّحِمِ الَّذِي يُعَلِّفُ وَيُغَطِّي الْمَشِيمَةَ وَمَا بَدَاخِلَهَا مِنْ أَغْشِيَةِ مَحِيظَةِ الْجَنِينِ دَاخِلَ الرَّحِمِ وَهِيَ غِشَاءُ السَّلَى ، وَالغِشَاءُ الْمَشِيمِي ، وَالغِشَاءُ السَّاقِطُ ، أَمَا غِشَاءُ السَّلَى الْغِشَاءُ الْبَاطِنُ فَهُوَ يَحِيطُ بِالْجَنِينِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِحَاطَةً تَامَةً وَهُوَ كَيْسٌ غِشَائِي رَقِيقٌ مَقْفَلٌ ، بِهِ سَائِلٌ يَزْدَادُ مَعَ نُمُو الْجَنِينِ ، يَسْبَحُ فِيهِ الْجَنِينُ وَيَتَقَلَّبُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً وَيَمْسِكُ بِالْحَبْلِ السُّرِّيِّ فِي أَمَانٍ تَامٍ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَنِ الْقَرَارِ الْمَكِينِ ، وَهَذَا السَّائِلُ الْمَوْجُودُ فِي الْقَرَارِ الْمَكِينِ وَهُوَ جِزءٌ مِنْهُ فَوَائِدُ عَظِيمَةٌ لَا يُمْكِنُ الْإِسْتِغْنَاءُ عَنْهَا فِي تَكْوِينِ الْجَنِينِ وَنُمُوهِ فِي الرَّحِمِ وَمِنْهَا :

- 1- تَغْذِيَةُ الْجَنِينِ لِاحْتَوَاءِ السَّائِلِ عَلَى مَوَادِّ زَلَالِيَّةٍ وَسُكْرِيَّةٍ وَأَمْلَاحٍ غَيْرِ عَضْوِيَّةٍ ،
- 2- حِمَايَةُ الْجَنِينِ وَوَقَايَتِهِ مِنَ الصَّدَمَاتِ الْمَفَاجِئَةِ وَالسَّقُوطِ الَّذِي قَدْ تَتَعَرَّضُ لَهُ الْأُمُّ ،
- 3- يَسْمَحُ لِلْجَنِينِ بِالْحَرَكَةِ الْكَامِلَةِ دَاخِلَ الرَّحِمِ ،
- 4-

يحتفظ للجنين بدرجة حرارة ثابتة تقريباً ، 5- يمنع هذا السائل الغشاء المحيط به من الالتصاق بالجنين ، فلو التصق الغشاء بالجنين لكان أحد العوامل الهامة في حدوث التشوهات الخلقية ، هذه أهم وظائفه أثناء الحمل ، أما وظائفه أثناء الولادة فهي مهمة للوليد ولأمه أيضاً حيث يكون ذلك السائل جيب المياه الذي يوسّع عنق الرحم لكي يخرج المولود بإذن الله ، وهو مع ذلك يقي الجنين من أن ينحشر وينضغط بين جدران الرحم ، ولو لا لطف الله وعنايته وقدرته وتسخيره لجيب المياه هذا لتَهَشَّمَ رأسُ الجنين وقت الولادة ، ومع ذلك فهو يقوم بتمهيد وتعقيم الطريق للجنين عندما ينفجر فيقتل الميكروبات الموجودة في المهبل قبيل الولادة مباشرة حتى يخرج الجنين في ذلك المجرى الممهّد المعقم ، فمن الذي خلق وأوجد وأبدع وأحكم ذلك وغيره ؟ إنه الله الذي لا إله إلا هو العزيز الحكيم أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين سبحانه لا إله إلا هو القادر على كلِّ شيءٍ العليم الخبير الذي أعطى كلَّ شيءٍ خلقه ثم هدى .

وغشاء السلى السابق ذكره ما هو إلا جزء من ثلاثة أجزاء وأغشية محيطة بالجنين داخل الرحم ، فالغشاء الثاني هو غشاء المشيمة الذي يكون بين الغشاء الساقط من الخارج وبين غشاء السلى من الداخل . وغشاء المشيمة هذا فيه آيات عجيبة وعظيمة فهو يتركب من طبقتين أو ورقتين : خارجية والتي بها الرغابات والخمالات الكثيرة التي يُنقل بواسطتها الغذاء والأكسجين من الأم إلى الجنين ، كما يُنقل بواسطتها غاز ثاني أكسيد الكربون والبولينا من الجنين إلى دم الأم ، أما الطبقة الداخلية فتغطي كيس المحّ أو الصفار وتشمل مبدأ ظهور الأوعية الخارجية في الجنين ، ويتكوّن ذلك الغشاء عند تكوّن النطفة الأمشاج في المراحل الأولى من التلقيح ، وهذا الغشاء ينمو مع نمو الجنين ولا يكتفي بامتصاص الغذاء من البحيرة الدموية المحيطة به

وخاصة أن النساء إلا فيما ندر تنقطع عندهن العادة الشهرية ونزول دم الحيض إلى الخارج لتتحول بإذن الله عز وجل إلى ما يفيد الجنين ويفيد أمه لأن في خروجه إنهاكاً لها وضعفاً خاصة إذا زاد عن حده ، وليس الامتصاص المفيد من دم الحيض والعادة فقط عن طريق تلك الحملات والزغابات فقط بل هناك دورتان دمويتان متقاربتان قريباً شديداً من بعضهما في الغشاء المشيمي لا يفصل بينهما إلا جدارٌ رقيقٌ من خلايا الحملات ، ومع أنهما لا تتصلان ببعضهما لكَيْلًا يندفع الدم من واحدة إلى أخرى إلا أن اتصالهما وثيق من حيث قيام كل دورة بعملها ووظيفتها أتمَّ قيام وأحسنه وأكمله بقدرة الله ومشيتته ، حيث ينتقل الغذاء المنتقى والمختار للجنين بعناية فائقة من دم الأم في الرحم ودورة الأم الدموية إلى الأوعية الدموية للجنين وينتقل معها أيضاً الأوكسجين ومواد المناعة للأمراض والأوبئة ، كما تنقل الأخرى من الجنين إلى الأم كل المواد السامة التي تنتج عن عملية البناء والهدم المستمرة في خلايا الجنين مثل البولينا وثاني أكسيد الكربون لتحملها إلى أجهزة إفراز وإخراج الأم ، ويمنع ذلك الغشاء المشيمي عن الجنين بإذن الله ما هو ضار وموجود في دم الأم الموجودة في الرحم ، ويتم تزويد الجنين عن طريقه وعن طريق الحبل السري بما يحتاجه ويفيده ويخرج عنه ما يضره من الغذاء والهواء إدخالاً وإخراجاً ، كل ذلك داخل الرحم الذي لم نتعرض له ولا لبطن الأم ولا للحوض الذي يختلف بعض الشيء عن حوض الرجل من حيث التركيب في الاتساع والعرض والقصر والخشونة والليونة والبروز والعمق لكي يساعد على حياة الجنين أولاً ثم الخروج ثانياً ، ولذلك وقف الناس في القديم والحديث مندهشين ، وقليل منهم من يهتدي إلى الجواب الصحيح . فسبحان من خلق فسوى ، وسبحان من قدر فهدى ، خلق الأجنة وسوّاهم وقدر ظهور أعضائها وهداها لوظائفها ، وخلق المشيمة

وسواها وقدر محتوياتها وتركيبها وأوجد غشاءها العجيب وهداه لوظائفه العديدة المعجزة بحيث كان من أسباب حياة ذلك الجنين وهو في رحم أمه بحيث لا يضرها وجوده طيلة بقائه في رحمها مع أنه لو رجع إلى رحمها مع رجوع الرحم عند الولادة وبقي فيها لماتت هي ولفظت أنفاسها ، فسبحان من أوجد القرار المكين للأجنة ورعاها وحفظها فسبحانه من إله عظيم حلیم لا إله إلا هو الحي القيوم الذي ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه:٤٠] ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١-٣] ، وحفظها في مراحلها المختلفة وأبعد عنها ما يضرها ويؤذيها وهيأ لها ذلك كله وأمدها بما تحتاجه من الغذاء والهواء وأوصله إليها بإحكام وإتقان وإبداع لا مثيل له ولا نظير ، سبحانك ربنا وبمحمدك خضعت لك رقابنا وذلت وخشعت لك جميع جوارحنا وأعضائنا وسجدت لك وجوهنا وجباهنا على الأرض واقشعرت جلودنا ولانت خوفاً منك ومن عقابك وتقرباً ورجاءً في رحمتك وطمعاً في ثوابك وحباً لك وطاعة وامثالاً .

الإنسان وخلقها / 2

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فإن الغشاء الثالث الذي هو أحد الأغشية الثلاثة التي هي في مجموعها تكوّن غشاء المشيمة كما هو في الاصطلاح بين العلماء ، يسمى بالغشاء الساقط ، وهو غشاء مخاطي رقيق مبطن للرحم ينمو نمواً هائلاً أثناء الحمل حتى يصبح إسفنجياً بحيث يغطي الجنين ويحميه بإذن الله عز وجل ثم يسقط ويخرج أخيراً مع دم النفاس ، وهذه العلوم والمعارف ليست جديدة

على العلماء المسلمين المتقدمين الأفاضل فقد فتح الله عليهم من العلوم ما يعجز عنه ملايين البشر اليوم ممن لديهم وتحت تصرفهم واستعمالاتهم الكثير من الأجهزة الحديثة ولكنهم لم يُوقَّفُوا لتسخير تلك المخترعات والاستفادة منها في زيادة الإيمان بالله وترسيخ العقيدة بل انبَهَرُوا منها ووقفوا منها مواقف متباينة وإلا لو قاموا بما أمر الله به لأنجز لهم وعده ، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ، فمن أولئك العلماء الأفاضل ابن القيم رحمه الله المعروف بابن قيم الجوزية الذي توفي قبل أكثر من سبعمائة سنة ، وألَّفَ كتاباً عظيمة النفع للمسلمين تصل إلى شغاف القلوب وتزيدها إيماناً و يقيناً رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته ، وعلى كل طالب علم أن يَضُمَّ إلى مكتبته الفقهية تلك الكتب الثمينة ومنها: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة ، والتبيان في أقسام القرآن ، وطريق المهجرتين. يصف ذلك الإمام العالم الفقيه المحدث الإنسانَ وصفاً دقيقاً بارعاً في مختلف المراحل التي يمر بها ، ولننظر إلى وصفه الدقيق لخروج الجنين لحظة الولادة يصفه وصفاً كأنه طبيب معاصر لديه أعلى الشهادات العالمية والخبرات الميدانية وكأن لديه من الأجهزة الحديثة الموضحة لذلك ما يبهر العقول ، علماً بأنه عاش قبل سبعة قرون ولكنه نور البصيرة الذي أعطاه الله إياه ، وقد ثبت حالياً الذي قاله ، ومما قال رحمه الله عن الجنين حال الولادة : وهو . أي الجنين . معتمد بوجهه على رجليه وبراحتيه على ركبتيه ، ورجلاه مضمومتان إلى قدميه ووجهه إلى ظهر أمه ، وهذا من العناية الإلهية أن أجلسه هذه الجلسة في المكان الضيق في الرحم على هذا الشكل ، وأول ما يخرج منه رأسه ، لأن الرأس إذا خرج أولاً كان خروج سائر أعضائه سهلاً ميسوراً بإذن الله ، ولو خرج على غير هذا الوجه لكان فيه تعويقٌ وعُسْرٌ ، فلو خرجت الرجلان أولاً لانتعاق

خروجُ الباقي ، ولو خرجت رجل واحدة لانعاق المولود عند الثانية ، وإن خرجتا معاً إنعاق عند اليدين ، وإن خرجت الرجلان واليدان إنعاق عند الرأس والتوى إلى الخلف وتلتوي معه السُرَّة وتلتفُّ إلى العنق فيألم الرَّحْمُ ويصعب الخروج ويؤدي إلى مرضه وتلفِّه . ثم تعرَّض رحمه الله للولادات المختلفة من نزول المقعدة أو دوران الوجه إلى الأمام والتواء السُرَّة وآلام الطلق وتسهيله وتيسيره بإذن الله عز وجل إلى آخر ما ذكره رحمه الله ، وقد استنتج علماء المسلمين من القرآن الكريم والسنة النبوية ما يفيد البشرية وهو واضح غاية الوضوح، ومنها أكل الرطب مع شرب الماء عليه قبل الولادة لفوائدها العظيمة المتعددة وأهمها: انقباض الرحم بعد الولادة والمساعدة على تقليص كميات الدم النازل من الأوعية الدموية ، إلى جانب تسهيل الولادة ومنع المضاعفات لحمى النفاس مع تنظيف الأمعاء لثلاث تعيق حركة الرحم مع البعد عن القلق والخوف ولزوم الرضا والاطمئنان ، وكل ذلك قد ورد في القرآن الكريم في قصة مريم العذراء بعد حملها الخفيف السريع ومجيء المخاض إليها ، قال تعالى : ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَّتْ بِهِمْ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿١٦﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مَثُ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا ﴿١٧﴾ مِّنْ نَّسِيًّا ﴿١٨﴾ فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿١٩﴾ وَهَزَيْتِ الْيَكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٠﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴿٢١﴾ فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٢﴾ [مريم: ١٦-٢٢] . ومكان الشاهد قوله تعالى ﴿ وَهَزَيْتِ الْيَكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٠﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴿٢١﴾ [مريم: ٢٠-٢١] . قال تعالى : ﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿٩﴾ ثُمَّ أَلْسَيْلَ يَسْرَهُ ﴿١٠﴾ [عبس: ٧-١٠] ، ومكان الشاهد : ﴿ ثُمَّ أَلْسَيْلَ يَسْرَهُ ﴿١٠﴾ [عبس: ١٠] ، قال عز وجل : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ

أُنثِي وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿١٠٠﴾ عَلِمُ الْعَيْبِ
وَالشَّهْدَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ﴿١٠١﴾ [الرعد: ١٠١] ، [١٠٢] وقال عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ
تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا
يُعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٠٢﴾ [
فاطر: ١٠٢] . وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا
وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٠٣﴾ [النحل: ١٠٣] ، فهل
تدبرنا وتأملنا وتفكرنا ووعينا بعض هذه الأطوار من حياتنا ؟. اللهم صلِّ
وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وآله وصحبه.

التفكر في خلق الإنسان / 3

الخطبة الأولى 1417/7/11 هـ ، 1423/6/14 هـ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي
له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد : فالكلام موصول بسابقه حول التفكير في خلق الإنسان والآيات
الدالة على وحدانية الله عز وجل وعظمته وقدرته وعظيم صنعه وإبداعه في
الخلق عموماً من الذرة الصغيرة إلى أكبر جرم في هذا الكون ، إن خلق
الإنسان على هذه الصورة الجميلة السوية المعتدلة الكاملة الشكل والوظيفة
أمر يستحق التدبر والتأمل الطويل والأدب الجمِّ مع المنعم المتفضل الكريم

رب العالمين الذي أكرمنا بهذه الخُلُقَة السوية تفضلاً منه ورعاية ومِنَّة ،
والشكر له دوماً وأبداً ذكراً وفكراً وقولاً وعملاً، فلو شاء سبحانه لركبنا على
أي صورة أخرى يريدنا ويشاءها عز وجل ، ولكنه اختار لنا هذه الأشكال
الجميلة التكوين المعتدلة الخلقة. قال تعالى: ((لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ
تَقْوِيمٍ ۝)) [التين:4]. وقال سبحانه وبحمده : ((خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ
وَصَوْرُهُمْ فَأَحْسَنَ صُورُهُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝)) [التغابن:3]. وقال تعالى: ((يَتَأْتِيهَا
الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِي أَيِّ صُورَةٍ
مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝)) [الإنفطار:6-8]. وقال عز وجل: ((هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي
الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝)) [آل عمران:6]. وهناك
مئات المؤلفات تتعلق بالإنسان من حيث التكوين والخلق والإحكام ومن
حيث العجائب والآيات العظيمة فيه ومن حيث ما يتعلق بكل جهاز فيه
للوصول إلى معالجته وتطبيبه ، ولا زالت الدراسات قاصرة والباحثون
عاجزين عن الوصول إلى كل صغير ودقيق في هذا الإنسان ، ولذلك نرى
التخصصات المتعددة للأطباء، فذاك طبيب للعيون، وآخر للعظام، وثالث
للأعصاب، ورابع للجهاز الهضمي، وخامس للقلب والغدد الصماء،
والمسالك البولية، والصدريّة، والأنف والأذن والحنجرة، والأسنان، والدورة
الدموية، والجلدية والتناسلية، والجراحة العامة، والأطفال، والنساء والولادة ،
 وأمراض الدم، إلى آخر تلك التخصصات التي قضى أصحابها السنوات
الطويلة للدراسة والتخصص في جزء من جسم الإنسان لمعالجته فقط ،

ويرون بأنفسهم تلك العجائب والآيات العظيمة في الإنسان ، وقليل منهم من يتعظ ويعتبر مع البشائر السارة لمن يدرس في كليات الطب حيث تحركت فيهم الفطرة السليمة ورأوا عظمة الله وقدرته وأتعظوا بما شاهدوه وتعلموه من علم التشريح، وأملنا وطلبنا منهم أولاً أن يتعظوا ويتقوا الله تعالى في البشر الذين يعالجونهم ويؤدوا الأمانة التي أنيطت بهم و تحمّلوها حول أرواح الناس وعدم المتاجرة بهم وبمشاعرهم وأموالهم فهم بشرٌ مثلهم ، كما أن عليهم أن يربطوا العباد بخالقهم لأن الله الذي أنزل الداء وهو الذي يرفعه إذا وقّق الطبيب لمعرفة الدواء وبرأ المريض بإذن الله، فهم ليسوا إلا أسباباً لا يملكون لأنفسهم أدنى نفعٍ أو دفعٍ أي ضرٍّ ومنها الأمراض التي هم أسباب في وصف الأدوية لها ، فقد تصيب بعضهم أمراضاً لا يستطيع زملاؤهم في المهنة معرفة الدواء لأصحابهم وزملائهم الأطباء، ولا يستطيع أكثرهم التوسع والخروج عن مجال تخصصه . وأورد مقاطع من كلام ابن قيم الجوزية حول التأمل والنظر في خلق الإنسان حيث قال رحمه الله: وانظروا كيف قسم الله عز وجل تلك الأجزاء المتشابهة المتساوية إلى الأعصاب والعظام والعروق والأوتار واليابس واللين وبيّن ذلك ، ثم كيف ربط بعضها ببعض أقوى رباط وأشده وأبعده عن الانحلال وكيف كساها لحماً ركبه عليها وجعله وعاء لها وغشاء وحافظاً، وجعلها حاملة له مقيمة له، فاللحم قائم بها وهي محفوظة به ، وكيف صوّرها فأحسن صُوْرَهَا، وشقَّ لها السمع والبصر والفم والأنف والأذن وسائر المنافذ ، ومدّ اليدين والرجلين وبسطهما وقسم رؤوسهما بالأصابع، ثم قسم الأصابع بالأنامل، وركب الأعضاء الباطنة من القلب

والمعدة والكبد والأمعاء والطحال والرئة والرحم والمثانة والكلى والحالب، كل واحد منها له قدر يخصه ومنفعة تخصه، وقال رحمه الله: ثم انظر الحكمة البالغة في تركيب العظام قواماً للبدن وعماداً له، وكيف قدرها ربها وخالقها بتقادير مختلفة وأشكال مختلفة، فمنها الصغير والكبير والقصير والطويل والمنحني والمستدير والدقيق والعريض والمصمت والمجوف، وكيف ركب بعضها في بعض، فمنها ما تركيبه الذكر في الأنثى، ومنها ما تركيبه تركيب اتصال فقط، وكيف اختلفت أشكالها باختلاف منافعها كالأضراس فإنها لما كانت آلة للطحن جعلت عريضة، ولما كانت الأسنان آلة للقطع جعلت مستدقة محددة، ولما كان الإنسان محتاجاً للحركة بجملة بدنه وبعض أعضائه للتردد في حاجته لم يجعل الله عظامه عظماً واحداً، بل عظاماً متعددة وجعل بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة، وكان قدر كل واحد منها وشكله على حسب الحركة المطلوبة منه، وكيف شدَّ أسرَّ تلك المفاصل والأعضاء وربط بعضها ببعض بأوتار وأربطة أنبتها من أحد طرفي العظم، وألصق أحد طرفي العظم بالطرف الآخر كالرباط له، ثم جعل في أحد طرفي العظم زوائد خارجة عنه، وفي الآخر نُقراً غائصة فيه موافقة لشكل تلك الزوائد ليدخل فيها وينطبق عليها، فإذا أراد العبد أن يحرك جزءاً من بدنه لم يمتنع عليه أو يتعذر عليه ذلك لوجود المفاصل، ثم استطرد رحمه الله في الوصف بكلام عجيب يتم إيراد بعضه في مكانه. لقد خلق الله العظام لكي تعطي لجسم الإنسان شكله وقوامه الإنساني فهي كأركان المنزل الذي يقوم عليه البناء، ولولا تلك العظام لأصبح الإنسان قطعاً من اللحم المتراكم،

ولو لم تكن عظام الإنسان مفصلة وكانت عظماً واحداً لما تمكن من القيام من مكانه ولعجز عن تحريك إصبع من أصابعه ولكان حال الإنسان كأبي قطعة من الحديد ، ولكن الله تبارك وتعالى فَصَّلَ جسمَ الإنسان تفصيلاً دقيقاً محكماً بمفاصل أحكمها عز وجل فله المنة والفضل وحده ، وله الشكر والثناء عز شأنه وتعالى سلطانه، فكُونْ نهاية كل عظم بحيث تُناسب وتوافق تركيب العظم المتصل به في غاية الإحكام والإتقان ولهذا لا تناسب عظمة أخرى ، وشكَّلَ الله سبحانه وتعالى هذه المفاصل تشكيلاً يلائم الحركة المطلوبة كالمفصل الدائري ، مفصل الورك الذي يربط عظم الفخذ بعظمة الحوض، وبه يتمكن الفخذ من الحركة في عدة اتجاهات ، في حين نرى مفصل الركبة قد كُونْ بحيث يسمح للساق بالحركة في اتجاهين فقط إلى الأمام وإلى الخلف ، والحقيقة أنه اتجاه واحد إلى الخلف وليس كاملاً وإن تمت إعادته إلى الأمام لأن صابونة الركبة تمنعه من إكمال اتجاهه المعاكس، ولو كان له اتجاهات متعددة لما استطاع الإنسان المشي والوصول إلى مطلوبه إلا بمشقة وصعوبة بالغة، وربطها سبحانه بتلك الأعصاب المناسبة لها في الاتجاهات والقبض والبسط والقيام والقعود والحركات المتعددة مع وجود ذلك الغطاء الدائري الغضروفي المسهل لحركتها التي عجز البشر إلى الآن فيما أعلم عن إيجاد البديل له الذي يقوم بالعمل الكامل الذي يقوم به في جسم الإنسان دون أدنى اختلاف وهو من أبسط الأجزاء التعويضية الممكن استعمالها مع أنهم استطاعوا إيجاد ما يقوم بالعمل الجزئي للركبة . وإذا تأملنا مفاصل العظام نجدها ملساء بخلاف سائر العظام الخشنة ، كما خلق الله

أيضاً وأوجد سبحانه سائلاً لَرَجاً في تلك المفاصل لتسهيل حركتها ومنع احتكاك العظام وتاكلها ، وهذا مشاهد عند نزول السائل اللزج بعد فصل عظام البهائم التي يُؤْكَلُ لحمها والتي نشاهدها باستمرار ، ولهذا استفاد الإنسان من ذلك لمنع تآكل واحتكاك الحديد والمعادن في الآلات عند تحركها بوضع الزيت أو الشحم في تلك الآلات التي تدور أو تَحْتَكُ ثُرُوسُهَا وأسنانها.

ولننظر إلى الذي يحرك العظام ، إنها العضلات اللحمية المربوطة بالعظام الكاسية لها حيث خلق الله لكل عظم ما يناسبه من العضلات اللحمية المربوطة بالأعصاب فيما بين أجزائها بالقدر المناسب لها ولوضعها ووظيفتها ، لقد كَسَا الله العظام العريضة كعظام الظهر والرقبة كسوة من اللحم تناسبها، والعظام الدقيقة كسوة تناسبها كالأصابع ، والمتوسطة أيضاً كعظام الذراعين والعضدين .

ولننظر إلى اليدين اللتين هما آلة العبد وسلاحه ورأس مال معاشه فقد طَوَّهَما الله سبحانه وتعالى ليصل بهما الإنسان إلى ما يريد من جسمه وبدنه ، وعَرَّضَ الكفَّ ليتمكن به من القبض والبسط، وقَسَمَ فيه الأصابع الخمسة ، وقسم كل إصبع بثلاث أنامل والإبهام باثنتين وجعل الأصابع الأربعة في جانب والإبهام في جانب لتدور الإبهام على الأربعة ، وعلى كل منا أن يتأمل ذلك عند عدّه وعقده التسبيح بيده كيف يستطيع بإبهامه المرور والوصول إلى أصابعه الأخرى بعكس الأصابع الأخرى، لذلك جاء وضع الأصابع والأنامل والمفاصل بينها والكف على أحسن وضع صالح للقبض

والبسط ومباشرة الأعمال ، ولو اجتمع الأولون والآخرون من الإنس والجن على أن يستنبطوا بدقيق أفكارهم وضعاً آخر للأصابع سوى ما خلقت عليه لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، فلو شاء لجعلها طبقاً واحداً كالصفيحة وعندها لا يتمكن الإنسان بذلك من مباشرة مصالحه وأنواع تصرفاته ودقيق الصنائع والخط وغير ذلك ، فهي على حالها الراهنة لو بسط أصابعها لكانت طبقاً واحداً يضع عليه ما يريد، وإن ضمّتها وقبضها كانت دبوساً وآلة للضرب قوية، وإن جعلها بين الضمّ والبسط كانت معرّفة وملعقة له تمسك فيها ما يتناوله بها، وركب الأظفار على رؤوسها زينة لها وعماداً ووقاية ليلتقط بها الأشياء الدقيقة التي لا يناها بالأصابع، وليحكّك بها بدنه عند الحاجة، والظفر الذي هو أقل الأشياء وأحقرها في جسم الإنسان وعند طوله يقوم بقصّه لو عُدِمَهُ ثم ظهرت به حِكَّةٌ في جسده لاشتدّت حاجته إليه ولم يقدّم مقامه شيء في حَكِّ بدنه، فسبحان من هدى اليد بأصابعها وأظفارها لتصل إلى موضع الحكّ والألم من الإنسان وتمتد إليه ولو في النوم والغفلة من غير حاجة لطلب ونداءات إلى غيره ، مع أنه لو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحكّ ويهتدِ إلى موضع الألم والحكّ إلا بعد تعب ومشقة وتوجيه من الشخص نفسه. وانظر كيف يتناول الشخص اللقمة مما يريد أكله ويضعه بين أصابعه ثم تتجه يده إلى فمه دون أن تخطيء الطريق إلى عينه أو أنفه أو رقبته أو تذهب يمينا أو يسرة، فمن الذي هداها إلى ذلك الموضع حسب إرادة الشخص وسخرها للعمل الدؤوب المستمر في الأكل والكتابة والأعمال الأخرى دون عناء أو تعب ؟ ويعرف

قدر هذه النعمة من فقد إحدى يديه أو أصابعه أو كان مشلولاً ومريضاً، فمن هو المنعم المتفضل عليك يا ابن آدم بهذه النعم التي لا تُعدُّ ولا تُحصى؟ إنه الله العزيز الحكيم لا إله إلا هو مالك الملك ذو الجلال والإكرام . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ((وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا)) [البقرة:259]. ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٥﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٧﴾)) [المؤمنون: 12-14].

التفكر في خلق الإنسان / 3

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه.

أما بعد : فلقد خلق الله كل شيء في الإنسان ليناسب وظيفته وعمله المناط به وأحكم ذلك سبحانه وأتقنه وأبدعه ، فقد جعل عظام أسفل اليدين قوية لأنها أساس لها، أما عظام أعلى اليدين فهي دونها في الثخانة والصلابة لأنها محمولة وتختلف عنها في الوظيفة والعمل، كما جعل عظام الرأس قوية لتحمي المَلِكَ الذي بداخلها - تلك الجوهرة الثمينة - العقل المفكر المرشد للإنسان في تصرفاته وأعماله وأقواله ذلك السائل اللين بين الزوجة والتجمد

المتصل بحبل بسيط من الأعصاب الخفيفة الذي لا يكاد يُرى بالعين من الدقة ولا يلقي له الإنسان بالاً، ومن عظيم لطف الله عز وجل ودقة خلقه وإبداعه أن جعل ذلك الحبل داخل ووسط سائل متوسط الكثافة من حيث السيولة والتجمد ، ثم يحمي ذلك السائل ويغطيه غطاءً يحفظه من التسرب إلى خارج ذلك الغطاء ويمنع دخول ما يؤثر عليه ، وهو أيضاً داخل فقرات الظهر والرقبة إلى أسفل الظهر والعجز ويعرف الناس قدر تلك النعمة العظيمة عندما يرون المصابين في الحوادث وغيرها ممن أصابهم الشلل التام أو بعضه، وكيف عجز العلم الحديث وأهله عن استبدال ذلك العصب الرفيع للقيام بعمله مع الإمكانيات الهائلة في هذا العصر، ولكنهم يقفون حائرين أمام قدرة الله وعظمته ولا يستطيعون تقديماً ولا تأخيراً ولا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضراً ولا نفعاً ، وإذا أردت أن تعرف وتنفكر وتتأمل في هذه النعمة فَخُذْ بعض فقرات ظهر البهيمة المأكول لحمها من الغنم أو الماعز وانظر إلى ذلك المسمى بالمش أو النخاع الشوكي داخل الفقرات وافحص ما بداخله وتأمله جيداً وخاصة الحبل الشوكي تلك الأعصاب الدقيقة والشبكة الكهربائية التي تحرك أجزاء الجسم المختلفة وتوصل إشاراتهما في لمح البصر أو أقل إلى المخ في الرأس ويصدر تعليماته إلى أجهزة الدفاع والمقاومة المنتشرة في الجسم ، ذلك العصب الدقيق المحفوظ في تلك الطبقات المتعددة لو انقطع كاملاً أو حصل الضغط على جزء منه في أحد الأطراف الأربعة فماذا يكون حال الإنسان الضعيف ؟ فاعتبر يا ابن آدم واسجد لله شكراً واحمده ليلاً ونهاراً سرّاً وعلانية قولاً وعملاً واعتقاداً واخضع لربك واعبده وقم بما

أوجبه الله عليك وتواضع للخلق وأبعد نفسك عن الكبر والغطرسة والتعالي والشموخ . ثم انظر إلى تجويف الصدر وربط أضلاع الجهتين بالقفص من الأمام وبالظهر من الخلف على أحسن هيئة لتحمي الرئتين والقلب مما يؤثر عليها من الخارج ولتوجد المسافة التي تمكنها من أداء عملها في الشهيق والزفير وقيام عضلة القلب بالضخ للدماء في جميع أنحاء الجسم وفصل ما بينها وبين الجهاز الهضمي بالحجاب الحاجز المفتوح بفتحة ملائمة للمريء الموصل للطعام إلى المعدة ، فانظر يا عبد الله إلى القلب تلك العضلة المضغفة المذكورة في الحديث الشريف : ((ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب)) . تلك العضلة الصغيرة التي تحمل الحب والكراهية والنيات والمقاصد والخير والشر في شفافية وروحانية عجز كثير من الناس في القديم والحديث عن الربط بين تلك العضلة المضغفة التي تضخ الدم إلى جميع أجزاء الجسم وما في داخلها من روحانية وشفافية ، لم يدركوا كنهها وحقيقتها، وفي الوقت نفسه تؤدي ذلك العمل العجيب من ضخ للدماء عبر الأوردة والشرايين والأوعية الدموية إلى كل خلية في الجسم حاملة ما يحتاجه ذلك العضو والخلية من الطعام المناسب له بعد عملية التأكسد، ثم ترجع تلك الدماء مرة أخرى إلى القلب وتتم تلك العملية بالعكس من الأوعية إلى الشرايين الأخرى إلى الأوردة في الجهة الثانية للقلب آخذة من الرئتين ما تحتاجه من الهواء مصفية منقية لما يعلق بها طاردة عن الجسم ما يؤذيه ويؤثر عليه ، ولولا ضيق المقام لتبعنا الطعام والشراب من بداية دخوله الفم حتى تتم عملية الإفراز والإخراج

والهدم والبناء واستفادة كل عضو وعضلة في جسم الإنسان وكل خلية فيه وكيف وصلت فائدة كل ما يتناوله الشخص إلى كل جزء بما يناسبه إلى الفم باللعب المفيد للهضم، وإلى العين بالدمع المالح المطهر لها، وإلى الأذن بالصمغ المحافظ عليها مما يؤذيها من أصوات مزعجة وغيرها، وإلى الأنف بالمخاط الذي يحافظ على أغشيته للاستفادة من دخول الهواء وتنقيته قبل دخوله ووصوله للرئتين، فلو زادت إفرازات الدمع أو اللعاب أو الصمغ أو المخاط أو نقصت لتعب الإنسان وأصيب بالأمراض المتعددة وطلب الدواء في أي مكان بحثاً عن الشفاء، فمن الذي أوجد للقلب هذا المكان اللائق به دون غيره من أجزاء الجسم بحيث يجاور الرئتين ويتصل بجميع أنحاء الجسم وخلاياه عبر تلك القنوات والشُعيرات الدموية التي تبلغ آلاف الأمتار المختلفة الأشكال في المتانة والرخاوة والليونة، وربطها بالأجهزة الأخرى لتقوم بوظائفها في الكبد والطحال والكليتين والمعدة والأمعاء والغدد المختلفة المنشرة في الجسم وكذلك المخ؟ فمن الذي سيّرها لتعمل ستين أو سبعين سنة أو أقل أو أكثر؟ من الذي سحّرها لك لتقوم بهذه الأعمال التي أنت عنها غافل؟ من الذي أوصل لكل خلية ما تحتاجه من الغذاء؟ ومن الذي أوصل لكل جزء ما يناسبه من الإفراز من الدمع والصمغ واللعب والمخاط والعرق؟ ومن الذي مَنَّ عليك بإخراج البول والأذى بعد الاستفادة من الصالح من ذلك الطعام والشراب؟ إنه الله الملك الحق المبين العزيز الحكيم خالق كل شيء وربّه ومليكه لا إله إلا هو، كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ، الذي أعطى كلَّ شيءٍ خلقه ثم هدى، فسبحانه مِنْ إِلَهٍ عَظِيمٍ

رؤوف رحيم تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وما بينهما. قال تعالى: ((تَسْبُحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾)). [الإسراء: 44].
 وقال تعالى: ((يَتَأْتُوا الْإِنْسَانَ مَا عَرَكَ بَرَبِكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾)). [الانفطار: 6-8]. وقال عز وجل:
 ((وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ﴿١١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿١٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿١٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿١٤﴾)). [التين: 1-4]. وقال تعالى: ((خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣٠﴾)). [التغابن: 3]. وقال تعالى: ((هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٠﴾)). [آل عمران: 6]. وقال تعالى: ((وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِمُوقِنِينَ ﴿٣٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٣١﴾)). [الذاريات: 20 ، 21].

حول الإنسان والمرض / 4

1417/7/18هـ

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله صحبه وسلم تسليماً .

أما بعد : فمن أجل أن لا يدخل الملل والسامة إلى كثير من النفوس مع الاسترسال في التفكير في خلق الإنسان والآيات العظيمة الموجودة فيه كانت هذه الخطبة وإن كنا لن نخرج بعيداً عنها إلا أن المداخلات هذه من النتائج

والأهداف والمقاصد المرجوة والمأمولة بعد العرض المنشود وإن طالت مدة الانتظار للوصول إلى النهاية ولكن الأيام تكشف ذلك بإذن الله عز وجل . إن من رحمة الله تبارك وتعالى بالمؤمن أن جعل كل أمره يحمل له الخير العميم ويسعد به ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن الصابر المحتسب بشرط أن يشكر الله عز وجل عندما يأتيه ما يسره ، ويصبر ويحتسب عندما يصيبه ما يضره . عن صهيب الرومي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((عجباً لأمر المؤمن ؛ إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)) . رواه مسلم .

ومن الأمور التي تحمل الخير للمؤمن حين تنزل به ذلك المرض الذي يكفر الله به من خطايا المؤمن ويرفع به درجته . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ما يصيب المؤمن من نصب ولا وهم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها)) . رواه البخاري ، ولفظه عند مسلم : ((ما يصيب المؤمن من نصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى ألهم يهّمهُ إلا كفر الله به من سيئاته)) . والوصب : المرض ، والنصب : التعب ، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك ، فقلت : يا رسول الله إنك توعك وعكاً شديداً ، قال : ((أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم)) . قلت : ذلك بأن لك أجرين ؟ ، قال : ((أجل ، ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حطّ الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها)) . رواه البخاري ومسلم وغيرهما بألفاظ مختلفة ، والوعك : مغث الحمى أو هو الحمى .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله عنه بها ، حتى الشوكة يشاكها)) . رواه

البخاري ومسلم ، وفي الحديث : ((إذا مرض العبد ثلاثة أيام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)) . رواه الطبراني في الصغير والأوسط ، وفي رواية أبي الدنيا : ((من وعك ليلة فصبر ورضي بها عن الله عز وجل خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)) . وقال صلى الله عليه وسلم : ((إن الله ليبتلي عبده بالسَّقم حتى يكفر ذلك عه كل ذنب)) . رواه الحاكم ، وقال صحيح على شرطهما . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((من يرد الله به خيراً يصب منه)) . رواه البخاري ومالك رحمهما الله تعالى . وقال صلى الله عليه وسلم : ((إذا أحب الله قوماً ابتلاهم ، فمن صبر فله الصبر ، ومن جزع فله الجزع)) . رواه أحمد ، وفي رواية الترمذي وابن ماجة : ((إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط)) . وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أم السائب . أو أم المسيب . فقال : ((ما لك تزفرين ؟)) قالت : الحمى ، لا بارك الله فيها ، فقال : ((لا تسي الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يُذهبُ الكبرُ خبثَ الحديد)) . رواه مسلم ، ومن هذه الأحاديث وما ورد في معناها والآيات القرآنية الكريمة التي أوردت جملة منها أستعرض أحوال بعض الأنبياء والرسل والأجر العظيم الذي يعطاه الصابرون على البلاء وما ورد في كفران الإنسان النعمة ودعائه لربه عندما يصيبه الضر والبلاء والشدة وإعراضه عند الرخاء والصحة والعافية ، فيجب على المسلم أن يعرف ويعلم أن المرض رحمة من الله عز وجل ينزله على عبده المؤمن في هذه الحياة الدنيا ليكفر به عنه من سيئاته وخطاياهم وذنوبه أو ليرفع به من درجاته ليصل المنزلة التي يريد الله له ، والمرضى من جملة البلاء والاختبار للمؤمن ليكشف مَعْدَنَهُ ويرى مدى صبره وتحمله ، وليس كما شاع وانتشر بين المسلمين اليوم المتعلم والجاهل حول نزول المرض وأنواع الابتلاءات

والاختبارات على المؤمنين بأن ذلك دليل على عدم رضا الله عنهم، وهذا شيء يُؤسَفُ له حيث انتشر بين أهل الإسلام وكأنهم يجهلون أو يتجاهلون النصوص الصريحة في القرآن الكريم والسنة النبوية وكأنهم لا يعلمون أن أصحاب الصحة والعافية في الدنيا سوف يتمنون يوم القيامة لو أن جلودهم قرضت بالمقاريض وذلك حين يُعْطَى أهلُ البلاء الثواب والأجر العظيم الذي ادَّخَرَهُ اللهُ لعباده الصابرين على البلاء في الدنيا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يَوَدُّ أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قُرِضَتْ بالمقاريض)) . الترمذي . لذا يجب أن تُصَحَّح المفاهيم لتكون وفق شرع الله المطهر لا حسب ما يروِّجُه المنافقون ويعتقدونه أو من قلَّ حظُّه من العلم والفقهِ في دين الله من المسلمين وخاصة عندما يرون الأمراض والابتلاءات تنزل بالمؤمنين الصالحين الأتقياء ويقولون بأن ذلك دليل على غضب الله عليهم ولو كانوا صالحين حقاً لما نزل بهم ذلك ، وهانحن لم يصبنا ما أصابهم ويغترّون بشدتهم وقوة أجسادهم ، ولم يعلموا أن ما هم فيه إنما هو عكس تصوُّرهم واعتقادهم، فالمؤمن لا يزال ينزل عليه البلاء حتى يلقي الله عز وجل وليس عليه ذنب إذا أراد أن يرفع درجته ويكرمه تبارك وتعالى . وهاهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عليه المرض ويبتلى بأنواع الابتلاءات ، ومن قبله الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومنهم أيوب عليه الصلاة والسلام الذي وردت قصة مرضه مختصرة في القرآن الكريم وفيها من الاستنتاجات والعبر الشيء الكثير لمن كان ذا عقل ولُبٍّ وتدبُّرٍ وتفكُّرٍ وبصيرة قبل البصر ، فلقد ابتلاه الله عز وجل في جسده وماله وولده ، حتى لم يبق من جسده مَعْرُزٌ إبرة سليماً سوى قلبه كما ورد في الأثر ، ولم يَبْقَ له من الدنيا شيء يستعين به على مرضه وما هو فيه ، إلا أن زوجته حفظت وُدَّه بإيمانها بالله تعالى ورسوله، فكانت

تخدم الناس بالأجرة وتطعمه وتخدمه وتقوم على شؤونه نَحْواً من ثماني عشرة سنة، وقد كان قبل ذلك في مال جزيل وأولاد وسعة طائلة من الدنيا ، فَسُئِلَ جميع ذلك حتى رفضه القريب والبعيد سوى زوجته رضي الله عنها فإنها كانت لا تفارقه صباحاً ومساءً إلا وقت خدمتها للناس وتعود إليه في أقرب وقت ممكن ، وهكذا الزوجات الصالحات الوفيات لأزواجهن في الشدة والرخاء ، وقليل من يسلك هذا المسلك من النساء والرجال ويكون وفيّاً لصاحبه عندما يشتد به البلاء وينزل به المرض المزمن ، فإذا طال المرض بأحدهما لم يصبر الآخر على صاحبه الذي قضى معه عشرات السنين وتأفف منه وتضجّر وأرغى وأزبد وشكا على الناس حاله ليخرج أمامهم بمخرج ويذكر تعبته وصبره ومصابرته على رفيق دربه ، وما علم المسكين كم يخسر من الأجر العظيم إذا هو لم يقم على خدمة صاحبه وخاصة المرأة التي إذا مات زوجها وهو راض عنها دخلت الجنة ، فأين الوفاء بين الزوجين في هذه الأيام في مجتمعات المسلمين ؟ إنه قليل وأقل من القليل ، والله المستعان ، حيث نرى بعض الزوجات لا يروق للواحدة حال ولا يهدأ لها بال إلا عند مرض زوجها لتذهب هنا وهناك وتزور فلانة وعلاّنة وتتنكر لل عشرة الطويلة بينهما ، أعود للقول بأنه لما طال زمن المرض على أيوب عليه الصلاة والسلام اشتد عليه الحال وتمّ الأجلُ المقدّرُ تَضَرَّعَ إلى الله رب العالمين ليرفع عنه البلاء فهو أرحم الراحمين ، وهكذا يجب على المسلم أن يدعوا ربه عند نزول البلاء والمرض عليه مع بذل الأسباب وعدم الاعتماد عليها ، وإذا أراد الله أن يرفع الداء والمرض عن عبده فهو القادر سبحانه دون من سواه لأنه الذي أنزله عز وجل لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى . فلما دعا أيوب عليه الصلاة والسلام ربه استجاب له وأمره بأخذ الأسباب حيث أمره أن يقوم من مقامه ويضرب برجله الأرض ويسعى ويركض

ويغتسل ويشرب من الماء الذي نبع من الأرض بقدره الله عز وجل حتى ذهب عنه المرض الذي كان يشكو منه وقام سليماً معافى بإذن الله تبارك تعالى ، ولولا الإطالة لأوردت بعض المعاني والاستنتاجات الجيدة من هذه القصة العجيبة التي استفاد الطب الحديث منها الآن وينصح بها الأطباء، ومنها الجزئي اليومي الذي يُذهب كثيراً من الأمراض للمحافظة على الصحة العامة للأجسام، والشرب والاعتسال أي استعمال الماء للجسد داخلياً وخارجياً ، وما هذه الحمامات الحارة للاغتسال والمنتشرة الآن بكثرة إلا أخذاً من فوائد العيون الحارة المعدنية التي تنبع من باطن الأرض كما نبعت لأيوب عليه السلام واغتسل وشرب منها . وفوائد كثيرة في هذه الآيات لا يتسع المقام لذكرها ، وأكتفي بذكر الآيات القرآنية ففي إجمالها واختصارها الشيء العظيم ، قال تعالى : ﴿ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَر كُضُّ بِرَجْلِكَ هَذَا مُعْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنََّّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [ص: ٤١-٤٤]. وقال تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٤٥﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرًا لِلْعَابِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦].

حول الإنسان والمرض / 4

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد: فإن نعم الله علينا كثيرة وعظيمة لا نستطيع عدّها وحصرها كما أخبر بذلك ربنا عزَّ وجلَّ، ومن واجبتنا أن نتذكر نعم الله علينا ونشكرها ولا نكفرها ونتفكر ونتأمل فيما نعلمه، ومن تلك النعم نعمة الصحة والعافية التي نتقلب فيها ليل نهار ولا نحسب لها حساباً ولا وزناً ولا قيمة، وقد يمرُّ المرض بالواحد منا ولا يعرف مقدار تلك الصحة ولا ثمنها إلا إذا فقدتها نهائياً أو اعترته الأمراض المزمنة أو الشيخوخة والهزم الذي يعود إليه معظم البشر إذا لم يموتوا قبل ذلك، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٤١]. وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًّا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: ٢١]. وقال عز وجل: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِمَّا قَالُوا إِنَّمَا أُوتِينَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلَّ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٤١]. وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٢١]. ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٢٦، ٢٧]. ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ [لقمان: ٢٥]. ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ [الزمر: ٢١]. ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]. ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ١٢]. قال تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٦]. قال تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٧٦]. والآيات والأحاديث حول هذا المعنى كثيرة. فكما ذكّر سابقاً بأنَّ على المسلم إذا

مرض أن يدعو الله عز وجل ليرفع عنه المرض لأنه هو الذي أنزله وهو الذي يرفعه متى شاء ، وفي الوقت نفسه يبذل الأسباب للعلاج بالطرق المباحة ويتعد عن الطرق المحرمة سواء في الأدوية أو الطرق والوسائل بالذهاب إلى السحرة والمشعوذين أو تعلق التمايم والعزائم وغيرها، فالأدوية المباحة والطرق المشروعة فيها العُنْيَةُ بإذن الله عن المحرمات ، ويجب على المسلم أن يصبر ويحتسب الأجر عند الله تبارك وتعالى ، وعليه ألاَّ يَتَسَحَّطَ أو يُظْهَرَ الجُرْعَ إذا نزل به الضُّرُّ ويحسن الظن بالله تعالى ولا يتمنى الموت لأي ضررٍ أو بلاء ينزل به للأحاديث الواردة في ذلك ، ومنها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فإن كان لا بد فاعلاً فليقل : اللهم أحييني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي)). ولننظر إلى هذا الفضل الكبير والأجر العظيم في الأحاديث السابقة وفي هذا الحديث الذي رواه البخاري وأبو داود رحمهما الله عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل أجره ما كان يعمل مقيماً صحيحاً)). قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الأنعام: ٥٩] لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٦٠﴾ [الحديد: ٢٢] ، وعلى المسلم أن يزور المرضى لأن زيارة المريض تدعو الصحيح المعافي في بدنه للتذكر والشكر لله على آلائه ونعمه التي لا تعد ولا تحصى ، وبها يعلم أنه لو كان ساجداً وقائماً طوال حياته لله رب العالمين لم يُؤَدِّ مقابل نعمة واحدة من النعم التي أنعم الله بها عليه ، وعبادة المرضى وزيارتهم تذكر الموت لئلا يسرح الشخص ويمرح في هذه الدنيا دون يقظة واعتبار ، وتكون الزيارة أكثر اعتباراً وتذكراً عند زيارة المرضى في المستشفيات والمصحات العامة عموماً وعند قرب الموت ودنو الأجل وللدور

النقاهة والإعاقة خصوصاً لأصحاب الأمراض المزمنة أو المروعة نتيجة الحوادث المتعددة الأسباب ، في تلك الدُور مرضى قارب بعضهم عشرين عاماً ومنهم أقل أو أكثر ، كثير منهم صابرون محتسبون ، وقليل منهم من يجزع ويتسخط ، ففي زيارتهم العِبْرُ والدروس الكثيرة لأهل الصحة والعافية والأمراض الخفيفة والعابرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي ، وإن عاد عشيّة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح ، وكان له خريف في الجنة)) رواه الترمذي ، وأبو داود موقوفاً عَلَى عَلِيٍّ رضي الله عنه ، وأحمد بنحوه ، وابن ماجه وابن حبان مرفوعاً ، والخريف : هو الثمر المخروف المجتنى . وعن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع)) ، قيل يا رسول الله : وما خرفة الجنة ؟ قال : ((جناها)) . رواه أحمد ، ومسلم واللفظ له ، والترمذي ، خرفة الجنة : ما يُجتنى من ثمرها . وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام : ((إذا عاد الرجل أخاه المسلم مشى في خرافة الجنة حتى يجلس ، فإذا جلس غمرته الرحمة ، فإن كان غدوةً صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي وإن كان مساءً صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح)) . رواه أحمد وابن ماجه ، وعلى الزائر لأخيه المسلم أن يدعو الله بالدعاء المأثور الوارد في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلاً من حمل الورود والهدايا التي انتشرت عند أبواب المستشفيات والتي حملها لنا الجاهلون بتعاليم الإسلام وطبقناها كأنها سنة وخصال حميدة وتركنا تعاليم ديننا الذي فيه الخير والبركة وأخذنا بعبادات وتقاليد أعداء الإسلام والمسلمين ، فما أسرع المسلمين اليوم إلى التشبه بأعدائهم والتمسك بعباداتهم واستحسانها وإدخال التعديلات والزيادات عليها ، وما أبعدهم عن المسارعة إلى الخيرات وزيادة الحسنات

والاقتداء برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم واتباع هديه وطريقته!! وعلى المسلم أن يُطِيبَ حَاطِرَ المَرِيضِ ويدعو له ويمسح بيده اليمنى عليه ، ومن المأثور ما وردت به الأحاديث من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان صلى الله عليه وسلم إذا دخل على مريض يعوده قال: ((لا بأس ، طهور إن شاء الله)). وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من عاد مريضاً لم يحضره أجله فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عافاه الله من ذلك المرض)) رواه أبو داود، والترمذي وحسنه، والنسائي، وابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري. وقال صلى الله عليه وسلم: ((إذا عاد أحدكم مريضاً فليقل : اللهم أشف عبدك ينكأ لك عدواً أو يمشي لك إلى صلاة)) . ومن الأدعية المأثورة أيضاً التي يدعو بها المريض لنفسه أو الزائر قوله صلى الله عليه وسلم : ((اللهم رب الناس أذهب البأس، أشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً)) . وإذا رأى المسلم مبتلياً فعليه أن يدعو له ولنفسه لئلا يتليه الله بما ابتلاه به أو أكثر ، فعليه أن يقول : الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به . أو مما ابتليت به كثيراً من خلقك . اللهم عافه ولا تبتليني . والأدعية كثيرة من أرادها فليرجع إليها في مظانها ، وأورد بعضها إن شاء الله في خطبة الدواء والتداوي . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله .

حول الإنسان والمرض / 4

خطبة ثانية أُلقيت في جمعة أخرى

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فهذا المرض مهما سَمَّوهُ الآن من تسميات وأعطوه من أسماء فهو موجود من آلاف السنين وهو الطاعون الذي يقضي على الإنسان والحيوان في لحظات بتدمير أجهزة الهضم وخلايا المخ وغيرها خلال لحظات سواء كان نقله عن طريق بعوض أو غيرها كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه من علامات الساعة ، وقد وقع طاعون عمواس في السنة الثامنة عشرة من الهجرة النبوية وذهب فيه أكثر من خمسة وعشرين ألفاً ، وفي هذا الزمان يتكرر نفس المرض المعروف بالطاعون وسواء سموه باسمه الحقيقي : الطاعون ، أو سموه بتسميات حديثة وهو ما عرف لديهم بحمى الوادي المتصدع ، فهذه التسمية وغيرها لا تغير من وصف المرض شيئاً كما ورد في الحديث وإن وُصِفَ بغير هذا الوصف ، والله أعلم . ولا بأس بإيراد الحديث كاملاً للاستفادة دون الاختصار على مكان الشاهد . قال عوف بن مالك رضي الله عنه أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك _ وهو في قبة أدم _ فقال : ((اعدد ستاً بين يدي الساعة : موتي ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم ، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً ، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً)) رواه البخاري .

والدواء والتداوي له خطبة مستقلة بإذن الله عز وجل حيث لا يتسع المجال لذلك والذي جعلني أتطرق لموضوع اليوم وأفضل بين الخطبة السابقة واللاحقة التي وعدت بها ما حصل في الأيام الماضية من الشهر السابق وإلى الآن وما هو طافح على الساحة وطغى على أفكار الناس وعقولهم والذي أخذ حيزاً كبيراً بين مختلف الفئات والطبقات وفي جميع الجهات والاتجاهات والمساحات ، وحقاً لمن لم يكن متسلحاً بسلاح العقيدة أن تهزه أدنى رياح

تهب نسماؤها فضلاً عن الريح العاتية التي لن يستطيع الوقوف أمامها ، وهذا التعبير المجازي ليس كتعبير المتخبطين ممن ظهرت سوءاتهم في كتاباتهم التي أظهرت ضحالة تفكيرهم ومستواهم المعرفي والثقافي بعيداً عن عقيدتهم التي جرحوها بل ثلموها بعباراتهم الرديئة التي أردت مستواهم مهما حملوا من شهادات عالية وكما يُقال: العالمية، الدكتوراه ، وبئس ما يحملون إذا لم يفهموا ويعوا ما يقولون ويكتبون ، ومنها على سبيل المثال ما كتبه أحدهم في إحدى الصحف بعنوان : وختامها فيروس ، ومن ضمن كلامه : كنت غارقاً في الحزن ، كنت مجروح الفؤاد ، كنت في بحر متلاطم من المرارة والأسى ، كنت وزملائي في جبهة مستيقظة ليل نهار نحاول التصدي لذلك الزائر اللئيم المُمِلّ الذي تَسَلَّلَ إلى منازلنا وحقولنا وديارنا واستشرى في أجساد بعض أهالينا متسلحاً بخواصه المتعبة ، كنت أسرح بخيالي وأتساءل : هل يستحق هؤلاء الآمنون المسلمون هذا الغدر المفجع من فيروس أهوج لم يَطْبُ له المقام إلا في أرضهم الولود بالخير ؟ هل يستحق ذلك المزارع المثابر أن يتهاوى فجأة خلف ثوره أو محراثه ؟ هل يستحق ذلك الراعي البسيط أن يَنقُقَ مع أغنامه في الخلاء لتنهشه الطيور الجارحة ؟ وهل يستحق الذي ينام في العراء ألا يكون له مهرب من الموت لأن الحياة لم تمنحه حجرة يحتبئ فيها ... إلى آخر ما قال ، وبئس ما قال .

فيا أيها المسلمون : هل لدى هذا الشخص وأمثاله من أهل الحداثة والثقافات الغربية الذين تصدرت صورهم وأسماءهم وشهاداتهم زواياهم اليومية أو الأسبوعية عبر الصحافة ، هل لديهم أدنى خلفية عن عقيدتهم وإسلامهم وما يقولون ؟ هل درسوا التوحيد والقضاء والقدر وعُرسَتْ في سويداء قلوبهم ؟ هل مرَّ بهم تعليم إسلامي إيماني حقيقي يستيقظ معهم عندما تنزل بهم النوازل والقوارع أو بمن حولهم ؟ إن هذه العبارات التي أوردتها لو أردنا

استقصاء ما فيها من الزلات والعثرات القادحة في توحيد وإيمان ذلك الكاتب لطال بنا المقام ولاحتجنا إلى خطب متعددة وليس خطبة واحدة، ولكن المسلم في مثل هذه المواقف والنوازل يُعرف معدنه وحقيقة إيمانه وإسلامه بكيفية تعامله النابع من منهج الإسلام من كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وكيفية أخذ العبرة والعظة والدروس الإيمانية، فالمرض الذي نزل في الأشهر الماضية إنما هو بقضاء الله وقدره عز وجل ، حيث حان أجل المتوفين في ساعاتهم المعلومة وبذلك السبب وفي المكان المحدد، وليرى العباد ضعفهم وقلة حيلتهم مع أشد الفيروسات التي لا ترى بالعين المجردة والتي هي أسرع فتكاً من غيرها بالحيوانات والإنسان الذي ينتقل إليه المرض بطرق متعددة ، ومنها أصغر الحشرات المسماة بالبعوض ، أو كما يطلق عليه الناموس ، وبأدق أداة تدخل جسم الإنسان بدون استئذان أو تحذير أو تخدير ، وخلال ساعات إذا بالمرض ينتشر في جسم الإنسان وينهشه نهشاً ويحطم أجهزة المناعة وأهم أجزاء عملية عامله في جسمه من الكبد إلى الكلى والمخ حيث تدمرها بإذن الله عز وجل في لحظات ، فهل استيقظ الإنسان وعرف ضعفه وقلة حيلته؟ هل تفكر في هذا المرض السريع الفتك بهذه الدواب الكبيرة التي تدب على وجه الأرض من إنسان أو حيوان والذي نقلته حشرة صغيرة ضعيفة ، وهو فيروس كما سُمِّي لا يُرى بالعين ؟ هل علمنا بأن تلك من جنود الله التي يرسلها على من يشاء ؟ كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾﴾ [الفتح:١] ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢﴾﴾ [المدثر:٢]. هل تفكر أحد في هذه الاستنفارات الهائلة والمتعددة والمقاومة الشديدة والأموال الطائلة التي أنفقت لمحاربة هذا المرض التي لا غبار عليها لأخذ الحيطة والحذر ووقف انتشار المرض ؟ هل استفدنا درساً في العقيدة

والأخذ بالأسباب مع التوكل على الله سبحانه وتعالى وعدم التواكل؟ أم أننا اعتمدنا على الأسباب المادية ونسينا الخالق جل وعلا؟ هل علمنا حجم البشر وقدرهم وعجزهم عند محاربتهم البرية والبحرية والجوية لذلك الفيروس وتلك البعوضة؟ هل لجأ المسلمون إلى ربهم عز وجل وسألوه رفع الضُّرِّ عنهم أم أنهم أشدُّ عُتُوًّا وعناداً من مشركي العرب الأوائل؟ هل تأدبنا مع الله في عباراتنا وألفاظنا وحسن الظن بالله عز وجل واللجوء إليه تبارك وتعالى؟ هل عرفنا مبدأ الحجر الصحي أنه من صميم إسلامنا وأنه لا يَرُدُّ ولا يُورِّدُ مريضٌ على صحيح أو العكس إذا كانت هناك عدوى متحققة، وأنَّ على المسلم أن يَفِرَّ من المجذوم فراره من الأسد، عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها)) متفق عليه، هل نعلم أن مَنْ مات من المسلمين بهذا الداء وأمثاله فهو شهيد بإذن الله إذا كان صابراً محتسباً. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله)) متفق عليه. والمطعون: هو الذي مات بالطاعون، والمبطن: هو من مات بمرض البطن، وصاحب الهدم: الذي مات تحت الهدم، وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما تعدون الشهداء فيكم؟)) قالوا: يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد قال: ((إن شهداء أمتي إذاً لقليل!)) قالوا: فَمَنْ يا رسول الله؟ قال: ((من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد، والغريق شهيد)) . رواه مسلم، وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ((الطاعون شهادة لكل مسلم)) رواه البخاري ومسلم وعن عائشة رضي

الله عنها قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون ؟ فقال: ((كان عذاباً يبعثه الله على من كان قبلكم، فجعله الله رحمة للمؤمنين ، ما من عبد يكون في بلد فيكون فيه فيمكث لا يخرج صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد)). رواه البخاري . وورد أيضاً في أحاديث صحيحة من ضمن الشهداء : ((المرأة تموت في نفاسها بسبب ولدها والموت بالحرق وذات الجنب وداء السل)) .

عن المرض

1405/11/2هـ

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً.

أما بعد : فإن من رحمة الله تبارك وتعالى بالمؤمن أن جعل كل أمره يحمل الخير العميم له ويسعد ، بذلك وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن الصابر المحتسب بشرط أن يشكر الله عز وجل عندما يأتيه ما يسره ، ويصبر عندما يصيبه ما يضره . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا المؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)). رواه مسلم ومن الأمر الذي يحمل الخير للمؤمن حين ينزل به هو المرض الذي يكفر الله به من خطايا المؤمن ، وهو معنى الوصب الذي ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : ((ما يصيب المسلم من نصب ولا وصبٍ ولا همٍ ولا حزنٍ ولا أذى ولا غمٍ حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها)). رواه البخاري، ولفظه عند مسلم: ((ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم

ولا حزن حتى الهمَّ يَهُمُّهُ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ)). وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فقلت : يا رسول الله إنك توعك وعكاً شديداً ؟ قال : ((أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم)) . قلت : ذلك بأن لك أجرين ؟ قال : ((أجل ، ذلك كذلك ، ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها من سيئاته وحطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها)) . رواه البخاري ومسلم بألفاظ مختلفة ، والوعك : مغث الحمى أو هو الحمى . وجاء عنه صلى الله عليه وسلم : ((إذا مرض العبد ثلاثة أيام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)) . رواه الطبراني في الصغير والأوسط . ومن هنا يُفهم أن البلاء والمرض رحمة للمؤمن في هذه الحياة الدنيا ليكفر الله به عنه الخطايا لا كما يفهمه بعض المسلمين بأن البلاء إذا نزل بالمؤمن أن ذلك من سخط الله عليه ، وهذا هو المفهوم السائد عند كثير من المسلمين اليوم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من يرد الله به خيراً يصب منه)) . رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إِنْ عِظَمَ الْجَزَاءُ مَعَ عَظَمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنْ اللَّهُ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخَطَ فَلَهُ السَّخَطُ)) . رواه الترمذي وابن ماجه . ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة مريضة فوجدها تَسُبُّ الحَمَى فَكَّرَهُ ذَلِكَ وَقَالَ لَهَا : ((إِنَّمَا . أَي الحَمَى . تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الكَبِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ)) . ويوم القيامة يتمنى أهل الصحة والعافية في الدنيا لو أن جلودهم قُرِضَتْ بِالْمَقَارِيضِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ الَّذِي ادَّخَرَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ الصَّابِرِينَ عَلَى الْبَلَاءِ فِي الدُّنْيَا . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ بِالْمَقَارِيضِ)) . الترمذي .

ويجب على المسلم أن يصبر ولا يتسخط ولا يجزع إذا نزل به الضر ويحتسب أجر ذلك عند الله عز وجل ويصبر على قضاء الله وقدره ويحسن الظن بربه ويتذكر قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر:٤١] ، وعليه أن يكون بين الخوف والرجاء يخاف عقاب الله بسبب الذنوب ، ويرجو رحمة ربه جل وعلا، ومع ذلك الحب لله والطاعة والامتثال ، ومهما اشتد به المرض فلا يجوز له أن يتمنى الموت لحديث أم الفضل رضي الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليهم وعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتكى، فتمنى عباس الموت ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يا عم ! لا تَتَمَنَّ الموت فإنك إن كنت محسناً فإن تُؤَخَّرَ تَزِدُّ إِحْسَاناً إلى إحسانك خير لك ، وإن كنت مسيئاً فإن تؤخر فتستعب من إساءتك خير لك فلا تتمن الموت)). وورد من حديث أنس مرفوعاً ((لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فإن كان لا بد فاعلاً فليقل اللهم أحيني ما دامت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي)).

وعلى المسلم أن يطلب الدواء لمرضه ولا ينافي ذلك التوكل أو الصبر والاحتساب ، ومرد ذلك إلى النية التي يجدها المسلم في فؤاده وهو أعرف بنفسه من غيره ، والله أعلم سبحانه وتعالى بذلك وبغيره. روى الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل)). وفي المسند من حديث ابن مسعود رضي الله عنه يرفعه : ((إن الله عز وجل لم ينزل داءً إلا أنزل له شفاء، علمه من علمه وجهله من جهله)). ولكن على المسلم أن يتداوى بالمباح، ويجتنب المحرم لأنه لا يجوز له التداوى بالمحرم لقول بن مسعود رضي الله عنه : ((إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم)). ذكره البخاري رحمه الله .

ويحرم تعليق التمايم واستعمال العزائم ، فلا يجوز للمسلم أن يعلق تميمة أو ودعة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من علق تميمة فقد أشرك)) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : ((من علق تميمة فلا أتم الله له ، ومن علق ودعة فلا ودع الله له)) . وقوله أيضاً صلى الله عليه وسلم للذي أبصر على يده حلقة من صُفْر : ((ويحك ما هذه ؟)) قال : من الواهنة . قال : ((انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً ، وإنك لو متَّ وهي عليك ما أفلحت أبداً)) .

ويجب على المسلم عيادة أخيه المسلم إذا مرض ، وهذه من محاسن الإسلام التي تهاون بها المسلمون اليوم ولا يزورون المرضى طلباً للأجر ولوجوب الزيارة وإنما هي للعادة المتعارف عليها أو للقرابة ، وبعض المرضى من الرجال المتهاونين بصلاة الجماعة لا أحد يعلم عنهم إذا مرضوا لأنهم لا يحضرون المسجد ولا يشهدون صلاة الجماعة في غالب أوقاتهم ولا يُرون إلا يوم الجمعة فلماذا لا يُفْتَقِدُون ولا يعلم عنهم أحد عن مرضهم حتى يُزاروا ، وبعض المصلين يمرض بمرض ولا أحد يعلم عنه لأنه إذا سُئِلَ عنه عند غيابه وافتقاده في غيابه عن المسجد يقول : لماذا تسألون عني ؟ فحال كثير من المسلمين اليوم يرثى له حيث تركوا تعاليم الإسلام ورضوا بتطبيق جاهلية أعداء الإسلام ، وإن زيارة المرضى من الحقوق الواجبة على المسلمين تجاه بعضهم بعضاً والتي تربطهم وتجعلهم كالجسد الواحد والبنيان المترصّ والمتماسك ، وتشعر المريض بأن له أخوة متى مرض افتقدوه وكانوا إلى جانبه في مرضه يلازمونه ويقومون بالواجب نحوه ونحو أسرته وأولاده وماله ، وهم يحوزون وينالون على فعلهم ذلك الأجر العظيم من الله جل جلاله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس)) . وكذلك الحديث الذي رواه مسلم والذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((

إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت ولم تعدني . قال : يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده ! أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده (...)) الحديث . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((عودوا المريض ، وأطعموا الجائع ، وفكّوا العاني)) . وبهذا يتبين وجوب عيادة المريض ، وأما ثواب الزائر للمريض فقد وردت أحاديث عديدة عن النبي صلى الله عليه وسلم ترغب في عيادة المرضى وتوضح ما للزائر من أجر جزاء زيارته لأخيه المسلم المريض ، ومنها : قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع)) قيل : يا رسول الله وما خرفة الجنة ؟ قال : ((جناها)) . ((أي ما يجتنى من الثمر . وعن علي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي ، وإن عادته عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح ، وكان له خريف في الجنة)) ، والخريف : الثمر المخروف أي المجتنى . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٦٧﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الشعراء : ٦٧-٦٩] .

عن المرض

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى ، أحمده سبحانه وتعالى وأشكره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه .

أما بعد : فإن زيارة المرضى تدعو المسلم الصحيح المعافي في بدنه للتذكر

والشكر لله عز وجل على نعمه وآلائه ، ومنها نعمة الصحة التي يجب أن يستعملها في طاعة الله وأن لا تضيع عليه فيما لا يرضي الله أو في التهاون والتكاسل عن عبادة الله ، وعبادة المرضى أيضاً تذكر الإنسان بالموت وحتى لا يسرح ويمرح ويغدو ويروح في هذه الحياة الدنيا دون يقظة واعتبار ، وتكون الزيارة أكثر اعتباراً وتذكراً عند الزيارة في المستشفيات ولأصحاب الأمراض المزمنة أو المروعة وعند قرب الموت ودُنُوِّ الأجل . وعلى الزائر أن يُطَيَّبَ خاطر المريض ويدعو له ويمسح بيده اليمنى على رأسه ، ومن الدعاء المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم : ((اللهم رب الناس أذهب البأس، أشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً)) . وكان صلى الله عليه وسلم يضع إصبعه في الأرض ثم يرفعها ويقول : ((بسم الله ، تربة أرضنا بريقة بعضنا ، يُشْفَى به سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا)) . وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((من عاد مريضاً لم يحضره أجله فقال عنده سبع مرات : أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك ، إلا عافاه الله من ذلك المرض)) . وكان من هديه صلى الله عليه وسلم إذا دخل على من يعود قال : ((لا بأس ، طهور إن شاء الله)) . وعلى الزائر ألا يُطِيلَ الجلوس عند المريض فلربما تأذى من ذلك لما نعلمه جميعاً .

ولا بأس على المريض إذا سئل عن مرضه وحاله أن يخبر زائره بما يجد على سبيل الإخبار لا بقصد الشكوى ، ولا كراهة في الإخبار إذا لم يكن على سبيل التسخط وإظهار الجزع أو أنه يشكو حاله ومرضه إلى المخلوقين ، كما يقول بعض الناس : أنا ماذا عملت حتى يصيبني الله بهذا المرض ؟ أو أنا لم أفعل ما يغضب الله ؟ أو لم أقترف ذنباً ؟ أو أي كلام من هذا القبيل الذي يجري على ألسنة بعض الناس ، فمتى كان الإخبار على هذا الحال فهو شكوى يشتكي فيها الخالق سبحانه إلى المخلوقين وهذا هو المنهي عنه ، وهو بفعله هذا يُذْهِبُ أجره ولا حظَّ له في مرضه ذلك الذي جعله الله

رحمة له وتكفيراً لسيئاته ، وأما إن كان عن طريق الإخبار كما سبق فإن ذلك جائز للأحاديث المروية في هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن مسعود وسعد بن أبي وقاص رضي الله وعائشة رضي الله عنهم أجمعين. وعلى المريض أن يعلم أولاً وأخيراً وقبل كل شيء أن الشفاء بيد الله ومن عنده سبحانه فهو الذي أنزل الداء وهو الذي يرفعه ، وما على المريض إلا بذل السبب مع طلب الشفاء من الله تعالى . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله.

التدخين وأضراره

الخطبة الأولى 1406/5/28 هـ ، 1414/12/23 هـ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلّم تسليمًا.

أما بعد: فعلينا أن نتقي الله تعالى ونشكره على نعمه وآلائه التي لا تعدُّ ولا تحصى، وقد أغنانا سبحانه بالحلال عن الحرام، وأباح لنا من الطيبات ما تقوم به مصالحنا الدينية والبدنية، وحرّم علينا الخبائث لما فيها من الضرر علينا، حيث التغذي بالطيبات له أثر حميد في صحة الإنسان وسلوكه لأنها تغذّيه تغذية طيبة، أما التغذي بالخبائث فأثره خبيث في الأبدان والسلوك لأنها تغذيه تغذية خبيثة . ألا وإن من الخبائث التي ابتليت بها مجتمعات المسلمين اليوم الدخان الذي انتشر شربه واستعماله بين الصغار والكبار وكذلك النساء ، وصار متعاطوه يضايقون به الناس ويؤذون به الأبرياء من غير خجل ولا حياء، حيث يملأ أحدهم فمه منه ثم ينفثه في وجوه الحاضرين من غير احترام لهم ولا مبالاة بحقهم لأنه يتضايق منه ولا يستطيع استنشاقه كاملاً فيخرجه تخلصاً منه وتضايقاً ولو آذى به الآخرين، يخرجه من فمه المشبّه بمدخنة الأفران والمخارق فيخيّم على الحاضرين سحابة قائمة من الدخان الخانق الملوّث بالريق القذر والرائحة الكريهة المنتنة، ومصدر ذلك كله فَمُ المدخّن البذيء الذي لا يراعي لمُجالِسِهِ حرمةً، ولا يفكّر في وَخِيم فعله، ولو أن إنساناً تنقّس في وجه المدخن أو بصق أو امتخّط أمامه فكيف يكون موقفه واستنكاره وتألمه لهذا الفعل ، علماً بأنه يفعل بمن يجلس حوله في غرفته أو مكتبه أو سيارته أو في بيته بين أولاده وأهله أو مع جلسائه في أي مكان يفعل أكثر من هذا ، ولم يستحِ ، ولم يكن له من الشهامة والرجولة ما يردعه عن فعله هذا ؟ أقول الشهامة والرجولة لا الوازع الديني لأنه لو كان لديه ذلك الوازع لانتهى وأقلع وخاف من رب العالمين ولما بقي

عليه لحظة واحدة ، لأن الخوف من الله ومن أليم عقابه يجعل المسلم حييَّ الضمير يقظاً متنبهاً متى أراد الشيطان الإيقاع به انتبه واستغفر ربه وأتاب إليه ورجع، فالذي يشرب الدخان وينفثه في وجوه الحاضرين قد نُزع منه الحياء وصار صفيقاً متبلد الشعور ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت)).

أيها المسلمون: كم تعالت الأصوات في إنكار شرب الدخان ؟ وكم صدر من النشرات والتحذيرات الطبية من أضراره المتعددة ؟ وكم صدر من الفتاوى الشرعية بتحريمه ؟ وكم أُلّف من الكتب والرسائل في بيان مفسده ؟ وكم جنى المدخنون من مضارّ في أبدانهم وأرواحهم وعلى نسلهم ونسائهم ؟ وكم آذوا من جليس لهم في المجتمع ؟ وكم أفنوا من دنائير ودراهم ؟ وكم أضاعوا من أوقاتهم وأهدروها ومعها أعمارهم وأجسادهم حيث أفنوها فيما يحرقها ويتلفها ؟ ومع هذا وذاك كله فكثير من شاربيه لا يُجيبون داعياً ، ولا يُصعّون لناصر ، ولا يحترمون أحداً ، ولا يترفعون بأنفسهم عن تلك العادة السيئة ، لأن الدخان قد أسرهم وأحكم أسرهم وقيدهم فلا يستطيعون منه خلاصاً إلا بالإيمان بالله ورسوله والتوبة الصادقة إلى الله عز وجل ، ولو كان شارب الدخان صادق العزيمة شهماً متوكلاً على الله غير فاقد لذلك لاستطاع أن ينفك من هذا الأسر وينطلق من تلك القيود بإذن الله تعالى .

إن الكفار يدفعون هذا الدخان إلى مجتمعات المسلمين ويروجونه في أسواقهم لعلمهم أنه من الأسلحة القاتلة التي تخدم الأجسام وتقضي على الصحة

وتجني الشيء الكثير على أخلاق الشباب والرجال والنساء والأطفال ،
وبالتالي يستنزفون ثروات البلاد وخيراتها وبينون حياتهم الاقتصادية الدنيوية
ويتقدمون في مخترعاتهم العلمية بما يدفعه أولئك السذج من الأموال الطائلة
مقابل الحصول على الدخان ومشتقاته الذي أهلكوا به أنفسهم ، وبئس ما
اشتروا لأنفسهم ! وتُسْتَنْزَفُ الأموالُ أيضاً من المدخنين أنفسهم ومن الأفراد
الآخرين عموماً ومن الدول كذلك من حيث يشعرون أو لا يشعرون ،
حيث إنفاق الأموال الهائلة لعلاج المتضررين من التدخين وجلب الأدوية لهم
والأجهزة الخاصة بالعلاج من بلاد الكفر ، فهم المستفيدون مادياً ابتداءً
وانتهاءً ، والمسلمون غافلون إلا من شاء الله ، فهلاً استيقظنا وانتبهنا وعرفنا
مقاصد أعداء الإسلام والمسلمين في هذا وغيره من الأمور الأخرى ؟ إن
المجتمعات الغربية الكافرة تُخَصِّصُ سياراتٍ ومراكبٍ وأماكنَ خاصةً لا يركبها
ولا يدخلها أو يجلس فيها المدخنون حفاظاً على صحة غير المدخنين وعدم
الإساءة إليهم وأذيتهم بالروائح المنتنة الصادرة من أفواههم وسجائرهم ، ومنع
التدخين في الأماكن العامة مُطَبَّقٌ في عدد من الدول الغربية والشرقية ، والمنع
مع الغرامة الصارمة على من يدخن في الأماكن العامة والتجمعات السكانية
صغيرةً كانت أو كبيرةً مُطَبَّقٌ في ثلاث دول غربية ، فهلا طبق المسلمون
ذلك في بلادهم واستفادوا من تجارب غيرهم ما دام المدخنون مصيرين على
فعلهم ؟ وهلاً قاموا بدور محمود يعود على الفرد والجماعة بخير ؟ إن الأمل
كبير في الأوبة والرجعة الصادقة ((وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾)) [فاطر: 17]. إِنَّ
شُرْبَ الدخان ضارٌّ للبدن والدين والمال والمجتمع ومُذْهَبٌ للشرف والمروءة

والكرامة والشهامة، ونوع واحد من الأضرار كافٍ لتحريمه والابتعاد عنه، فكيف إذا اجتمعت فيه تلك المضار المتعددة والتي منها ما يلي على سبيل الاختصار: **1. ضرره في البدن** : يضعفه بوجه عام ويحدث تصلباً وتشنجاً وانسداداً في الشرايين الدموية، ومسبب للسلس والسرطان والسعال الديكي والتهابات الفم واللثة والبلعوم والأنف والحنجرة ومداخل الطعام والشراب وتقرحاتها وحرقتها حتى يجعلها كالفحم المحترق المنهار، ويسود الأسنان ويسبب بلاءها وتآكلها بالسوس بسرعة، والتهاب الحبال الصوتية والتمدد والانتفاخ الرئوي وسرطان الرئة والغثيان مع قلة الشهية للطعام وعسر الهضم وقرحة المعدة والإمساك وما يصاحبه من صداع وآلام مختلفة والتهابات مزمنة تؤدي إلى اضطرابات عصبية وتور واسترخاء وسرعة تعب وإجهاد عند بذل أي جهد عضلي، إلى جانب قلة النوم والنسيان وارتعاش الأطراف، وإصابة العينين والجهاز البصري بعدم صفاء الرؤية والشعور بالغشاوة وضعف الإبصار، وقد أعلنت هيئة الصحة العالمية قبل ثلاثين عاماً من الآن أن التدخين أشد خطراً على صحة الإنسان من أمراض السل والجذام والطاعون والجذري مجتمعة ، كما ثبت طبيياً أن التدخين يسبب الإجهاد والعقم عند النساء ويضعف القدرة الجنسية عند الرجال ، كما جاء في تقرير الصحة العالمية إن التوقف عن التدخين سيؤدي إلى تحسُّن الصحة بما لا يستطيعه جميع الوسائل الطبية مجتمعة ، فهل أدرك المدخنون ضرر التدخين عليهم في أبدانهم ؟ إن هذا وغيره موجود ضمن كتب ورسائل ونشرات عديدة لمن أراد البحث والزيادة ، وخير دليل قائم على المدخن هو نفسه وحاله وما هو فيه

وعليه خاصة المدمن عليه منذ فترة وصاحب الخدمة الطويلة في ذلك حيث لا يحتاج إلى إثبات ودلائل من خارج نفسه ، وأكبر دليل على الضرر الصحي هو مطالبة بعض الجهات الصحية لشركات عالمية مسئولة عن الإنتاج والتوزيع والدعاية والترويج للدخان مطالبتها بمليارات الريالات مقابل تعويضها عن الخسائر المادية جراء معالجتها وإنفاقها الأموال الطائلة لعلاج المدخنين ، وهذه المطالبة المادية التي تحملتها الجهات الصحية دليل قاطع على الأضرار الصحية التي لحقت بالمدخنين إلى جانب ما أهدره المدخنون للحصول على السجائر من عشرات المليارات من أموالهم الخاصة في السنوات الماضية ، إلى جانب ملايين من ساعات العمل التي ضاعت نتيجة مراجعة المستشفيات وتلقي العلاج بالتنويم فيها لإجراء العمليات الناتجة عما خلّفه الدخان أو لأي عارض مرضي ، فهذه الأضرار المادية التي لحقت بالأطراف المذكورة كافية وحدها لتحريم الدخان ، وإذا أُضيفت إليها الأضرار التالية كانت أشد وضوحاً لمن كان لديه أدنى شكٍ . 2. ضرره في الدين: يجعل العبادات والقيام بالطاعات ثقيلة على متعاطيه وخاصة الصيام والصلاة والجلوس في المساجد وحضور مجالس العلم ، لأنه لا يستطيع الصبر عنه وخاصة المدمنين ، وما كرهه المسلم في عمل الخير فإنه شرٌّ لا شك في ذلك، وهو يدعو متعاطيه إلى مخالطة الأراذل والسفهاء والابتعاد عن الأخيار، ومتى سرى تعاطيه في الشباب سقطوا بالمرّة وكان الخطوة الأولى للدخول في مداخل قبيحة وتدهور الأخلاق وتحطم المعنويات والنشأة السيئة مع جلساء السوء فيصبح كل قرين بالمقارن يقتدي. 3. ضرره في المال :

الذي يتعاطاه يعرف كم يضيّع فيه كل يوم من الريالات وقد يكون فقيراً لا يملك قوت يومه ومع هذا يقدّم شراء الدخان على شراء غيره من الضروريات لأهله ولو تحمل الديون الكثيرة ، فيحرم نفسه وربما يحرم أولاده من التمتع بالطيبات ويستبدل ذلك بالتدخين الذي لا يسمن ولا يغني من جوع ، وربما يسأل هذا وذاك سجارة وسجارتين ويهرق ماء وجهه مقابل الحصول على سجارة وربما يُمنع من ذلك ولا يُعطى ، ومع هذا فلا ينجل ولا يستحيي وهذا هو الواقع ، ولو أُلجّأته الضرورة إلى سؤال وطَلَبَ شيءٍ من الطيبات لما أقدم على ذلك، هذا حال بعض الفقراء المتعفين عن السؤال ، أما الغني فهو يبذل المال في شرائه غير مبالٍ بما يخرج ويضيع في سبيل الشيطان وهو يعلم أن المبدرين هم إخوان الشياطين، وأنه سوف يُسأل عن كل درهم ودينار فيم أنفقه، ويعلم أنه لو وقف عليه فقير كل يوم لمدة شهر يطلبه ثمن فطور لما أعطاه ، ولو أعطاه يوماً أو يومين لمنعه ونهره وطرده وأزغى وأزيد وكشّر في وجهه بقية الشهر، وبهذا يتبين أن الشيطان لم يمنعه في يوم من الأيام عن شراء الدخان ولم يتركه يفكر في ذلك لأنه إنفاق في سبيل الشيطان فهو يسهّل عليه طريقه، أما الإنفاق في سبيل الخير وطرقه لكسب الحسنات فإن الشيطان يصعبه ويوسوس لصاحبه بوسوس كثيرة تمنعه من كسبها، ويكفي هذا البيان حال الإنفاق هل هو في الحلال والطيبات أم في الحرام والخبائث ! وقد ذكرت سابقاً الأضرار المالية على الجهات الصحية ، والحكومية أو الأهلية أو الشركات والمؤسسات التي يعمل فيها المدخنون إلى جانب ما يلحق بهم أنفسهم. .4 . ضرر شرب الدخان

في المجتمع: إن شاربَه يسيء إلى مجتمعه وإلى كل من يجالسه ويصاحبه ابتداءً من زوجته وأولاده حيث يكتفم أنفاسهم ويخنقهم ويضايقهم برائحته الكريهة حتى يفسد الجوَّ من حولهم ، وثبت طبيياً بأن الجالسين الذين يستنشقون الدخان أكثر تضرراً من المدخنين أنفسهم ، ومما صدر في آخر إحصائية حول الخسارة البشرية في المجتمعات هو موت أكثر من عشرة ملايين شخص في السنة الواحدة في العالم من المدخنين منهم سبعة ملايين من البلدان النامية كما يعبرون ، بسبب الأمراض الناتجة عن التدخين ، أما بين عامة الناس المجالسين فإن المتضررين من ذلك على مدى الأيام سوف يجنون عواقبه وإن لم تصدر إحصائيات عن ذلك.

ولقد امتدَّ أذى التدخين فصار يلاحق الناس في المكاتب والمتاجر وحال ركوبهم السيارات والطائرات ولا حياء ولا خجل ولا رادع يردع متعاطيه إلا من شاء الله ، وقد ورد في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: ((لا ضرر ولا ضرار)) (من آذى مسلماً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله)). وكذلك يلحق الأذى الملائكة الكرام الملازمين له ، وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم نهى من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً بالألّا يقرب المسجد ويعتزل مجتمع المسلمين مع وجوب صلاة الجماعة على الرجال لئلا يتأذوا من رائحته حتى تزول مع أنها من الطيبات فكيف بالخبث الذي هو الدخان والجراك وغيرها من الخبائث. روى الإمام مسلم رحمه الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من أكل البصل والثوم والكرات فلا يقربن مسجداً فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم)).

أيها المسلمون: إذا كان شرب الدخان من الرجال منقصة لهم بين الرجال ويهدم مروءتهم وشهامتهم ويهدر كرامتهم ويحطّ من قدرهم فإنه من النساء أعظم ، وما نسمع عنه من أن بعض نساء المسلمين وصل يهنّ الحال من غير حياء ولا خجل بل وبكل وقاحة بأن يتصدرن مجالس النساء ومحافلهن واضعات السجائر في أفواههن وليات الشيشة والجراك ليخرج منهن كدخان المصانع والأفران ، وهذا الانحطاط الخلقي والدناءة التي يأنفها كل غيور وصلت ببعض النساء إلى اصطحاب الشيش إلى المنتزهات والشواطئ ليمارسن المناظر المخزية أمام أعين الناس عامة ، فيالها من مناظر مخزية وحالات مستقدرة يندى لها الجبين ، وذلك هو طيبهن وعطرهن الذي يستعملنه لأزواجهن الذين رضوا بفعلهن القبيح .

قال تعالى عن رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم: ((وَمِجْلٌ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَمُحَرِّمٌ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ)). [الأعراف:157]، وقال تعالى: ((وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)). [البقرة:195].

التدخين وأضراره

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه أحمده سبحانه وأشكره وأثني عليه الخير كله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وآله .

قال تعالى: ((يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾)). [البقرة: 172]، وكما يحكم عليه المدخنون أنفسهم بأن الدخان من الحبائث فقد قال الله تعالى: ((وَمُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَمُحْرَمٌ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتُ)). [الأعراف: 157]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه)).

وإن مما يبشر بالخير ويثلج صدور المؤمنين ويغيظ المنافقين والكافرين هو امتناع كثير من المحلات التجارية في هذا البلد الطيب عن بيع الدخان والجراك ، وفي مدينة واحدة مثل جدة وصل عدد المحلات التي امتنعت عن بيع الدخان ما يقارب خمسمائة محل تجاري قبل أكثر من عشرات سنوات حصلت على شهادات تقدير، وهذه ظاهرة طيبة سرت في معظم مدن بلاد الحرمين ، وسمعنا وقرأنا عن منع بيع الدخان وعدم السماح لمحلات تعاطي الجراك والمعسل داخل مكة والمدينة احتراماً لمكانتهما وللحرمين الشريفين ، وهذه خطوة مباركة لا شك فيها تحسب للمسئولين في بلاد الحرمين ، ولا غرابة في ذلك على أهل هذا البلد المبارك المسارعين إلى فعل الخيرات والاستجابة لنداء الفطرة السليمة خاصة عندما يأتيهم من يذكّرهم ويوقظهم مما هم عليه وفيه. وما قامت به الدولة من إنشاء مصحات خاصة لمساعدة المدخنين لإقلاعهم عن تلك العادة السيئة هو عمل مشكور وجهد مبارك ينبغي لمن ابتلي بالتدخين الاستفادة منه والمساعدة إلى العلاج بدون مقابل ، وقد سمعنا وقرأنا عن الذي ذكرته سابقاً حول مطالبة جهات صحية لشركات التبغ بتعويضها عن الخسائر التي تكبدتها من أجل علاج المدخنين.

والحمد لله فقد منعت الدولة منذ فترة طويلة الدعايات والإعلانات عن الدخان وما شابهه في الأسواق والصحافة ووسائل الإعلام الأخرى ، وهذا شيء طيب والله الحمد والمنة تمتاز به بين الدول من ضمن المناقب والمفاخر الأخرى التي لا توجد إلا في هذا البلد إلى جانب الأمر السامي الذي يقضي بمنع التدخين في الإدارات والمؤسسات الحكومية ، وإننا نرجوا أن يطبق ذلك التطبيق الواضح والالتزام الكامل خاصة في المدارس والمستشفيات والمراكز الصحية التي هي قدوة لغيرها من حيث العاملين فيها ، فإذا لم يلتزم المعلمون والمربون والأطباء بهذا فلا فائدة مرجوة منهم حول ذلك على من يستفيد منهم من الطلاب والمرضى ، وهذا لا يعفي الدوائر والمؤسسات الأخرى. ولكن هذه الأماكن قبل غيرها.

أيها المسلمون: إن مما يلحق بشرب الدخان ويشبهه ما يسمى بالجرار أو الشيشة أو المدعة والقات والشمة وكلها بنات الخمر والمخدرات والخطوة الأولى إليها لكثير ممن ابتلي بها وإن كانت تختلف عنها في سرعة المفعول وبطئه وفي الحكم الشرعي ، مع أن ضرر الشيشة والمدعة وكل ما يستعمل فيه الليات والمواد المصنوعة والمجمعة من الفواكه المتعفنة والتي ترمى في القمامم والزبالات ولا تأكلها الحيوانات ضررها أعظم من السجائر ، ولو علم متعاطو الجرار وكل ما يُسْتَحْدَمُ فيه اللَّيَّاتُ التي تنتقل من فَمِّ إلى آخر ومن بين شفتي مريض إلى غيره لو علموا حقيقة تلك القاذورات التي جُمعت من أسوأ ما يتصوره البشر لو علموا الحقيقة وعرفوها لما وضعوها مرة أخرى في أفواههم ، لذلك وجبت النصيحة والتذكير بين فترة وأخرى في هذا وغيره

لئلا يقدم الجاهلون على قتل أنفسهم قتلاً بطيئاً ويلقوا بأنفسهم فيما يدمرهم ويهلكهم ، قال الله تعالى: ((وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)) [البقرة:195]. وهذا القتل البطيء للشخص نفسه عن طريق المخدرات أو بناتها شبيهة بالانتحار وقتل الإنسان لنفسه عدواناً وظلماً ، وهذا القياس له وجهٌ ودلالةٌ ليست ظاهرة لكل أحد وقد ذكرها بعض المجتهدين ، ولنتأمل هذه الآيات والأحاديث وإن كانت دلالتها الصريحة على الظاهر منها، قال تعالى: ((وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝ إِنْ مَجْتَدِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُهَوِّنُ عَنْهُ تُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلِكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ۝)) [النساء: 29، 31]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من قتل نفسه بحديدة فحديده في يده يجأ بها بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبداً ، ومن شرب سُماً فقتل نفسه فهو يتحسأه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبداً ، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبداً)) . رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى ، وقال صلى الله عليه وسلم: ((الذي يخنق نفسه يخنقها في النار ، والذي يطعنها يطعنها في النار)). رواه البخاري رحمه الله. وكل إنسان يعرف ويعلم مصالحه وما يصلح شأنه في أغلب أحيانه ولا تخفى عليه هذه المفاهيم والبديهيات ، قال الله جل جلاله: ((بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ۝)) [القيامة: 14، 15]. والله من وراء كل قصد ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وآله وصحبه.